• الطباخون الأشرار

تأليف: جونتر جراس

ترجمة: د.محسن الدمرداش

مراجعة: د. عطية العقاد

• الجرة المكسورة

تأليف: هاينرش فون كلايست

ترجمة: د. مصطفى محمد أحمد

مراجعة: د. عبد الغفار مكاوي

العدد 332 أكتوبر 2001

إبداعات عالمية

تصدر كل شهرين عن
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

سعر النسخة

الكويت ودول الخليج	**500** فلس
الدول العربية الأخرى	ما يعادل دولاراً أمريكيا
خارج الوطن العربي	دولاران أمريكيان

الاشتراكات

دولة الكويت

للأفراد	**10** د.ك
للمؤسسات	**20** د.ك

دول الخليج

للأفراد	**12** د.ك
للمؤسسات	**24** د.ك

الدول العربية الأخرى

للأفراد	**25** دولارا أمريكيا
للمؤسسات	**50** دولارا أمريكيا

خارج الوطن العربي

للأفراد	**50** دولارا أمريكيا
للمؤسسات	**100** دولار أمريكي

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام
للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص. ب: **28623** - الصفاة - الرمز البريدي**13147**
دولة الكويت

ردمك ١ - ٠٦٥ - ٠ - ٩٩٩٠٦
ISBN 99906- 0- 065-1

• الطباخون الأشرار
• الجرة المكسورة

العنوان الأصلي :

• DIE BÖSEN KÖCHE

• DER ZERBROCHNE KRUG

الطبعة الأولى - الكويت

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، 2001م

إبداعات عالمية العدد 332

صدر العدد الأول في أكتوبر ١٩٦٩م

تحت اسم سلسلة من المسرح العالمي

أسسها : أحمد مشاري العدواني

(١٩٢٣-١٩٩٠)

اسم اللوحة : إجاص وخوخ

الفنـــان : علي شمس / لبنان

المــادة : مائية على ورق

القياس : ٤٠ x ٥٠ سم

مقدمة

مسرحية «الطباخون الأشرار» هي ثالث أعمال الأديب الألماني المعاصر جونتر جراس المعروف بوصفه روائيا وشاعرا بالإضافة لكونه كاتبا مسرحيا. كتب جونتر جراس هذه المسرحية في باريس عام ١٩٥٦م وتم عرضها لأول مرة في برلين (الغربية) عام ١٩٦١م.

في الخمسينيات كتب جراس أعماله المسرحية الستة التي يتصف بعضها بالقصر وبعضها الآخر بالطول، وتم عرضها على خشبة المسرح الألماني، ولم تحدث صدى لدى الجمهور والنقاد مما دفعه لاتخاذ قرار تغيير سياسته تجاه الإنتاج المسرحي. وهذه المسرحية، التي نقدم لها، تثير عند كل من يقرؤها تساؤلا: هل تنتمي هذه المسرحية لمسرح اللامعقول؟ هذا السؤال ليس من اليسير الإجابة عنه بنعم أو لا.

فنشأة مسرح اللامعقول كانت كما أفاد مارتن إسلين Martin Esslin* على يد شترينبرج Strinberg، وجويس Joyce ، وكافكا Kafka. أما رواده فهم الفريد جاري Alfred Jarry وجيوم أبولينير Guillaume Apollinaire وأنطونين أرتو Antonin Artaud. وظهرت هذه الحركة في الغرب على خشبة المسرح بعد نهاية الحرب العالمية الثانية واتخذت باريس مركزا لها اعتمادا على كتاب المسرح ومنهم صمويل بيكيت Samuel Beckett وأرتور أداموف Arthur Adamov

(*) Martin Esslin: Das Theater des Absurden 1966/67

ويوجين يونيسكو Eugéne Ionesco وچان جينيه Jean Genet ... إلخ.
أما أهم ما صدر في هذه الحركة فهو عمل ألبير كامو Albert Camus: «أسطورة سيزيف» Le Mythe de Sisyphe (١٩٤١).

قدم مسرح اللامعقول نقدا لاذعا للمجتمع وعرض في المقام الأول صورة للموقف الإنساني اللامعقول في العالم. ولم يتميز بعدم معقولية موضوعيته فقط، بل بالصيغ التي تتناسب مع الموضوعية أيضا. تلك الصيغ والوسائل عرضها إسلين Esslin عرضا غير منظم، ثم تناولها شبيشر Spycher* في نقاط أهمها:

- يقوم مؤلف مسرح اللامعقول بإخراج الصور من مجال اللاشعور الشخصي أو الجماعي في المقام الأول من أحلام النوم وأحلام اليقظة، مما أورثته الأديان والأساطير.

- غالبا ما تكون صور مسرح اللامعقول ذات طابع شعري يتميز بالعروض الرمزية.

- لا يمكن الفصل في مسرح اللامعقول بين الكوميديا والتراجيديا.

- لا يقدم مسرح اللامعقول أهدافا واضحة.

- يلتزم مسرح اللامعقول بالأبعاد التقليدية.

هذا الالتزام بالأبعاد التقليدية أعلنه جونتر جراس في تعليقه

(*) Peter Spaychers Aufsatz:
Die bösen koche von Günter Grass-ein "absurdes" Drama?
In: Germanisch - Romanische Monatschrift 1966.

على مسرحيته ذات البنيان الراسخ «الطباخون الأشرار»، حيث لم يؤيد نظرية (المسرح المحض)، بل أراد أن يعرض المسرح كل ما يحتاجه من: شعر ولغة وحركة... فها هي مسرحيته تتكون من خمسة فصول، وهو العدد الكلاسيكي. لكل فصل ديكور خاص به. الفصل الأول والثاني متشابهان، أي أن لكل منهما مشهدين بينهما مونولوج كلاسيكي (في الفصل الأول للكونت وفي الفصل الثاني لفاسكو). كما يتميز كل فصل بمنظر خاص (في الفصل الأول: حجرة الكونت على اليسار، ومكان اجتماع الطباخين على اليمين. ثم في الفصل الثاني الذي يدور في حجرة عمة فاسكو: حجرة النوم يسارا وحجرة المعيشة يمينا. أما الانتقال من مشهد لآخر فيتم بتغيير اتجاه الإضاءة).

يظهر في المسرحية خمسة طباخين: الرئيس بتري ومساعدوه جرون وبني وشتاخ وشتيفان، الذي يحمل اسم «فاسكو» أيضا. الجميع يعملون في مطعم شوستر، أما قضيتهم فهي سمعتهم بوصفهم مجموعة من الطباخين. كما نرى أحد الزبائن، وهو هربرت شمنسكي ويحمل لقب الكونت، الذي أعد طبخة وجدت نجاحا باهرا لدى زبائن السيد شوستر ، وهو حساء أطلق عليه الزبائن اسم «حساء الرماد». لذلك قرر الطباخون أن يعرفوا وصفة هذا الحساء من الكونت ولو حتى بالقوة.

نجح الفصل الأول بما فيه من كوميديا خيالية، حيث قدم للمشاهدين تمهيدا لعالم الطباخين الأشرار الغريب دون تحديد للزمان أو للمكان. ولكنه أفاد فيما بعد أنه شهر أغسطس على

الرغم من ظهور الجليد وأنه يوم الأحد، يوم السادة. ثم نسمع البوق لسانا تراجيديا لرئيس الطباخين، ونرى اللون الأبيض لونا متميزا، مثل رداء الممرضة مارتا وغطاء السرير في حجرة عمة فاسكو المتدينة، وستائر المطبخ ثم سور بيت الكونت، وكذلك قبعة ورداء الطباخين. كل هذا مضاد للون الأسود الواضح في قلوب وعقول الشخصيات. ثم تظهر مرة أخرى حجرة بيضاء يسكنها الكونت ويرفض إعطاء الطباخين وصفة الحساء، لا لشيء سوى أن المقصود بالحساء هو خبرة حياته. أما إضافة الرماد على الحساء فهي رمز لسير الحياة في الطريق إلى الموت.

يظهر الكونت ذاته مجهول الأصل والمهنة، ولكن مجموعة وصفاته للطبخ وكذلك أحاديثه ترمز إلى شاعريته أو بالأحرى إلى أنه شاعر. وكأي شاعر فلشخصيته وجهان هما: هربرت شمنسكي المواطن البسيط الساذج المجتهد، والكونت الذي عرفه الجمهور بوصفه شاعرا رفيع المستوى. أما الطباخون فهم ذوو الهدف اللاإنساني المتمثل في الوصول لجذب الزبائن بصرف النظر عما يصيب بطونهم من مرض. هكذا لم تستهدف المسرحية عرض العلاقة بين شاعر حقيقي وآخرين مزيفين فقط، بل عرض الطباخين بوصفهم أشرارا يرتدون رداء أبيض شأنهم شأن راسبوتين، كما أعلن فاسكو، الذي يختلف هو الآخر إلى حد كبير عن باقي زملائه ويتميز بشخصية صعبة معقدة. ها هو يقف حتى النهاية في ميدان التضاد بين القوى المتضاربة: قوة المسيحية الممثلة في عمته ثم قوة الشعراء المزيفين الممثلة في الطباخين ذوي

العقول الفارغة، وأخيرا قوة الإنسان والشعر والحب والحقيقة الممثلة في الكونت ومارتا. كل الطباخين رأوا فاسكو شغوفا وحالما وشاعرا. وصفه بتري وجرون بالزاهد المقدس، أما عمته فرأته شريرا لا يؤمن بالمسيح ويتساءل دائما بدلا من أن يؤمن. هنا يظهر تضاده الواضح لعمته الكاثوليكية ضيقة الأفق في الفصل الثاني، ففي مشهد حجرة نومها، حيث يشهد فاسكو موتها وكأنه نهاية للكاثوليكية القديمة المعقدة. ربما تعمد جراس أن تحمل العمة اسم القديسة سانت تريزا، وأن يجعلها تطلق على فاسكو اسم «شتيفان» وهو الطفل المؤمن المطيع. غير أن جراس قد أوضح أن فاسكو ليس له أي ارتباط بالمسيح ولكن فقط بالعذراء بوصفها شخصية قائمة بذاتها وليس بوصفها أما للمسيح.

يعرض كل من الفصل الثالث والفصل الرابع أكبر جزء من تطور مجموعة مناورات الطباخين للاستيلاء على وصفة الحساء. بيد أن بوق تبري قد تعطل إعلانا منه لقرب زوال رئاسته للطباخين. كما ظهر قائد مجموعة أخرى للطباخين، وهو كلترر الذي يعد مثالا للضوضاء، في حجرة الغسيل حيث أراد جرون القيام بعملية مقايضة: يأخذ من الكونت وصفة الحساء مقابل أن يتخذ الكونت مارتا صديقة له.

ثم نرى في الفصل الخامس تلك الصورة الجميلة للبيت الريفي والحديقة والسور، ويبدأ مشهد مميز في عمل جراس. مارتا والكونت عادا بعد تجوال في الغابة يعبران عن الحب باللعب بالأحذية والأقدام. قدما مارتا يغطيهما الطين وليستا جميلتين

بقدر ما هما كبيرتان، مثل روحها وقلبها، ثم يضعان أقدامهما معا فوق المنضدة رمزا للحب، بيد أن مارتا تعود للواقعية وتنصحه بغسل قدميه. وها هي تجفف قدميه كما فعلت مريم بأقدام يسوع. هنا قمة الحب. هكذا مارتا كما رآها فاسكو. لم تعد ممرضة وغيرت تنسيق شعرها وجعلت الكونت ينسى كل شيء وكأن حبها (ممحاة) محت كل ما كان في عقله وقلبه. لم يدرك فاسكو مطلقا أن وصفة الحساء لا وجود لها مطلقا في رأس الكونت.

ثم سمع الطباخون في النهاية طلقتي نار بعد أن ذهبت مارتا مع الكونت، الذي قتلها وانتحر بعد أن تعارضت طبيعته وإرادة الطباخين الأشرار. ربما يصح أن نقول إن الكونت قد عانى من شر الطباخين، مثلما عانى المسيح من البشر المذنبين، مما جعل بعض النقاد يرون المسيح ممثلا في الكونت، بيد أن مارتا جففت قدميه فقط ولم تغسلهما، ولم يمت وحده في النهاية، بل كذلك مارتا*. إن هدف المسرحية ليس وصف الطباخين الأشرار، بل هو عرض النهاية الحزينة للكونت أو بالأحرى للإنسان الشاعري.

المترجم

(*) A. Schulze - Vellingshausen: Das absurde Theater. (In: Elemente des absurdes Theaters, 1961)

شخصيات المسرحية

هربرت شمنسكي، يحمل لقب «الكونت»

بتري: طبّاخ

جرون: طبّاخ

فاسكو: طبّاخ

شتاخ: طبّاخ

بني (بنيامين): طبّاخ

كلترر: طبّاخ

مارتا: ممرضة

تريزة: عمة فاسكو

السيدة كولفسر: صاحبة المغسل

طباخون تابعون لكلترر

الفصل الأول

(مشهد ليلي: حجرة صغيرة في الجانب الأيسر من خشبة المسرح حيث يجلس هربرت شمنسكي، الذي يحمل لقب «الكونت»، على منضدة أمام النافذة يكتب. أما في وسط خشبة المسرح فيتربع الطبّاخ بتري على مقعد بلا مسند وينفخ في بوق ضخم يصل إلى الأرض. مع كل نفخة بوق يقوم الطبّاخ الشاب بني بإسقاط جزء من البوق. يظهر كوبري في الخلفية التي يكسوها الضباب)

بني: ليس عاليا هكذا يا رئيسنا! برقة، برقة! (نفخة أخيرة في البوق ثم يقف بني نافرا وواضعا إصبعه في أذنه) بسرعة! (بني يضحك) راحة قبل البداية!

بتري: لا تضحك، يا ولد! ربما تكون أنت السبب. (يعود بني للضحك وبتري يركله) لا يجوز أن تضحك!

بني: ماذا جدّ؟ لن استمر في السماع أيها الرئيس! انتهى وقت العمل!

بتري: ماذا جرى مرة أخرى؟ اذهب بهذا واحضر مطرقة! المطرقة وبوق الشغل!

بني: المطرقة؟

بتري: تمام، (وهنا يشير إلى بوق صغير)

بني: (يطلق صفارة صاخبة) مهرجان كبير، البوق

الصغير! (يكرر الصفارات الصاخبة، ويأخذ مقعده، ويجر البوق الكبير على المسرح، ويحضر المطرقة الكبيرة، ويستبدل البوق الكبير بالصغير)

بتري : (يشبك يديه ليظهر أهميته) كيف حال السمع؟

بني : أحسن يا رئيسنا، الآن كلي آذان!

بتري : إذن فأنت مستعد. (ينفخ في البوق فيأتي بأصوات منغمة، ثم تظهر في الخلفية بيضة ضخمة وتتقدم للأمام دون أن تتدحرج)

بني : طازجة! (يتناول بتري المطرقة)

بتري : لعلها ما زالت دافئة. إنني شغوف على الرغم من أنه من الواجب عليّ أن أعرف... (يضع البوق جانبا ويدق بالمطرقة على البيضة بحذر حتى تتكسر، ثم يقفز الطباخ جرون من بين قشور البيضة ويحمل في يده مقلاة) مَنْ عساه هذا أن يكون سوى جرون.

جرون : أي دجاجات قيمة تلك يأتي بيضها مع الصفار المغذى بآنيات القلي. إنه بني الظريف؟ (يقذف بالآنية لبني، وهكذا كأنهما يلعبان مباراة تنس)

بتري : (ينفخ في البوق بغضب) كفاكم فخفخة! اذهب بهذه العدة، لا بد أن نعمل!

جرون : امش يا بني، وهات له الجاروف، إنه اليوم على عجل!

بني : (يجمع قشر البيضة ويضعها ساخرا فوق رأسه) تحت أي شباك أضع هذا القشر؟ (يضحك بجنون،

وينظر إليه بتري متوعدا، فيصمت بني ويذهب مسرعا، ويعود ومعه جاروف)

بتري : مرة أخرى يضحك هذا الوقح وتخرج أسنانه من فمه. (ينفخ في البوق فيظهر جبل في طول الإنسان على شكل مخروط فوق الأرض)

جرون : قد لا يكون فيه فأر (يأخذ بيده شيئا من الجبل) ملح، ملح طعام نقي ورخيص الثمن وكثير، أليس كذلك ؟ (ينحني للتحية قائلا).

سألتني ماعزة أخيرا.

ما هو أحلى من الملح؟

وكانت تحمل جرسا صغيرا في رقبتها

وتريد أن تلحس بطن قدمي

وتكتشف سرّي الصغير.

هنا صاحت وطلبت الملح.

بتري : (يأخذ الجاروف من بني) ماعزة ماهرة تلك التي تنطق الحجر (يغرس الجاروف في جبل الملح، فيقفز فاسكو خارجا منه، فينهار الجبل)

فاسكو : لا، لا! لقد قلت لكم كل شيء، أكثر مما أعلم. (بتري وجرون وبني يضحكون)

جرون : كم هو خائف، فاسكو الطيب.

بتري : دائما ضميره معذّب.

بني : ربما وقع في الحب.

جرون : يحب من؟

بني: يحب مارتا.

جرون: لذلك فقد انغرز في الملح حتى أذنيه.

فاسكو: يا سيد بتري، أنت تعرف جيدا موقفي منها، مشاركة في الهم الإنساني وإشفاق! (يقرض أظافره)

بتري: أيكون فاسكو هكذا دائما؟ أتقرض أظافرك من جديد؟ رئيسنا لا يحب هذا.

جرون: ربما يلتهب مصرانه الأعور ويرحل عنا ويحزننا موته ونبكي عليه دموعا حارة.

بتري: (يعد مجموعته من الطباخين) ناقص واحد.

جرون: ياه، ألا يكفي هذا؟ أنت تعني أنك سوف تضطر إلى أن تعزف ذلك ثانية ببوقك. نحن نعرف أنك موسيقي، وما زال عزفك في آذاننا.

بتري: لكن ناقص واحد!

جرون: حسنا، لكن بلا موسيقى!

بتري: جرون حساس ورقيق وعصبي وذو مزاج متقلب. وأنا بوصفي رئيس الطباخين، يجب عليّ أن أراعي خاطره. ولا يجوز أن أنفخ في البوق وقتما أشاء. يا للعجب! (يضرب كفا على كف. بدأ الجليد يتساقط بكثافة في الخلفية. يعود بتري ويضرب كفا على كف. يقل سقوط الجليد حتى يتوقف ثم يخرج الطباخ شتاخ من نُدَفِ الجليد)

شتاخ: ياه، في نصف أغسطس. إنه بتري الذي لا يستطيع

أن يقوم بكل شيء. (يشكل كورة من الجليد ويلقي بها فتصيب بني الذي سرعان ما يرد عليه بكرة جليد أخرى. هكذا وكأنهما طفلان. بتري يعطي إشارة بالبوق، ثم يعود النظام)

بتري : نريد ألا ننسى هدف تدريبنا. إننا نجد أنفسنا في خطر، حيث أخذت سمعتنا الطيبة تهتز، وأعرض عنا الناس، ولم يعد طبخنا ينال إعجابهم.

فاسكو : يريدون أن يقلّلوا من قيمتنا.

بتري : ويعبثوا بنا ساخرين.

شتاخ : أصبحنا ضحايا! سوف يذبحوننا! سوف يذبحوننا نحن لا الخنازير!

بتري : لا بد أن نفكر وأن نتماسك. (يصيح) الكل موافقون ولا يجوز لأحد أن ينعزل! ستكون عقوبة صارمة لمن يخرج عن التضامن المعد للطباخين... (ينظر متفحصا إلى الطباخين واحد تلو الآخر) دعنا نتحنجل يا بني! (بني يطيع الأمر ويحضر مظلة سوداء ذات أربعة قضبان. يدخل بتري وبني تحت المظلة، أما باقي الطباخين فيشكلون دائرة لعبة الحجلة)

بتري : (يغني) طبّاخ.

بني : لا، طبّاخان.

بتري وبني : يخرجان من المطبخ.

بتري : طبّاخ خرج من بيته

ومشى في ليل أسود
خرق طاقيته
ها ها ها!

بني : اثنان.

بتري وبني : الليل كله طباخون!
الليل كله طباخون!
(جرون وفاسكو يدخلان تحت المظلة)

بني : طبّاخ.

بني : طبّاخان.

جرون : مَن يعد ثلاثة.

فاسكو : يعد أربعة طباخين.

الأربعة معا : خرجوا من المطبخ.

جرون : أربعة طباخين من البيت خارجين
ونعامة صغيرة بيضاء ولعينة
تضيء في ليلة سوداء
وتضحك وتضحك
وتضحك وتضحك وتضحك!

الأربعة معا : الليل كله طباخون!
الليل كله طباخون!
(شتاخ يدخل تحت المظلة)

شتاخ : خمسة طباخين، خمسة طباخين بمعنى الكلمة،
تركوا مطبخهم وذهبوا إلى بيوتهم.

بتري وبني : لكل منهم ملعقة صغيرة

والقمر حُبيبة بطاطس صغيرة

جرون وفاسكو : النجوم كبب ناحلة*

والباقي صلصة داكنة

شتاخ : كأنها تقلبت

وبالملاعق تعككت

وصارت هي والليل

كأنها حساء.

الخمسة معا : الليل حساء!

الليل حساء!

(يخرجون ببطء)

بتري : الطباخون يقفون في كل مكان.

الخمسة معا : قفوا أيها الطباخون، قفوا أيها الطباخون...

(يظهر طباخون كثيرون في الخلفية)

بتري : الليل كله طباخون!

الجميع : الليل كله طباخون!

(الضوء يزداد وضوحا في حجرة الكونت الذي يقف ممسكا خطابا طويلا في يده. أثناء قراءته للخطاب يبدأ الطباخون في الظهور في الخلفية من حين لآخر تحت مظلتهم. نداءات بوق بتري الهادئة)

الكونت : (في النافذة) كم هم همجيون وفي البوق ينفخون!

(يقرأ) تعرف ياصديقي العزيز كم سعدت لأنك ستأتي إليّ وتكون معي (يجعل الخطاب لأسفل).

(*) كبة، كبب، كبيبة، نوع من الأكل المعروف.

الكونت : إنني أكذب بمهارة! حتى ولو عرف لن يأتي. لقد عايش البداية، ثم سرعان ما اشترى تذكرة سفر، ويكتب لي الآن هذا الكارت اللامع الذي لا شبيه له. وأنا كأني أرد. علام أرد؟ أأرد على تحياته المبعثرة التي كتبها بالقلم الرصاص؟ (يعود للقراءة) لقد كان غباء مني بالتأكيد.. ليتني لم أدخل المطبخ قط، وبقيت ضيفا، وتركت الطبخ لغيري. هل كان هذا غرورا؟ هل كانت مجاملة أن أرتدي أحيانا المريلة وأقوم بعمل شيء أمامهم؟ لقد رجوني ذات مرة وإذا بالسيد شوستر، صاحب المطعم الذي لم يهدأ أبدا، وقف خلف الزبائن، والآن يريدون وصفة الطعام! (يرخي يده بالخطاب لأسفل) لن أقول لهم! كم كان الأمر بسيطا أن أذهب وأقول: افرحوا يا أولاد، ها هو ما تريدون! (يقرأ) هذا يخيفني. إنهم يتسببون في رعبي بطريقة دخولهم، يقطعون أنفاسي، ويرهقونني حتى أتخلص منهم. ما إن يسقط الجليد حتى يختبئ واحد من الطباخين خلف قطعة غسيل بيضاء تناسب حجمه. حتى أنني ما أن أرى أوزة بيضاء حتى أشك فيها، وكذلك هذه الورقة التي بين يديّ كادت هي الأخرى تكون محلا للشك وكأني لم أكتب عليها، لقد كتبت بسرعة فائقة! (يطوي الخطاب ويضعه في ظرف يكتب عليه العنوان). كيف ستسير الأمور؟ لن ينعموا عليّ بالهدوء أبدا.

سوف يفعلون شيئا تلو الآخر، ولا شيء عندهم ضئيل. إذا ما لبسوا نظارات قصيري النظر فسوف تناسبهم، ثم سيجبرونني على ارتداء رابطة عنق زجاجية حتى يستطيعوا رؤية ما في قلبي ويقرؤونه، لكنني لن أتكلم! (ينظر من الشباك) لقد ازداد الهدوء لعل الطباخين متعبون! (يلف الشال حول رقبته) أصبح المرء يعتمد على صندوق البريد، وأكاد أعتقد أنه لم يعد شيء يربط بيننا سوى البريد (الكونت يغادر الحجرة، والطباخ فاسكو يخرج من الخلفية، ثم يتجهان إلى الكوبري)

الكونت : (يتريث ويتماسك) لغز! مَنْ عساه أن يكون هذا؟ هذا الواقف على أحد الكباري ولونه أبيض كأحد العرائس وليس تام البراءة ويقرض أظافره؟

فاسكو : (يتقدم) السيد الكونت...

الكونت : الآن يقول لي يا كونت. أنا السيد الكونت ولست شماعة الكونت، أو ببساطة ويسر أنا أحد المواطنين المجتهدين.

فاسكو : كلهم يقولون هذا، الضيوف لِمَ لا ينحني السيد سوشتر ويرقق من صوته عندما ينفتح الباب وتدخل سيادتك منه؟

الكونت : (ضاحكا) لكنك يا صديقي تعرف اسمي.

فاسكو : ألا يقولون هم أيضا لي «فاسكو»، وكأن هذا هو اسمي؟

الكونت: إنه أنت المستكشف الكبير*، الذي رفض أن يصدق أنه ليس هناك سوى القارات والبحار المعروفة.

فاسكو: أنا طبّاخ، طباخ، أينما كنت طباخ!

الكونت: لا يستطيع أحد أن ينكر هذا. ماذا تريد؟

فاسكو: لا مؤاخذة!

(يريد أن يمسك الكونت الذي سرعان ما يفر منه)

الكونت: ماذا؟

فاسكو: الوصفة، لا مؤاخذة! أما زلت تتساءل؟ ألم أقل لك دائما: اعطني الوصفة!

الكونت: والآخرون؟ لا يجوز أن تقرض أظافرك. أتعتقد أن جدك الكبير كان عصبيا هكذا عندما اكتشف الطريق إلى الهند؟

فاسكو: لست هنا لأتحدث عن المستعمرات. الوصفة إذا أردت أن تبقى سليما.

الكونت: ماذا سيقول بتري عن هذا؟ هل يعرف أنك تتربص هنا بأحد المارة المسالمين في منتهى المهارة والإتقان؟

فاسكو: لا.

الكونت: هكذا!

فاسكو: هل ستقول له؟

الكونت: أنت ساذج جدا.

(*) المقصود هو الملاح والمستكشف البرتغالي فاسكو داجاما Vasco da Gama (١٤٦٩؟ ١٥٢٤)، الذي قام بأول رحلة بحرية إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح (١٤٩٧ – ١٤٩٨).

فاسكو : لن يلاحظ، بل سيعتقد أنني عند عمتي لأنها مريضة، ومارتا ...

الكونت : وماذا عن هذه الفتاة؟

فاسكو : الآن، لا مؤاخذة! إذا كنت تقول إنه من الخطورة أن يطول هنا الحديث، فقل بسرعة وسوف أنصرف فورا.

الكونت : مَنْ عند عمتك؟ مَنْ يرعاها؟

فاسكو : ما هذا؟ هل نحن هنا الآن لنتحدث عن المرض؟ الحساء، إنها الوصفة!

الكونت : لا يا فاسكو! هذه الليلة ليست الليلة المناسبة لذلك، فالغيوم ظهرت أمامي فجأة. اذهب إلى المنزل بقبعة الطباخين وإلا طبقها الليل على رأسك! اذهب! (يصفق بيده ثم يمشي بعض الخطوات حتى يوقفه فاسكو).

فاسكو : لمن تصفق؟ هل أنا ديك يطير إذا صفقوا له؟ هات!

الكونت : ماذا؟ شالي؟ حالا! (يضع الشال على أكتاف فاسكو) رباط عنقي والحمالة يؤلمانني. أم تريد رباط الحذاء؟ (فاسكو يرفع الشال ويعيده للكونت صامتا) ألا يعجبك؟ أتريد شيئا آخر لدي؟ (يتحسس نفسه باحثا).

فاسكو : (متنقلا من مكان لآخر) لن أبيح بهذه الوصفة لأحد أبدا .. ستكون لي وحدي. سوف أحفظها وألقيها أمام المرآة وكأنها قصيدة شعر جميلة

ستنال كل إعجابك ولا يمكنك أن تقول إن فاسكو تعلمها خطأ.

(يضحك ويقفز عدة قفزات)

سوف نسعد ونقولها لبعضنا البعض ونعلم مغزاها.

(ينظر للكونت الذي يصمت)

يمكن ألا تتقابل وجوهنا، بل ظهورنا، حتى لا يمنعك الخجل أو الخوف عن الحديث معي.

الكونت: لا أخشى شيئا، ولا أخجل من شيء، وقد قلت لا، ماذا تريد؟

فاسكو: (بشدة) ورقة الوصفة! ماذا يجب عليّ أن أفعله حتى تعطيني إياها! هل لا بد أن أصعد فوق عمود الضوء (يتسلق عمود الضوء) وأصر على أسناني؟ (ينزل) أو أركع على ركبتي؟ (يركع) وأضرب على صدري وأقول من فضلك، أتوسل إليك؟

الكونت: أما زلت تقصد وصفة الحساء؟

فاسكو: (ينتفض) عمّ أتحدث إذن؟ لا أعلم لونها، الجميع يقولون «الحساء الرمادي» ويدخلون المطبخ بملابسهم السوداء مع نسائهم الشقراوات، بعطورهم الجميلة ويقولون لي: اطبخها لنا يا فاسكو!» والآن ماذا أفعل؟ هل يجوز أن أعترف أنني طبّاخ سيئ وأقول لهم اذهبوا من فضلكم لسيادة الكونت الذي يعرف كيف تكون، وطبخها هنا مرتين أو ثلاث وبهر الناس بها؟

الكونت : لقد رجاني السيد شوستر.

فاسكو : والآن يرجونني أنا. (ينحني ويحك بيده الأرض) هل يجب عليّ أن آخذ القذارة من هنا ثم أقلبها في الحساء حتى يأخذ اللون الرمادي؟

الكونت : لم أطلق على الحساء هذا الاسم.

فاسكو : بل الناس!

الكونت : لا يجوز أن تنصت لهم، فهي بلا اسم. (يمشي ذهابا وإيابا ويتبعه فاسكو) جميل، لكن أعترف أن هناك شيئا ناقصا في هذا الاسم. ربما هو حساء نوفمبر أو حساء العنقاء أو حساء البهاء الرمادي. آه! تتصور؟ أريد أن أطلق عليه هذا الاسم رجوعا إلى هولشتين* القديم الذي كان طباخا ماهرا.

فاسكو : (بشدة) أيا كان الاسم. مجرد أن أطبخ الأكل المشهور سوف أنال الإعجاب بالسمعة.

(مارتا تدخل من اليسار مرتدية زي الممرضات)

مارتا : شتيفان!

(الكونت وفاسكو يرتجفان)

فاسكو : (بغضب) ما هذا؟ لماذا تتجولين هكذا في الليل وتتركين من هم في حاجة إليك؟

مارتا : رئيسة الممرضات بعثتني للعمة حتى أهتم بها.

فاسكو : ولماذا أنت هنا الآن ولست معها لتعطيها الدواء؟

(*) المقصود هنا هو فريدريش هولشتين الدبلوماسي الألماني القديم (ولد بمدينة شفيدت في ١٨٣٧/٤/١٤ وتوفي ببرلين في ١٩٠٩/٨/٥) الذي نال في بداية حياته السياسية إعجاب بسمارك، الذي أصبح من بعده ملهما للروح المحركة للسياسة الخارجية التي قادها تحت شعار «البهاء الرمادي».

مارتا : كنت مع العمة، لكنها سألت عنك لأنك أردت...

فاسكو : العمة، العمة، دائما العمة. أليس هذا ما يجب عليّ سماعه دائما؟ قولي «العمة» مائة مرة، لكن بسرعة، ثم اسألي نفسك! هل العدد زائد أم ناقص؟

مارتا : شتيفان!

فاسكو : (يضع يده خلف أذنه متظاهرا أنه يصغي إليها)
لا يمكنني أن أسمع إذا ما توجعت. ألم أنهك عن هذا؟ هل أصبح اسمي شماعة تعلق عليها الآلام؟ ألا ترين من يقف أمامك؟

مارتا : معذرة!

الكونت : لا شيء يا ابنتي. إن ما نقوله هنا مجرد كليمات إذا سقطت على الكوبري نادرا ما تهتم بها صغار الأسماك.

مارتا : هل عليّ أن أذهب الآن؟

الكونت : سوف يأتي معك فاسكو، هذا المجتهد الطيب، ومع هذا قد نسي العمة.

فاسكو : لم ينس! لكن عليها الآن أن تذهب وألا تقلقنا!

مارتا : لكن، لكن...

فاسكو : أتريدين أن تقولي الكلمة نفسها مرة أخرى وكأنها كلمة تخص أذني؟ ألا ترين أن الكونت يتحدث معي؟ أتريدين ضرري؟
(يستعد لضربها لكن الكونت يرجعه)

الكونت : من فضلكم، اذهبا الآن!

(تتراجع للخلف بتردد)

فاسكو: الآن عندها شتيفان. ستأتي باللحم وتفتح الفم.

الكونت: اهدأ! لا ينبغي أن يأتي مثل هذا العنف منك. (يتركه)

فاسكو: ماذا أتى بها وأنا هنا؟

الكونت: لقد تحدثت عن العمة.

فاسكو: آه! لعلها ترى أن هذا يؤثر عليّ! لعلها! لكنني سوف أجعل كل شيء ينهار ويجرها للعراك.

الكونت: أنت ظالم! أولا وأخيرا هي عمتك و...

فاسكو: عمتي، عمتك! هل هي من أملاكي؟ هل عليّ أن أتجوّل في الشارع وأقول: أنا لدي عمة؟ ألا يكفي ما تفعله الممرضة؟ هل رأيت وجه عمتي؟ عندما أراها تتشتت أفكاري. أنسى أشياء مهمة، لأنها تبدو أمامي وكأنها مخدّر!

الكونت: الحق أنك تبدو مرهقا.

فاسكو: نعم، نعم.

(ينظر حوله مشتتا)

الكونت: ستسير معي الأمور، وربما معك أيضا، أليس كذلك يا فاسكو! لقد تحدثنا كثيرا.

فاسكو: عن ماذا؟

الكونت: عن لا شيء مهم. يجب أن أذهب للبريد لأرسل هذا الخطاب. (يريد الخروج وفاسكو يتابعه ببصره)

فاسكو: خطاب؟ (يمسكه بقوة) ماذا كتبت هنا؟ هل هنا، هل هنا...

(يدفع به إلى سور الجسر)

الكونت: لا، بكل تأكيد. أنت تعني...

فاسكو: بين يدّي الآن! (يضحك) الآن ستتكلم. لن يسمعك أحد سواي. (يهزه) تكلم الآن! الآن!

الكونت: (ضاحكا) أيجب عليّ أن أعود للثرثرة؟ ماذا تريد أن تسمع؟ أتريد أن تسمع أنك طباخ كبير وأن ليس هناك أبدع مما تطبخه أنت وأنك تحرك مشاعري.
هل هناك ولو ملعقة واحدة في طبخك لا تؤثر عليّ؟ دع كل شيء يسير الآن على ما يرام. (يريد أن يتحرر من قبضة فاسكو الذي أحكم قبضته عليه ودفع به إلى سور الجسر) لكن، لكن! هل هناك مصارعة بلا متفرجين؟ أنا لست يعقوب وأنت ملاك سيئ (فاسكو يريد أن يدفع به مرّة أخرى، فتسقط طاقيته من فوق الجسر) فاسكو، فاسكو! يجب أن أعترف لك بشيء.

فاسكو: (يتوقف) والآن؟

الكونت: لقد فقدت طاقيتك. إلى أين ستعوم تلك الطاقية؟

فاسكو: (يحرره من قبضته ويتركه ثم ينحني على السور) فقدت الطاقية جمالها في الماء.

الكونت: (يعدل ثيابه) أهكذا بذلت كل طاقتك أيها الصبي المسكين! لماذا؟ أأردت أن تغرقني مع الوصفة وتعدّنا

وجبة طعام للأسماك؟ (ينحني على السور مثله وينظر في الماء) أترى أن الطاقية فقدت جمالها تحت الماء؟ لعلّي أبدو أنا أجمل؟ ربما كانت الحياة جميلة هنا تحت الماء، حيث لا تسقط علينا الأمطار، ولا تصيبنا الطلقات النارية، ولا ينادي أحد على الجرائد. باختصار، تكاليف المعيشة أقل بكثير تحت الماء! (يربت على كتف فاسكو)

فاسكو: لعلك تمزح قليلا.

الكونت: كيف يمكنني هذا؟ هناك أمور في هذا العالم لا أجدها فكاهية مطلقا. على سبيل المثال أنك تريد أن تبيعني. تريد أن تجعل من حياتي الخاصة عملا تجاريا. انظر هنا وانتبه وقدّر قيمة الشهيق والزفير. (يقفز فوق سور الكوبري ويسير عليه بمهارة شديدة، بل ويأتي ببعض الحركات البهلوانية)

فاسكو: كف عما تفعله فوق السور!

الكونت: ألا يعجبك؟ أتريد شيئا آخر؟ حسنا، ليكن هذا الخطاب! (يخرج الخطاب من جيبه) أنت تريد أن تعرف... سوف أرسله لطاقيتك حتى يستطيعا أن يتسامرا معا. (يلقي بالخطاب من فوق الكوبري)

فاسكو: تعال الآن!

الكونت: كان من الواجب عليّ أن أسجل هذا اختراعا يستطيع المرء أن يصبح بعده غنيا. ألا وهو صندوق

بريد بسيفون.

فاسكو: أرجوك!

الكونت: آه، دعني برهة أخرى. غالبا ما أشعر هنا وكأنني حر ومستكشف ورائق البال. من المستطاع أن نجمع بين البريد والصرف الصحي حتى نُقِلَّ من الأجهزة الإدارية بقدر معقول...

فاسكو: (يجذبه من فوق السور) لا أستطيع أن أرى هذا.

الكونت: كم أنت حسّاس.

فاسكو: سيدي الكونت...

الكونت: لا، من الآن لا تقل سيدي الكونت. أو قل كما تريد، وأطلق الاسم الذي تريده على الحساء حتى تهدأ ولا تبكي! إنه حساء الكرنب المعتاد تماما. كل ما أفعله هو فقط إضافة كمية محدودة بدقة من الرماد. لا تحتاج لشيء خاص حتى تصل لهذه السلطانية! الآن، اذهب يا فاسكو بالقبعة أو من دونها، هنا ليس مكانك. (يعبر الجسر متجها لليمين، ثم يلتفت مرة أخرى) طبّاخ يقف على الكوبري في الليل، لا يجوز هذا حتى وإن كانا طباخين أو كانوا ثلاثة أو أربعة. صدقني حتى ولو كانوا أفضل خمسة طباخين، وهذا القمر فوق البيعة... (يهز رأسه) كما لا يجوز أن تقرض أظافرك! (الكونت يمشي خطوات سريعة. الطباخ شتاخ يدخل في المشهد من جهة اليسار)

شتاخ : تمام تمام، هو أنت! لا شيء على رأسك ودائما ما تعود لقرض أظافرك. ألم تسمع ما قاله؟ (فاسكو ينظر في الجانب الآخر) إلام تنظر؟ هل هناك شيء آخر؟ لقد ذهب!

فاسكو : مشى وكأن لا أحد هنا.

شتاخ : اثنان هنا.

فاسكو : لقد ولى ولم يؤثر فيّ.

شتاخ : لم يؤثر فينا جميعا، هنا اثنان! وأقول لك كن سعيدا لأنني وليس بتري هنا (يدفعه) يجب أن تقف هنا وليس هناك حيث الفراغ!

فاسكو : (يستدير ببطء) سواء إذا كان هنا واحد أو اثنان، سيقضى علينا جميعا. إنه يأتي بقدميه المسحاوين (فلات فوت) وهو كبير الماكرين. يقول لي يا فاسكو ولك يا شتاخ. كما يقول يا بتري ويا جرون ثم يدق بيديه فوق الأكتاف. سواء إن دق بيمينه أو بيساره، إنه يقضي علينا، يقضي علينا.

شتاخ : نقضي نحن عليه!

فاسكو : إذا ظللنا ندبر هذا عشر مرات ببطء شديد سيقضي هو علينا في النهاية!

(ينحني على سور الجسر)

شتاخ : لا تفعل هذا، فهو ضار بالعيون.

فاسكو : ربما الطاقية معلقة هنا.

شتاخ : (ضاحكا) أو أن أحدا صادها بالعصا. (فاسكو

يتقدم وشتاخ يتراجع) ألم أقل إنني قمت بالصيد؟

فاسكو: ستعطيني إياها إن كانت معك!

شتاخ: لا شيء معي! (يمسك رداءه) ليس معي سوى هذا. عم نتحدث؟ عن الطاقية أم عن الكونت أو من الأفضل عن مارتا؟ إنها الممرضة وأنت الطبّاخ. أعرف كل هذا وأصابني الملل! ما الذي يمكن أن تتحدثا عنه إذا تقابلتما؟ هل ستقول: «ما هذا يا مارتا، أهي أنفلونزا أم هو نزيف الأنف؟» وهي تقول: «فاسكو».. لا. ستقول: «شتيفان»...

فاسكو: اخرس!

شتاخ: إذا ضربت سأقول لبتري!

فاسكو: اذهب الآن!

شتاخ: لا أستطيع أن أتركك وحدك هنا ، هكذا برأس عارية.

فاسكو: (يمسكه ويدفعه للأمام) ماذا أفعل به؟ (يرفع حجرا ليرميه به)

شتاخ: (يهرب ثم يقف لحظة) احذر، أقول لك، احذر! (شتاخ يفر وفاسكو يلقي الحجر من فوق الجسر)

فاسكو: «بلب» كم هي من كلمة. (يريد الاتجاه يمينا، فإذا بمارتا تأتيه من اليمين وتحت إبطها ربطة صغيرة. يقفان متواجهين بعض الوقت ولكنهما صامتان) هل تكلمتما؟ تكلمي! لا بد أن تكوني قد قابلته. هل قال إنه غاضب؟ لا تقفي هكذا كالتمثال!

مارتا : كنت لدى السيدة كولفسر.

فاسكو : لكن لا بد أن تكوني قد قابلته، إذا كنت... ماذا بخصوص كولفسر؟

مارتا : الغسيل (تريه الربطة الصغيرة)

فاسكو : انتهى؟

مارتا : ليس كلّه، فقط...

فاسكو : (يأخذ منها الربطة ويفتحها بسرعة) لم تخبريني بما تحملينه. (يأخذ قبعة طبّاخين ويضعها فوق رأسه) جيد هكذا؟

مارتا : أين الأخرى؟ ماذا فعلت يا شتيفان مع السيد...

فاسكو : لم أفعل شيئا. ما زال حيا وعلى الرغم من ذلك فإنه لم يقل كلمة واحدة. كيف حال عمتي؟

مارتا : إنها تسأل عنك.

فاسكو : لا أعرف كيف سيكون حالي وأنا أراها تموت. ربما يجب عليّ خلع القبعة وألا أكون طباخا لمدة خمس دقائق. (مارتا تتقدم ثم يسيران معا متجهين ناحية اليسار)

الفصل الثاني

(منزل العمة: العمة راقدة على فراشها بالحجرة اليسرى. ساعة معلقة فوق الفراش بها ديك للصياح. صليب مثبت في الركن الأيسر من الحجرة. مرآة صغيرة على يمين الفراش. ملاءات جافة معلقة على حبال في الحجرة الفارغة، التي تتقدمها في أقصى اليمين مدفأة حجرية أمامها كنبة. كرسي واحد في منتصف الحجرة. أما الحجرة اليسرى فهي أكثر ضوءا من اليمنى. مارتا وفاسكو يدخلان من اليسار. ديك الساعة يصيح من آن لآخر دون انتظام)

فاسكو: دائما يصيح؟ ما من أحد يريد أن ينزعه من على الحائط ويتخلّص منه؟

مارتا: أتقول إن صياحه شديد الدقة.

العمة: أأنت يا ابنتي؟

مارتا: أحضرت لك شتيفان معي، هل تسمعين يا عمتي؟

العمة: حقا؟ هل كان في الكنيسة؟

مارتا: (تقول لفاسكو) تفضل!

العمة: انظري يا صغيرتي وقولي لي إن كان هو أم لا!

فاسكو: عندي برد.

العمة: أهكذا حالك، كيف أصابك هذا البرد؟

فاسكو: كالمعتاد، دائما الجو بارد؟

العمة: يا صغيرتي مارتا، لماذا لا يقول لي شيئا عن سبب إصابته بالبرد؟

فاسكو: سأقول! بعض الناس سعلوا وكأنهم جاءوا الكنيسة فقط لكي يسعلوا.

العمة: وأنت، هل صلّيت؟

فاسكو: عندما كنت هناك.

العمة: لمن؟

فاسكو: أولا لأنطونيوس* لأن أشياء كثيرة ضاعت منّي، ثم كالمعتاد للعذراء.

العمة: أي شيء ضاع منك يا شتيفان؟

فاسكو: آه، هذه الأسئلة. لا شيء مهم، مجرد أشياء بسيطة.

العمة: لكنك قلت في البداية...

فاسكو: لأنطونيوس. ولم لا؟ لكني صليت بعد ذلك للعذراء.

العمة: ثم ماذا؟

فاسكو: لا شيء! أترين أنها (العذراء) ستتسامر معي؟

العمة: شتيفان، شتيفان! كيف أصبحت هكذا! كنت تأتي إليّ دائما، وتروي لي.

فاسكو: (ضاحكا) نعم، كنت، وكانت لي آذان أخرى أسمع بها مزامير الملائكة التي ألهمتني كينونة العذراء.

(*) أنطونيوس فون بادوا (١١٩٥ - ١٢٣١) المعروف بصلواته لمباركة الزواج وكذلك للعثور على أي شيء قد ضاع.

العمة: ما زلت يا بني كما كنت، ورعا وتقيا! (ديك الساعة يصيح) هل تسمعين يا صغيرتي مارتا كيف تصيح الساعة؟ خمس عشرة مرة!

فاسكو: سبع عشرة يا عمتي، اثنتان ناقصتان عندك. (العمة تعتدل في جلستها)

العمة: آه، آه! هو شتيفان مرّة أخرى. يعرف كل شيء أكثر من الآخرين. ها هو يأتي من جديد ويقول إن ما نعرفه نحن خطأ. اذهب عنّي! اذهب! دائما يكذب ولا يقول شيئا عما ضاع منه. لم يكن قط لدى العذراء، ربما لدى أنطونيوس، لكن لم يكن ولا مرة مع عذرائنا! (تعود ويتراخى ظهرها إلى الفراش)

فاسكو: لا أعلم أبدا ماذا تريدين. لا مؤاخذة! أنت أخطأت في العد، ولم لا؟ أنت مريضة وراقدة.

مارتا: سوف نعد معا المرة القادمة، أليس كذلك؟ أو آخذ الساعة معي غدا لإصلاحها. ربما فيها عيب بسيط، وتعود إليك بأقصى سرعة.

فاسكو: أتسمعين يا عمتي؟ سأدفع أنا. أنت تريدين ساعة جديدة؟ قولي! (يوجه حديثه لمارتا) لم تعد تسمع أو أنها لا تريد السمع. يا له من تخريف! كأني لا أستطيع العد. الساعة آخر لخبطة. ليس فيها ديك بل كلب، لا يخرج منها صياح بل نباح.

العمة: (بصوت حاد) اخلع قبعتك يا شتيفان! الآن يمكنك أن تخلع قبعتك. (فاسكو يخلع قبعته) اجلس على

السرير! لا، هنا عند نهاية السرير! أنت كالح الوجه من دون قبعة!

فاسكو: (يقف) يمكنني أن أرتديها من جديد.

العمة: قلت لك ابق على السرير! (يجلس) لا، لا، لا فائدة. ما زلت تبدو كالح الوجه حتى بالقبعة. كان أملي أن تبدو أقل قبحا من دونها.

مارتا: أنتِ منفعلة. من الواجب أن نبقى معا، سيكون من الأفضل.

العمة: لماذا تبدو هكذا؟ اقترب يا شتيفان! أما زلت طباخاً وتنضم للطباخين إذا اجتمعوا؟

فاسكو: ولمَ لا؟

العمة: أخي، أقصد أباك، لا يجوز أبدا أن تنسى أن أباك كان أخي.

فاسكو: آه، هكذا ستبدأ رواية قصتها المعتادة من جديد.

العمة: أبوك جيسس (Jesses) كان كذلك طبّاخا. وكيف كان! كم قهرني وضربني.. تصوري يا مارتا! ضربني. لماذا هم أشرار هؤلاء الطبّاخون؟ هل المغرفة هي التي تجعلهم أشرارا؟ هل كلما قلبوا الطبيخ صاروا أشرارا؟

مارتا: اسمعي يا عمة. إنه أتى ليزورك وهو سعيد بذلك.

العمة: (تضحك بسخرية) أسعيد هو! يأتي ويهرج ولا يقول شيئا عن صلاته ولا عن الطباخين ولا عن سبب كونهم هكذا، لا عم ضاع منه حتى يتوجه

لأنطونيوس وليس للعذراء.

فاسكو: لكنني شرحت لكِ...

العمة: اخرس! ما معنى أن يضع هؤلاء القبعات على رؤوسهم، هل هم أشرار؟ وحتى إذا خلعوها فهم أشرار. يا سيدتنا مريم، يا سيدنا يوسف، كيف سيصير حال هؤلاء! اعتقدت دائما أن الطباخ إذا خلع قبعته متعبدا فهو مسيحي.. أسامع أنت يا شتيفان؟ مسيحي! (تبكي بشدة)

فاسكو: (يقف) ألا يكفي هذا؟ لماذا آتى هنا؟ دائما كل كلامها عن تعاليم الدين المسيحي، دائما عن العذاب!

مارتا: أرجوك يا شتيفان.

فاسكو: يا شتيفان، أرجوك، أرجوك، يا شتيفان! وهي؟ أليس لها اسم، هي فقط العمة. هل قال لها الأب يا عمة؟ لقد ناداها يا تريزا! وإذا هو ناداها هكذا فهي قد عرفت ما يقصده. وأنتِ أيضا لماذا تقولين لها يا عمتي؟ هل أنت قريبتها، هل هي عمتك؟ لا! حسنا فأنت إذا من أهل السبيل*، حيث يقول الجميع لبعضهم يا أخي، يا أختي، يا عمتي. هل نحن هنا في السبيل؟ لا! لماذا أنت إذا هنا، لماذا أنتم لا...

مارتا: إنها تريد... افهم يا شتيفان.

(*) السبيل أو التكيّة نزل للمسافرين والفقراء تنفق عليه منظمة دينية.

فاسكو: وأنتِ، هل عندك إجازة؟ وإلى متى؟

مارتا: المرضات فلن يجب عليّ فقط رعايتها، ولعل هذا هو القائم بالفعل. رئيسة الممرضات عطوفة جدا.

فاسكو: من هي هذه الممرضة؟ وأنتِ مَنْ تكونين؟ وأنا مَنْ أكون؟

مارتا: لم أقصد هذا.

فاسكو: أنا الشرير! ألم تقل هي هذا؟

مارتا: اهدأ الآن، وإلا ستثور وترتفع درجة حرارتها.

فاسكو: (يخلع قبعته ويقف أمام مرآة صغيرة) أترين! هنا! من دون القبعة طباخ شرير! بالقبعة طباخ شرير! من كل مكان، من الخلف ومن اليمين ومن اليسار ومن أعلى ومن أسفل ومن قريب ومن بعيد، دائما شرير. أي كلمة هذه؟ أهي كلمة مثلها مثل «القبعة» أو كلمة «فوهة الفرن»؟ هل كلمة شرير أصبح معناها العصيدة؟ أم تعني السمك إذا كان أبيض اللون وله رائحة الليمون؟ أم هي وخزات في لحم الخنزير وهو في المقلاة؟ أم هي الملح؟ وهل الملح شرير؟ أليس الملح مسيحيا؟ أم هو الديك المحشو بالمشهّيات وبعض الدهون؟

(يحدّق إلى المرآة)

العمة: هل لبست قبعتك يا شتيفان؟

فاسكو: أنت قلت أن الأمر سواء.

العمة: هل لبسها يا صغيرتي؟

مارتا: لا يا عمتي، لقد خلعها.

فاسكو: لبستها، لبستها!

العمة: تعال هنا!

فاسكو: (يقف أمام الفراش) نعم!

العمة: القبعة!

فاسكو: (يلقي بالقبعة، وترفعها مارتا من الأرض) عندما تصدرين أوامرك هكذا، ليس أمامي سوى الضحك.

العمة: اركع على ركبتيك!

فاسكو: يا ساتر، ثم ماذا؟

العمة: اضربيه على ركبتيه يا صغيرتي مارتا! اضربيه إذا لم يستجب.

مارتا: (بصوت منخفض) كن مطيعا!

فاسكو: (يركع متراخيا على ركبتيه) هل يكفي هذا؟

العمة: ابدأ!

فاسكو: هل يجوز لي أن أصلي هنا؟

العمة: لا تنظر إليّ ولكن انظر إلى ربك. الآن فورا!

فاسكو: لا يحضرني شيء الآن.

العمة: أيها المسيح كثير الآلام. باسم الأب، هكذا أكمل، أكمل! (الديك يخرج من الساعة ويصيح مدة طويلة دون انتظام)

فاسكو: (يقفز) دعي الديك يصلّي! لقد تعلمها وحفظها. كما أنه يصلّي أكثر مما تريدين. فهو يبتهل

للمسيح كثير الآلام ويأتـي بتسابيح لا أعرفها!
(يدخل الحجرة اليمنى دون قبعته ويجلس على الكرسي)

مارتا: شتيفان!

العمة: (ضاحكة) يهرب وقد حل عليه الغضب.

مارتا: ماذا فعل؟

العمة: عمّا تتساءلين؟ أتحبين أن تكوني مثله دائمة التساؤل؟ هكذا حلّت عليه الكآبة التي جاءته من الشيطان.

مارتا: أنتِ تقولين هذا يا عمتي. أنا لا أعرف.

العمة: بلى، هكذا الطباخون، بهم دائما قدر من الكآبة. (تضحك)

مارتا: هل أنت الآن على ما يرام؟ لقد عدتِ للضحك من جديد.

العمة: لكنني أريد أن أعرف فقط، لماذا يقرض أظافره دائما؟

(تقل الإضاءة في الحجرة الأولى وتزيد في الثانية. فاسكو واقف. أثناء حديثه يقل وضوح ما حوله من أشياء، الملاءة والمدفأة)

فاسكو: لماذا تموت هكذا دون أن تبذل أي جهد؟ أتريد أن تخدعني وآخرين غيري؟ هم يقولون لي يا شتيفان ويا فاسكو. لقد كان هو أول من جاء وقال: «اسمك شتيفان؟ ما هذا الجنون! أنت فاسكو، فاسكو الملاح

المستكشف المرتحل للهند وعابد التوابل!» ألم أتعلم وقتا طويلا؟ ألم يقل لي أبي في يوم من أيام الأحد وكانت أمي نائمة: اذهب إلى السيد بتري «فذهبت يوم الاثنين بعد أن أعطاني أبي نقودا من أجل غطاء السرير، وقلت بصوت مبحوح لبتري: «هذا غطاء السرير. هل من الممكن أن أتعلم عندك. مع تحيات أبي». فضحك هذا البتري وقبلني، ثم مضت الأعوام وهو يزعق: «افعل كذا، وافعل كذا، وكذا لا يكون». أما الآن فعمتي راقدة وتصرخ: «اخلع قبعتك!» (يمد يده إلى رأسه ويقفز) أين القبعة؟ آه لو رأى بتري، آه لو رأى رأسي عارية. (الطبّاخ بتري يظهر وفي يده بوق صغير، ثم يدخل من خلف الملاءة. فاسكو يتراجع في مقعده ويرفع يديه خائفا. بتري ينفخ برفق في البوق)

بتري: ماذا أرى الآن!؟ أأرى أحد الخائفين. لماذا؟ ربما لأن رأسه عارية؟ هل أزاحت نفخات بوقي الرقيقة ما كان على رأسه؟ أين قبعتك يا فاسكو؟

فاسكو: إنها عمتي يا سيد بتري.

بتري: عمتك، دائما السبب عمتك.

فاسكو: كنت عندها، وكان الجو حارا لأن الشبابيك مغلقة...

بتري: لذلك رميت قبعتك؟

فاسكو: لا!

بتري: قل الحقيقة! أنت خلعتها ورميتها في أي مكان، في حقل بنجر أو من فوق أحد الكباري، وكأن الليل درج خاص بقبعات الطباخين. (ينفخ مرة أخرى في البوق) ماذا سيظن من يجدها؟

فاسكو: لن يجدها أحد.

بتري: (ينظف البوق) سوف يلتقطها ويقول: «شيء مضحك. الآن يسير أحد الطباخين وحيدا وكأنه توأم مات أخوه، يسير طوال الليل مسلحا بملعقته الصغيرة ويريد أن يعد لنفسه حساء أسود».

فاسكو: لا بالتأكيد، كيف أصل لهذا!

بتري: (صوت البوق) إنه الحساء المعروف بحساء الرماد.

فاسكو: إنه خلط للأمور، بالتأكيد خطأ!

بتري: سيجول بخاطر ذي الحظ السعيد عندما يجد القبعة أنه خطأ جسيم. كيف يريد طبّاخ مبتدئ في هذه الليلة ذات الغيوم أن يطبخ بمفرده الحساء. أما إذا كانت مجموعة من الطباخين، خمسة تقريبا، فربما ينجحون. أليس كذلك؟

فاسكو: لا مؤاخذة! يا سيد بتري...

بتري: هل أراد أن يقلّبها طوال الليل حتى تنضج؟ أو أراد أن يدعها تفور؟

فاسكو: تصيبني بلوة إن فكرت في هذا!

بتري: يبدو هذا أيضا في منتهى الخطورة.

فاسكو: (يركع) آه صدقني! كنت عند عمتي، و...

بتري: ما هذا؟ أهي صلاة؟ أترى أنني مريم العذراء أو القديس أنطونيوس الذي يصلي له مَنْ يفقد قبعته على سبيل المثال؟

فاسكو: آه أرجوك يا سيدي!

بتري: انهض! (فاسكو ينهض) آه أرجوك! آه! كم هي كلمة جميلة ذات رنين. هل أصبحت شاعرا أو إنسانا يردد الآه دائما إن لم يحضره شيء آخر؟ اخرس! (صوت البوق) إنني أعرف كل شيء! أنت تريد الابتداع والاختلاق، وهذا ما نستطيعه نحن أيضا. يا جرون! يا جرون! (الطباخ جرون يقفز من الفرن وكأن هذا هو منزله الدائم)

جرون: لم يكن الأمر بسيطا!

بتري: كيف؟ ألم تحصل على كل شيء؟

جرون: بلى، بلى، بلى، لكنه ليس المراد.

بتري: لكن هل معك ما يكفي؟

جرون: بعد الميزان، تسعة أكياس.

بتري: «ضاحكا» أولادي، أولادي! (صوت البوق) اخرج يا شتاخ! (الطباخ شتاخ يخرج متدحرجا من تحت كنبة المدفأة)

شتاخ: الملعقة الصغيرة!

(يظهر الملعقة الصغيرة بين يديه)

جرون: هي بالضبط! دع بني يدخل الآن. وإن أمكن دون موسيقى. (بتري يُنزل البوق)

بتري: أوه، ها هو السيد جرون! (يصفق) هيا أيها الشباب، أحضروا النار وابدؤوا العمل! (باب الفرن الكبير ينفتح. الطباخ الشاب بني يتسلق بمهارة ويخرج من الفرن ومعه الحلّة والنار)

بني: كيف أفعل هذا يا رئيسنا؟

بتري: الطبخة الآن كما يجب. (صوت البوق) أي جديد جئت به يا أحسن جرون. (جرون يبدأ الرش بالملعقة من أكياسه في الحلّة)

جرون: جميل أن تأتي بالجديد. لكن هل أنا شاعر حتى أختلق الجديد؟ لقد حسبت؟ جمعت وطرحت وقسمت بمقدار لا يجوز الجهر به. (الجميع يضحكون فيما عدا فاسكو)

فاسكو: لا مؤاخذة! كيف هذا؟

جرون: فاسكو هنا دون قبعة.

شتاخ: لهذا فهو يقرض أظافره وكأنه يتناول مشهيّات.

بتري: ألا ترونه قبيحا دون القبعة؟

جرون: أكاد أدعي أنه يبدو عاريا.

بني: سوف يصيبه البرد.

شتاخ: لكن أين ترك قبعته؟

بني: ربما باعها أو أن خطيبته الصغيرة حولتها إلى مريلة؟

شتاخ: فيما تحتاج المريلة وهي ممرضة؟

(الجميع يضحكون فيما عدا فاسكو)

بتري : دعوا هذا المزاح، لا نريد أن نصير هكذا.

جرون : لم نرد سوى أن نرشده بصدر رحب كيف يجعل الطبخة بيضاء في الحلّة ثم يعطيها لونها.

شتاخ : قل لفاسكو إنه دائما ما يكون فضوليا إلى حد ما.

بتري : أين نبدأ؟ فلنبدأ هنا على سبيل المثال، في الكيس الأزرق.

جرون : كم هي حارَّة، لا تجعلوها هكذا بل أخف!

بتري : لماذا؟

جرون : حتى لا تغم من يأكلها.

بني : وهذا؟

جرون : هذا يجذب النحل ويفيد في علاج مرضى السكر.

شتاخ : آه، آه، لا يمكن أن أطيقه أبدا!

جرون : لا أفهم! كيف وهذا هو أغلى أنواع الأرز .. بذور صغيرة! يا أولادي، إذا طلعت، يكون الربيع، كل الترزّية والخياطات وربات البيوت والعذارى المسنين، وكل من لهم علاقة بتلك البذور، كلهم يأتون ويتعجبون لهذه الروعة ويأتون بباقات الزهور.

(الجميع يضحكون)

فاسكو : (مضطربا) لمن هذا، لا مؤاخذة؟

بتري : آه يا ربي، ها هو الملاك البريء

(صوت البوق)

بني : (مقلدا نبرات صوت فاسكو) لمن هذا، لا مؤاخذة؟

شتاخ: آه، إذا لم يقلد فهو حالم، مجرد حالم!

فاسكو: (ينتفض واقفا ثم يعود للجلوس مرة أخرى على كرسيه) إنني يقظ، إنني الطباخ وليس الحالم.

جرون: من هو نقيض الطباخ؟ إنه منظف المداخن. فهل نرغب في أن نجعله كذلك؟

بتري: سرعان ما نجد مدفأة.

جرون: وكذلك حبلا.

شتاخ: سنجعله يتصاعد مثل دخان السجق.

بني: ماذا ستقول مارتا الصغيرة تعليقا على هذا؟

فاسكو: انصرفوا الآن! هذا بيت عمتي.

جرون: (يصفّر)
يريد طردنا
ويقول لنا «عمتي»!

شتاخ: هي عمتك ملكك؟ أم تريد أن تكون ذكيا وتقول أي كلام؟ كان الأحسن أن يقول لنا أين قبعته.

فاسكو: (يشير للحجرة الأولى) ها هي، هناك.

شتاخ: أين؟

فاسكو: عند العمة.

بتري: مرة أخرى السيدة العجوز.

شتاخ وبني: أين أنت يا قبعتي؟
مع عمتي المريضة.
هل مسحت أنفها بك.
أنف عمتي المريضة؟

أنف العمة وأنف المريضة.
ظلت القبعة تنظف الأنف.
لو كانت القبعة مع الطباخ،
لكان الطباخ، طباخ حقيقي
أين أنتِ يا قبعتي؟
مع عمتي المريضة...
(صوت البوق)

بتري : انتهينا! أتريدون قلب الحلّة الصغيرة؟

شتاخ : هذا ما يفتقده يوسف!

بتري : هل انتهيت يا جرون؟ حبيبنا جائع (فاسكو يرتعش)

جرون : انتهيت تماما!

بتري : استعد!

شتاخ : أنا؟

بتري : نعم حالا!

شتاخ : آه، ألا يمكن أن يكون بني؟

بتري : النص صريح. الآن، فورا!
(وضع استعداد للاحتفال) الملعقة الصغيرة؟

شتاخ : ليس حذاء صغيرا!

بتري : هل رجعت الملعقة؟

شتاخ : فارغة!

بتري : ملعقة صغيرة لامعة؟

شتاخ : شكرا للسماء على الأكل والشرب.

(الجميع يضحكون فيما عدا فاسكو)

بتري: ممتاز يا صغيري العزيز. ألم تتعلم لدي؟ ولا كلمة! أو لم تتعلم أن الطباخ... ؟ استمر!

فاسكو: لم أكن في الليل بمفردي أبدا...

بتري: أين القبعة؟ أمامك خمس عشرة ثانية. (يمسك الساعة في يده)

فاسكو: أنا، أنا...

جرون: تكلم يا ولدي!

بتري: اقرض أظافرك، لعل ذلك يساعدك!

شتاخ: قل الآن، أين؟

بني: لا تكن هكذا يا فاسكو!

بتري: وإلا ستأكل ملعقة صغيرة كاملة! باق خمس ثوان فقط.

فاسكو: عمتي، لا مؤاخذة، عمتي...

شتاخ: آه، آه، الآن لا بد أن يبلع!

فاسكو: (يصرخ) لا، لا! يا مارتا!

(الطباخون ينسحبون بسرعة وبهدوء ويختفون وراء الستائر. الفرن ينغلق. فاسكو ينتفض واقفا، ومارتا تدخل الحجرة)

مارتا: هل ناديت يا شتيفان؟

فاسكو: كنت أحلم. تحركت الستائر وكان الفرن مشتعلا فلفحني.

مارتا: أترى الآن؟ لا شيء مما تقول.

فاسكو: نعم (يتحسس الستائر) أين قبعتي؟

مارتا: أنت نسيتها هناك (تعطيه القبعة)

فاسكو: (يرتدي القبعة) كيف حالها؟

مارتا: هادئة الآن.

فاسكو: أما زالت تعد كلما دقت الساعة؟

مارتا: هيا الآن، فالوقت متأخر.

فاسكو: نذهب إليك؟ أيكون عندك هدوء؟ لن تسأليني؟ ألن تسمعيني أيضا؟ ستعتقدين أن ما حدث غير ما يقال؟ لن تتكلمي حتى وإن ساد الصمت في كل مكان وتكتمين أنفاسك؟

(ديك الساعة يصيح مدة طويلة) أهذا كل ما لديها؟

مارتا: أنت لست مضطرا لكي تعد، لو سمحت.

فاسكو: صعب عليّ ألا أعد، وأن أصدق ببساطة هذا الإعلان عن الوقت.

الفصل الثالث

(المطبخ: تظهر رؤوس الطباخين خلف حائط أبيض قذر وسط أبخرة المطبخ المتصاعدة. بعض الفوط المستعملة معلقة على الجانب الخارجي من الحائط. يجلس في المقدمة الطباخ بتري على مقعد بلا مسند ويلف البوق)

بتري: نذير شؤم. كيف حدث هذا؟ يا بني! يا بني! لا بد أنه وقع منّي أو اصطدم بشيء...

بني: (يدخل أمام الحائط ويجفف يديه بسرعة) إذا كان البوق يعاني من آلام في الرقبة، فلا بد أن يذهب للطبيب؟

بتري: اذهب به إلى موزر (Moser)(*)! حتى تعود بسرعة قل للجميع إنها مجرد عملية استجواب، ولا تنسى أن تقول إنك من طرفي ثم أبلغهم تحياتي! إن لم يكن فحتى مساء اليوم، حيث يجتمع مجلس الإدارة. أو قل إن عندنا حفلة.

بني: ستقوم أنت بعزف منفرد!

(يأخذ البوق)

بتري: اذهب الآن!

(*) المقصود هو الباحث الموسيقي الألماني هانز يواخيم موزر، الذي ولد في برلين عام ١٨٨٩ ومات فيها عام ١٩٦٧. أهم أعماله هما: «تاريخ الموسيقى الألمانية» (٣ أجزاء ١٩٢٠/١٩٢٤) و«معجم الموسيقى» (١٩٣٥، الطبعة الرابعة ١٩٥٥).

بني: (يمشي، لكنه يلتف مرة أخرى) ما زال عندي سؤال. ماذا سيحدث اليوم؟ أهو أمر عسير؟

بتري: من الأفضل أن تمشي!

(بني يذهب)

جرون: (يدخل أمام الحائط ويجفف يديه ويأخذ دفترا) هل تركت أنبوبتك التي تنفخ فيها لإطلاق السهام السامة؟

بتري: إذا كنت تقصد بأنبوبة نفخ السهام السامة البوق، فأنت على حق. ماذا بعد؟

جرون: لا بد أن نجهز الطلب، ويجوز أن أحذف العصّاج.

بتري: هل له طلبات أخرى؟

جرون: قدر ضئيل من الحساء.

بتري: (بغضب) يا سلام! هل نحن في مطبخ شعبي؟ ضع فيه بنجرا أحمر! سنقدم الطبق البولندي ١,٣٠. كيف حال حساء السمك؟

جرون: ليس يوم الثلاثاء.

بتري: اكتب حساء «بورتش» ١,٣٠. بالكريمة ١,٥٠. هذا ما جال في رأسي بالأمس. أحد السادة الشباب أكلها بسرعة وذهب دون أن يرتدي ملابسه الثقيلة.

جرون: هل أرسلت له شتاخ؟

بتري: طبعا! لا نستطيع أن ندع هذا يمر. إذا كان شوستر وراء تفككنا، وإذا هبت الرياح على المطابخ الكبيرة وعلى المجموعة... اجعل خبز الصاج كذلك ٢,٥٠.

جرون: دجاج بالكرى أو كبد بقري؟

بتري: اكتب.. دجاج. شتاخ يرى على أية حال أنه لم يحقق نجاحا. لقد تشاجروا.

جرون: كله كلام فارغ. شوستر قدّر الوضع أكثر مما يستحق. بعد خمسة أسابيع لن يفكر الناس في الحساء.

بتري: من التغفيل أن تظن أن الأمر عنده يرتبط بالناس. كن جادا يا جرون! لماذا تحاول؟ هيا!

جرون: (عند التسليم) حساء أيضا!

بتري: حساء البصل، وبعض من جبن بارما* ١,٥٠. (يذهب وراء الحائط) (يرفع بابا عن الأرض ويخرج الطباخ شتاخ من البدروم حاملا سلطانية على كتفه. في السلطانية رأس خنزير كاملة)

شتاخ: أجمل مكان هو هذا القبو. الآن سأقوم بإعداد لحم مجمد. هل لديهم شيء يخصني. (ينزل السلطانية من على كتفه) عندك حظ... لن تبقى كثيرا في هذه الحرارة. سأعمل ثم أروي بعد ذلك كيف كانت الحال. الآن تبدأ النيران! سأغلق أذني وأقول إنني لا أعرف شيئا. سأكون مثل رأس الخنزير المفرومة والمحاطة بالجلاتين. سوف يخمنون مضمون اللحم المجمد. (يضحك ويريد أن يحمل السلطانية من جديد. فاسكو يدخل من خلف الحائط ويجفف

(*) بارما (Parmesan) جبن جاف حار.

يديه. الآخرون يقفون أمامه صامتين.)

شتاخ: وأنت؟

فاسكو: هل يعرفون؟ (يمسك به) أيعرفون؟

شتاخ: لا شيء!

فاسكو: اسمع...

شتاخ: كيف يمكن أن أسمع وأنت تشدني!

فاسكو: ذهبت ثم وقفت تتسامر. (يدعه يسير)

شتاخ: لا شيء معي!

فاسكو: (يدفعه) أنت ملاك صغير، لا شيء معك وأنت لا شيء! وبتري؟ لماذا يبدو هكذا وقد ترقرقت الدموع في عينيه؟

شتاخ: ربما مهموم.

فاسكو: أقول إنك ساكت أو، أو...

شتاخ: إيه، أنت تهدد! ماذا أقول له؟ ألم نكن معا؟ وقفنا على الكوبري كإخوة، ذهب هو وفكرنا نحن معا، كيف أنه يتجاهل الآخرين.

فاسكو: شوستر تتحدث مع بتري ثم مع جرون.

شتاخ: الثلاثة يقلقون أنفسهم.

فاسكو: كلنا قلقون! لا بد أن تفهم أنه لا يجوز لنا أن نأتي جميعا. خمسة كثير. فالضحك لا يصيبه إلا إذا رأى الخمسة.

شتاخ: إذا كنا اثنين، لا يضحك؟

فاسكو: دائما ما يأتي ببعض من الضحك، لكن اثنين أقل

وهو لا يقدر إلا على القليل.

شتاخ: الآن سيرى الكثيرين. ليس خمسة فقط، لكن...

فاسكو: (يمسك به) أنت تريد كلترر. إذا ذهبت إليه يا ولدي ستأتي حشود المطابخ الكبيرة والجمعية...

شتاخ: بتري، انتبه!

(كل منهما يجفف يديه مرتبكا)

بتري: (يدخل معهما ويجفف يديه) ما هذا النشاط؟ مجتهدان هكذا! ماذا عندكما إذا؟

شتاخ: لحم مجمد وخنزير على أتم الاستعداد.

بتري: (يضحك) لهذا يقف الاثنان ويتباحثان في أسرار تجهيز اللحم المجمد.

فاسكو: بالطبع لا! نحن نتحدث عن مارتا.

بتري: أفضل! تعال هنا بسرعة يا جرون!

جرون: (أمام الحائط) أليس هنا من يكفي؟ (يجفف يديه)

بتري: ناقص واحد! اسمع! القصة تستحق. كلاهما طباخان ماهران يتحدثان عن اللحم المجمد ومارتا، أو عن مارتا واللحم المجمد. ربما يكون الترتيب طبقا للجمال: رأس الخنزير ثم مارتا ثم اللحم المجمد ثم البطاطس المحمرة، بعد ذلك تأتي مارتا من جديد لأنها جميلة، أخيرا يكون الحلو، حساء بلا ملح ولكن بالعصيدة.

(شتاخ ينسل خلسة)

جرون: أنا أعد هذا أمرا يستحق السمع. كيف حالها؟

فاسكو: آه! لا مؤاخذة! إنهم يهرجون دائما هنا ويتسامرون. أين الـ...

بتري: استمر يامن تتسامر مع رأس الخنزير! كيف تسير الأمور مع مارتا؟ أما زالت تستمتع بالنوم، على هواها، آه، آه؟ وفي المستشفى؟ أيجب عليها قياس الضغط وتفريغ المبولة وإعطاء الحقنة الشرجية؟ ماذا تفعل هناك طوال النهار؟ تدور ذهابا وإيابا فقط بوجه مبتسم؟ أم أنكم لا تتحدثون عنها مطلقا؟

جرون: ما اسم مارتا الصحيح؟

فاسكو: صدقني يا سيد بتري، كنا نتحدث عن...

بتري: عن ماذا؟

فاسكو: .. عن مرض عمتي.

بتري: كيف يجتمع كل هذا، اللحم المجمد ومارتا والعمة؟

جرون: وما اسم العم؟

بتري: ليس بهذه السرعة! يا فاسكو، من فضلك، العمة؟

فاسكو: يجب أن تعرفوا أنها مريضة جدا. لقد مكثت عندها بالأمس وسهرت طوال الليل. أصبحت لا تستطيع الكلام.

جرون: وأسفاه! لكن ربما مارتا؟ لماذا أصابك هذا الفزع؟

فاسكو: مالي بها؟

جرون: الشاطر يفهم! ما أن أذكر اسم عروسه الحلوة إلا ويصيبه الفزع.

بتري : ربما لأن العمة في صمت وسكون، لا تنطق مارتا هي الأخرى إلا كلمة واحدة بين الحين والحين. (فاسكو يصيبه القلق) أنت تقصد أن نتلطف معها بعض الشيء، (فاسكو يريد الخروج) سوف تأتي إلينا. ابق هنا! (يمسك فاسكو)

جرون : لعلها ساعة تسامر مهمة. ماذا عنده؟

فاسكو : لا مؤاخذة، الغسيل جاهز.

جرون : حديثنا عن الجاتوه والقهوة، وهو يعتقد أن حديثنا يجب أن يكون عن الغسيل. ابق هنا الآن! سوف نعد لها القهوة على الرغم من أن القهوة ليست من اختصاصاتنا، وقطعة صغيرة من جاتوه التفاح...

بتري: بالكريمة، حتى يتميز مثلنا.

جرون : سوف تتناسب الكريمة مع كاب الممرضة البسيط. سنلاطفها ونكون مهذبين. لن ندخل في الحديث إلا عند الضرورة.

فاسكو : إنها لا تعلم شيئا.

جرون : لا تعلم شيئا عن ماذا؟

فاسكو : أقصد أنها لا تريد أن تفهم أنه من الواجب عليها أن تكون في المستشفى، وأن العمة...

بتري: يكفي هذا عن العمة! لا تعلم شيئا عن ماذا؟

فاسكو : عن كل شيء!

بتري: لكن، لكن مَنْ يكون قليل الذوق ويدّعي على خطيبته أنها غبية، إنه غير مهذب. نحن، نحن نتحفز لنقدم

لخطيبته... ماذا نقول؟

جرون: علينا ان ننقذها أو نصلح من شأنها، لا بد أن نفعل شيئا من أجل هذه السيدة.

بتري: وبسرعة! هل عاد بني؟ يا بني، يا بني! (يدخل أمام الحائط وفي كل يد من يديه طاسة تحمير) هل عادت الطاسة تتقوس من جديد؟

بني: لقد قال موزر (Moser) أن قليلا ما يكون للكلام قيمة، أمامنا ساعة زمن قصيرة.

بتري: الآن اذهب وأحضر مارتا، افعل هذا بعد ما تعود، وكن لطيفا معها!

(أخذ الطاستين منه وأعطى إحداهما لجرون)

بني: بماذا تكلفني؟ سوف أبذل قصارى جهدي...

جرون: مباراة تنس أنيقة حتى تأتي السيدة الشابة؟

بني: مباراة دون كرة؟

جرون: بالطبع دونها. أليس كذلك يا مارتا؟

بتري: كما تريد يا شتيفان. (يتظاهران بأنهما يلعبان التنس ويقلدان طريقة لعب فاسكو ومارتا... بني يضحك)

جرون: اذهب وأحضرها لنا!

بني: لقد ذهبت بالفعل. (بني يغادر المكان)

جرون: يا حبذا لو أحضرت بوق السيد بتري. فأنت تعرف أنه يصير عاجزا دون الموسيقى والضوضاء. لا بد أن تلعبي بلطف يا مارتا!

بتري: ليكن يا شتيفان. (بصوت خافت) ماذا عن البوق؟

جرون: بظهر المضرب يا مارتا، بظهر المضرب. (بصوت خافت) دعابة عند الموسيقيين. لا مؤاخذة! ليس في الشبكة يا مارتا، فوق الشبكة.

فاسكو: لن تكون على راحتها.

جرون: هل ستكونين على راحتك في المضيفة؟

بتري: لا يا شتيفان!

جرون: ولمَ لا؟

بتري: نعم يا شتيفان!

جرون: لا، نعم. هذه هي الإجابة؟ ألا تستطيعين أن تتكلمي مثل بني آدم؟

بتري: من فضلك يا شتيفان!

جرون: هل من رجاء آخر؟ قولي فورا، أين ستكونين!

فاسكو: على أية حال ليس في المضيفة.

جرون: وأين ستكون أنت إذن؟

بتري: عند العمة يا شتيفان.

جرون: وبني، إلى أين يسير هكذا في منتهى اللطف؟

بتري: إلى العمة يا شتيفان.

جرون: ومَنْ سيجد لدى العمة؟

بتري: مارتا يا شتيفان.

فاسكو: لا، لا! ما هذا؟ ماذا يعني هذا؟ إذا كان سيادتك الرئيس هنا؟ دائما كلام فارغ سمج هنا وهناك. هل أنا هنا لتكون الثرثرة عن العمة ومارتا!؟

بتري: لا أعلم يا شتيفان.

فاسكو: لكني أنا أعلم! أنا طباخ ولست من أهل القيل والقال.

جرون: أسمعت! طباخ وليس من أهل القيل والقال.

بتري: لا، يا شتيفان!

فاسكو: لا تقل لا! طباخ وسوف أذهب لشوستر وأقول له. (فاسكو يريد الذهاب، لكن بتري يوقفه ثم يلقي الطباخون الطاسات جانبا)

بتري: هلا جعلنا السيد شوستر المسكين يخرج من اللعب! إنها مجرد دعابة. حتى لا يغضب أحد لن نتحدث مرة ثانية عن العمة المسكينة ومارتا، اللتين يسير إليهما بني الآن بخطوات نشيطة تؤلم قدميه. هيا، فلنتحدث في موضوع آخر، ليكن عن العم.

جرون: ما اسمه؟

فاسكو: ليس هناك عم؟

بتري: عالم مؤسف! إنه ينكر عمه.

جرون: يريد أن يضعه في برميل أسود ويدحرجه إلى القبو. إنه ليس بإنسان!

فاسكو: هل واجبي أن أقف هنا وأكذب؟ إنني هنا فقط لأنني طباخ! أسخّن الكرنب الأحمر وأضع بعضا من الماء على الكلاوي. والغسيل، ألا يوجد هناك؟ هل جاءت به السيدة كولفسر لكي نقف هنا في القذارة؟

بتري: (يمسك به) هل ترى أي بقعة؟

جرون: قبعته نظيفة بدرجة لافتة للنظر.

بتري: أين ترك القديمة؟

فاسكو: (يريد الذهاب) لا مؤاخذة، يكفي هذا! ما عليّ شيء آخر أفعله.

بتري: ما زلت لا أعرف... ما اسم عمّك المبجل؟

فاسكو: لقد تحدثت عن عمتي فقط، عن عمتي فقط.

بتري: وحتى لا تبكي: ما هو اسمها؟

فاسكو: تريزه.

بتري: آه. انتظر لحظة، من يحمل هذا الاسم؟ شخص ما، دعنا نتذكر. كانت تريزه. لكن الآن نعود للعم! (بتري يمسك فاسكو)

فاسكو: لن أقول أي كلمة أخرى!

جرون: لعل هذا ليس بنذر.

بتري: ربما يريد أن يصير قديسا في صومعته.

جرون: أو يكون «الصامت الأكبر» مولتكه* أو.. لقد عرفت الآن...

بتري: ماذا؟

جرون: إنه يريد ملعقة صغيرة ممتلئة.

فاسكو: لا، لا، ليس هذا!

بتري: لكن، ألم تقل منذ دقيقة واحدة إنك لن تنطق

(*) المقصود هنا الكونت هلموت فون مولتكه (Moltke) (١٨٠٠ - ١٨٩١)، هذا المارشال البروسي ذو الثقافة العالية والمهارة الفائقة في التخطيط الحربي. هو بطل معركة سادوفا (عام ١٨٦٦)، وهو معروف باسم «الصامت الأكبر»، وذلك لقلة حديثه.

بحرف واحد؟ والآن تريد أن تروي لنا قصتك القصيرة؟ كيف كان هذا؟ طباخ يسير بمفرده...

فاسكو: كنا عند العمة...

بتري: الآن انتهى العمل!

(يشدون يدي فاسكو وراء ظهره)

يا شتاخ، تعال هنا يا ولدي!

شتاخ: (تقريبا أمام الحائط) ثم ماذا؟

بتري: آتني بملقة صغيرة ممتلئة.

شتاخ: آه، لم أقصد هذا. صدقني يا فاسكو! رويت ما رأيت فقط.

فاسكو: أنت، أأنت صديق!

بتري: أيمكن أن تأتيني بملعقتين صغيرتين؟

شتاخ: فورا، فورا يا سيد بتري، لكن أمسكوا يديه، يديه فقط!

(يجفف يديه ويرحل)

بتري: أتظل صامتا؟ أتريد أن تقرض أظافرك! لا، لا يا صديقي الصغير، لن تتحسن الأمور هكذا.

فاسكو: حتى وإن لم يقل الكونت شيئا؟

(شتاخ يأتي بالملعقة ويقف أمام فاسكو)

جرون: أي أن عمك الصغير كان كونتا. أصل عريق! وما عسانا أن نقول؟

شتاخ: تكلّم! (بينما الجميع يحدقون إلى فاسكو، يدخل الكونت المطبخ من الجانب الأيسر)

الكونت : (ضاحكا) آه، آه! (يطلقون سراح فاسكو ويظهرون متحابين) أتريدون إطعام فاسكو؟ هذا الإنسان القوي الصحيح؟

بتري : مجرد مزاح يا سيادة الكونت. أنت تعلم كيف يكون الطباخون. (موجها كلامه لشتاخ) اذهب! (شتاخ يختفي خلف الحائط)

الكونت : استطعت أن أعرف بالأمس.

جرون : خيرا؟

(فاسكو ينسحب ببطء وراء الحائط)

الكونت : كيف يتناولها الإنسان. لقد ضحكت.. يا فاسكو! أين هو؟

بتري : هل أناديه؟

الكونت : بل دع أحدا يناديه يا بتري! ربما يخجل لأنه لم يأخذ الفسحة. بالأمس في الساعات المتأخرة من الليل كان متنزها تحت سماء ملبدة بسحب كثيفة، وكان بقبعة لا مثيل لها فوق رؤوسكم.

جرون : إنه غريب الأطوار نوعا ما.

الكونت : لقد أمسك بي فوق الكوبري مستهدفا شيئا منّي.

بتري : النقود؟

الكونت : لا، لا، لم أعرف مراده حتى جاءت الفتاة.

جرون : مارتا؟

الكونت: (مفكرا) أحيانا أسميها «راعوث»* عندما أراها تسير حافية القدمين في الحقل، حيث توخزها الأرض وهي لا ترتعد. إنها تستطيع الحصاد حتى ولو كانت عمياء، إنها صبورة.

جرون: صدق أو لا تصدق!

الكونت: لا تضحكوا أيها الأغبياء! ماذا تعرفون عن الصبر؟ ما عندكم من صبر لا يكفي على أية حال إلا للحم البقري النيئ، لكن راعوث...

جرون: الأفضل أن نتحدث عن مارتا، وكيف كان ذلك؟

الكونت: دائما ما نتطرق للسمر. عن ماذا كنا نتحدث؟ آه، لم أعد أذكر. ما قاله الفتى على الكوبري. تمام، فاسكو! أراد أن يأخذ شيئا منّي فأمسك بي وهزني.

بتري: بعنف؟

الكونت: وكأني شجرة جوز، لكن لم تقع منّي ولا حبة. كما كاد يرغمني على السباحة، أنا والوصفة.

جرون: ياه!

الكونت: لكنني أرى أن لكم الهدف نفسه، لعلكم تريدون كذلك...

بتري: لا بالتأكيد يا سيادة الكونت، ليس بهذا الأسلوب.

الكونت: حسنا! عندي اقتراح: كل منكما يغطي عيني الآخر

(*) «راعوث» (Ruth) تعنى بالعبرية «الصديقة» والمقصود هو البطلة المؤابية راعوث التي راعت حماتها بعد وفاة زوجها فأصبحت رمزا للإخلاص وتزوجت بُوعَز (Boas) في بيت لحم وصارت الأم الأولى لليهود. نرجع في هذا للعهد القديم، سفر راعوث، الإصحاح ١ - ٤.

بيديه، وأنا أضعها في جيب أحدكما.

(كل من جرون وبتري يغطي عيني الآخر)

بتري: لمن منّا؟

الكونت: لك أو لجرون.

بتري: لا، لا، هذا مستحيل.

(الكونت يريد مواصلة اللعب)

جرون: لكن لما لا؟

بتري: قُلت لا! (يفلت من بين يدي جرون) هل معك؟ يا سيادة الكونت! (يقفزان بعض القفزات حتى يصلا إلى الكونت ويمسكا به) مكانك! لماذا لا تريد أن تقول لنا سبب التباطؤ؟ ألسنا جميعا طباخين؟ لعلّها قريبة من حساء الكرنب. يُقال إنك تضيف بعضا من الرماد.

الكونت: قلتما كل ما لديكما، فلندع هذا جانبا. لن أعطيكما شيئا أيها القناصان.

جرون: يا للشيطان، لم لا؟

الكونت: لأنكما تريدانها!

جرون: لكنني...

الكونت: جرون، هو الآخر، لن يحصل عليها. أمره يؤسفني بالتأكيد. معدته مريضة وعلى الرغم من هذا هو طباخ ماهر. يجب عليه طبخ المخ لكن لا يجوز له أن يتذوقه...

جرون: طبّاخ ماهر...

الكونت: ... لا يتذوق أبدا. أعرف حكمة تقول: «خذ الحكمة ممن يعاني من مرض المعدة».

جرون: وفاسكو؟ أيعرف، أأعطيته الوصفة؟ (الكونت يتراجع)

بتري: لا يصح أن تفعل هذا معه. إنه حبيبك بالتأكيد...

جرون: ألسنا من أصدقائك أيضا؟
لماذا هو، هو بمفرده؟

الكونت: إني ذاهب يا أولادي! إنكما تتحدثان عن الصداقة وتنظران إليّ وكأنني ممحاة جديدة ومطلوبة لمحو ما لديكم من قديم. دعوني أعيش و... (يبحث في جيوبه)

بتري: أتبحث عن شيء ما؟

الكونت: لا شيء ذو أهمية، مجرد ورقة ملحوظات. ماذا كنت أقول؟ آه، دعوني أعيش. ضاعت تلك الورقة!

جرون: هنا في المطبخ؟ (جرون وبتري ينحنيان ويبحثان)

الكونت: يا أحبائي. إنها بحق ليست مهمة، من الأفضل لكم أن تسمعوا.

جرون: هل كانت ورقة؟

الكونت: ورقة صغيرة. عليكما أن تدعا فاسكو يعيش أيضا، ولست أنا فقط. بحق هو قريب من قلبي، لكنه لا يعلم، مثلكما تماما لا تعلمان شيئا.

بتري: وجدت شيئا يا جرون؟

جرون: لا أثر لها. أكانت بيضاء؟

الكونت: عليها كتابة تساوي براءة اختراع. لا تتشاجرا يا ولدي إذا وجدتموها، ولا يضرب كل منكما الآخر فوق قبعته التي تغري بذلك. (يضرب جرون بخفة على قبعته ويتجه إلى اليمين ضاحكا. بتري وجرون يقفان. فاسكو يدخل أمام الحائط ويتأمل المشهد)

جرون: لماذا يضحك؟

بتري: لأننا نتزحلق على الباركيه بحثا عن وريقة نعتقد أنها مدّونة.

فاسكو: لا مؤاخذة، مدّونة؟ يضربكما فوق قبعاتكما وتصدقانه. ينادي عليكما بالاسم ويقول يا «حبيبي جرون» ويا «أحسن بتري» ثم يجعلكما تمشيان على ركبكما، ويضحك عليكما. ها هو قد رحل ولم يلتفت إليكما ولا مرة. وأنتما؟ أأردتما أن تعطياني ملعقة ممتلئة، ثم ملعقتين حتى أتكلّم. الآن ما هي الحال، ما هي الحال؟ قولا! قل لي يا سيد بتري! أما زلت تريد أن تعطيني ملعقة؟ هه؟

بتري: كلام فارغ، لقد اعتقدنا...

فاسكو: الآن؟

بتري: ... أنت تريد أن تعرفها وحدك.

فاسكو: أردت في البداية أن أكون معه بمفردي تماما لأنه لا يطيق الكثرة. (شتاخ يأتي بلفافة) ألست أعرفه إلى حد ما؟ قل، ألست أعرف هذا الكونت؟

شتاخ: يمكنني إثبات هذا وسوف يصدقني السيد بتري.

فاسكو: إنه لا يصدق سوى ملعقته الصغيرة الممتلئة بين يديه. إنها شغله الشاغل.

شتاخ: (يلقي اللفافة بين الطباخين) ها هو الدليل! لقد سبتنا كولفسر.

جرون: لماذا إذن؟ (الطباخون يغيرون المرايل والقبعات)

شتاخ: لا أعلم أنها لم تسب ولو حتى مرّة واحدة!

جرون: علينا أن نكون لطفاء معها، فسوف نحتاج إليها يوما ما. أرسلوا لها بعضا من اللحم المجمد وأي شيء آخر تافه!

بتري: أنا أحدد أي شيء يخرج من المطبخ.

شتاخ: بالطبع، بالطبع! لكن هذا لكولفسر.

بتري: ولا كلمة! اسمعوا! إذا لم نفعل شيئا فسننتهي. قال لي السيد شوستر إنه إذا لم يعد العمل لما كان عليه خلال ثلاثة أسابيع فسوف... أنتم تعلمون ما سوف يكون هنا! سيأتون بغيرنا. أنت يا فاسكو لا تستهن بذلك. إنه جنون متميز بالغباء المخزي. (يساعده في ربط المريلة) غالبا جرون على عجل. أليس كذلك يا جرون؟ لكن ليس بهذه الدرجة.

جرون: هدفنا كان خوفك، هذا كل شيء.

شتاخ: لقد دار برأسي أنهم يمثلون، وإلا كنت أتيتك بالملعقة الصغيرة. (بني يدخل الحجرة مع مارتا، ويحمل البوق)

فاسكو: لا مؤاخذة، هل هذا ضروري هنا؟ أمر مؤسف.

سوف ترحل فورا!

بني : لا تقلق! إنه أمر من الرئيس. كادت الصغيرة لا تحضر بسبب العمة. ها هو البوق قد عاد وكأنه جديد (سلم البوق. بتري بدأ يفحصه) آه، كولفسر كانت هنا!

(يغيّر ملابسه)

مارتا : شتيفان؟

بني : جميل أن تقول هي: «شتيفان»!

اسكت! يمكنها أن ترحل، لسنا في حاجة إليها.

مارتا : شتيفان، العمة...

(يوليها ظهره)

بتري : ما أخبار العمة؟ أدخلت عندها؟

بني : ولا حتى ثانية يا سيدي، لم تسمح لي بالدخول.

مارتا : إنها ماتت! (بني يضحك)

بتري : ليس هناك ما يضحك! الآن، اذهبي يا فتاة، اذهبي! سوف يلحق بك شتيفان ويساعدك. (مارتا تمشي مترددة) هكذا! تحدثنا عنها للتو، والآن هذه هي نهايتها. (ينفخ نفخة واحدة في البوق ثم يضعه على الأرض) ماتت العمة! (الجميع يضحكون فيما عدا فاسكو)

شتاخ : اضحك أيضا إذا كانت قد ماتت.

فاسكو : نعم، نعم، فعلا أمر مضحك.

(الطباخون يدخلون وراء الحائط ضاحكين ويجفف

بعضهم أيديهم في الفوطة. بتري يوقف شتاخ)

بتري: أنت، جهّز الديك! ثم لف اللحم المجمد وخمس شرائح لحم خنزير مدخن من أجل كولفسر. سوف أعطيها بنفسي! (يخرج)

شتاخ: (يقترب من البوق ثم يرفعه ويديره ويقلبه، ثم يضعه أمام عينيه وكأنه تلسكوب، ثم يضعه على الأرض) موسيقى، موسيقى! (يدور حول البوق مفكرا) الديك! حسنا، أنا أجهز الديك. سوف نرى. (يسحب قرمة من الكواليس ويضع البوق فوقها) موسيقى، موسيقى؟ (يدخل الطباخ كلترر من اليسار وينظر مبتهجا لشتاخ فترة وجيزة)

كلترر: هل أصبحتم تذبحون الأبواق وتطبخون بها حساء الأبواق؟

شتاخ: (دون أن يلتفت) نعم أيها الكلترر!

كلترر: من الواجب عليّ أن أعترف بمطبخكم بوصفه مكانا متميزا، مضيئا وذا صورة جيدة، ونادرا ما تنبعث منه الرائحة المطبخية. يكاد يكون أحد المصايف.

شتاخ: كيف جئت؟ (ينظر حوله) هل رآك؟

كلترر: لا أظن. (يمسك شتاخ من مريلته) كيف الأحوال؟ هل تكلّم؟

شتاخ: لا شيء، كله كلام فارغ! قلّلوا هم من شأنهم وضحك هو، هذا النبيل، عندما سجد جرون وبتري وبحثا عن وريقة. اذهب الآن، لأنه إن رآك، ستنفتح جهنم!

كلترر: ثم مـاذا بعـد ذلك؟ (يأخـذ بوق بتـري) هل لديكم خطط؟ هل هناك شيء مضحك في البرنامج؟ هل يسير الاضطراب ببطء في الجمعية وفي المطابخ الكبيرة والمطابخ العامة؟

شتاخ: لا أعلم شيئا. (يسحب من الكواليس قفصا به ديك يتـحـرك) هنا، يجب أن أذبح طائرا وألف لحـمـاً للتجميد ومعه خمس شرائح لحم خنزير مدّخن للسيدة كولفسر. كل هذا يريد بتري أن يوصله إليها وكأنها شخص رفيع المستوى.

كلترر: ومالي ولحمكم المجمد!

شتاخ: هكذا، ألا يخـصك شيء؟ حـتى وإن قـام بتـري شـخـصـيـا بالتوصيل؟ سواء عندك؟ آه، الآن بدأ الضوء يشع من رأسك الصغيرة.

كلترر: أتقصد؟

شتاخ: الآن أقـول لك خـبـرا عظيـمـا. سوف يستأجرون حجرة التجفيف طوال الليل، ويستعدون بالملابس الرسـمـيـة لاسـتـقـبـال الكونت وكل من له صلة بالموضوع.

كلترر: (ينفخ في البوق إعلانا لأمر ذي أهمية) متى؟

شتاخ: لدي خطط!

كلترر: (يمسك شتاخ مرة أخرى) لكنني سوف أعرف في الوقت المناسب يا شـتـاخ. لن تكون أحمق وتفسد الصداقة مع كلترر. أنت تعلم أني أحب أن أكون

معكم وأنتم تجهزون الملابس الرسمية. إنني أعشق الاحتفالات الصاخبة.

شتاخ: بالطبع، لكن لماذا تمسك بي هكذا؟ دائما هجوم على ملابسي، منك ومن فاسكو. سوف أرسل لك الحمام الزاجل إن كنت بعيدا، حمام زاجل!

كلترر: أنت تعرف أين بيتي!

(يتجه بسرعة يسارا والبوق تحت إبطه)

شتاخ: (معلنا افتقاده البوق) موسيقى! موسيقى؟ (يضع القفص الذي بداخله الديك فوق القرمة، ثم يعود ويضعه على الأرض) موسيقى، موسيقى! (يقلّد حركة الديك أمام القفص، ويحاول الوقوف على يديه حتى يستطيع أن ينظر في عيني الديك، يقوق، يعود ويقف على قدميه ويفتح القفص فيخرج الديك ضاربا بجناحيه. يلوح بالسكين) موسيقى، موسيقى!

بتري: (يخرج مسرعا من وراء الحائط) أيجب عليّ أن أقول لك كالمعتاد إنه لا يجوز أن تذبح الديوك على خشبة مسرح مفتوح! أتريد أن تجعل المشاهدين يتحولون إلى نباتيين؟

الفصل الرابع

(حجرة التجفيف في المغسلة. السيدة كولفسر تضع بنطلونات ومرايل وقبعات الطباخين على حبل طويل تحت السقف. جرون يجلس على المكتب ويدوّن مراقبته للعمل)

جرون : يمكنك أن تضعي آخر مجموعة غسيل تحت.

كولفسر: لماذا تحتاج الحجرة؟ لا يجوز أن تتصرف هكذا، فإن كان هناك اجتماع عليك أن تخبرني أولاً، ويمكن أن يكون في ساعة متأخرة أيضاً، ولكن أن تنتزعنا من منتصف النوم..هيا، هيا، هل هناك شيء خاص؟

عندنا احتفال بعيد ميلاد.

جرون : ياه! كأن الطباخين يحتفلون بأعياد ميلادهم. ربما

كولفسر: فعل أحدكم شيئاً! أليس كذلك؟

جرون : منذ متى وأنت تكسبين من العمل معنا؟ منذ بضع سنوات، أليس كذلك؟ طقمان من المفارش كل أسبوع وغسيل المقصف وغيره، كلّها بيّاضات.

كولفسر: أنا راضية ولا يمكن أن أشكو.

جرون : هذا ما أريد سماعه منك. أقترح ألا تسألي!

كولفسر: لكن من حق المرء أن ينطق ولو حتى كلمة واحدة. آه، السيد جرون يجلس ويكتب، ربما الدعاوى؟ وربما قصيدة للاحتفال بعيد الميلاد.

جرون : هل انتهى كلامك؟

كولفسر: على ما يبدو.

جرون : إذن، نادِ مارتا! (يشير إلى الباب)

كولفسر: كم يؤلمني هذا! كيف نتركها تقف أمام الباب في هذا الطقس؟ إنها تحمّلت الكثير من هذا الفتى، ما اسمه؟

جرون : فاسكو

كولفسر: أوه! وعمتها ماتت منذ قليل.

جرون : لم تكن عمتها.

كولفسر: على أية حال كانت الإنسان الوحيد الذي تجد فيه متكأ، إذا كان يجوز أن نقول هذا!

جرون : يجوز يا سيدتي كولفسر - الآن؟ (يشير إلى الباب)

كولفسر: سوف أذهب! (تفتح الباب) عذاب وتأديب. (تسحب مارتا وتدخلها) اخلعي البالطو!

مارتا : مفهوم يا سيدتي. (تخلع بالطو المطر) مساء الخير يا سيد جرون.

جرون : أدفئي نفسك عند الفرن! يا سيدتي كولفسر، لست في حاجة إليك اليوم. معذرة فاليوم أمر خارج عن المعتاد.

كولفسر: أعتقد أنك قلت إن هناك عيد ميلاد.

جرون : أليس من الأفضل ألا تطرحي الأسئلة باستمرار؟

كولفسر: إذن أجيب أنا! إنه احتفال عيد ميلاد. هل سيأتي السيد شوستر؟

جرون: على ما يبدو.

كولفسر: هل وعد بالحضور.

جرون: يبدو أنني قلت (يقف) الأجرة تتضاعف في الساعة الزائدة. (يناولها ظرفا وتصريحا بتناول وجبة مجانية) الآن، هل أنت راضية.

كولفسر: إذا كان هذا حقا عيد ميلاد، فلن أستطيع أن أقول شيئا.

جرون: تصبحين على خير ياسيدتي!
(يناولها ظرفا آخر ويقودها إلى الباب)
نوما هادئا!

كولفسر: مهلا، مهلا! ألست في مكان عملي الآن؟ أم إنني هنا زائرة؟اترك لي مارتا لحظة في هدوء! يا صغيرتي، انتبهي ولا تسكتي إذا أصبحوا طوال اللسان! ردّي عليهم دائما! إنهم مجرد طباخون صغار.

مارتا: ممكن يا سيدتي أن...
(تريد أن تخرج معها)

جرون: (يسحب كولفسر ويخرجها من المكان) لا تكوني قلقة لهذه الدرجة أيها الملاك! هل استطعت أن تستأذني من العمل؟

مارتا: رئيسة الممرضات لم توافق أول الأمر، لكن فيما بعد قالت الممرضة دورا (Dora)، التي تعمل في الليل، كلمة طيبة في حقي.

جرون : أمر طيب منها.

مارتا : نحن متفاهمتان تماما، أنا والممرضة دورا.

جرون : (يحاول فتح بلوزتها وهي تقاوم بهدوء) آه، آه! إنكما متفاهمتان. هل لها صديق؟ (يشمر عن سواعده)

مارتا : ماذا؟

جرون : هل لها صديق؟

مارتا : نعم، على ما أعتقد.

لا يا سيد جرون أرجوك (تنتزع نفسها منه)

جرون : حسنا، ليكن! (يمسح يده في المريلة) عن ماذا كنا نتحدث؟ آه، ماذا يعمل؟ أهو ساعي بريد أم سائق تاكسي أو ربما طباخ؟

مارتا : ماذا تقصد؟ أترى أن كل الممرضات لهن أصدقاء طباخون؟

جرون : لعل هذا يكون آخر ما وصلنا إليه! (يمشي ذهابا وإيابا) يا له من مغفل. موهوب وحساس ولا يحتاج أن يكسب لأن أمه دعت له، وبعد هذا تكون صديقته ممرضة. أتعرفين أنك تقفين في طريقه؟ لعل موهبته تحقق نجاحاً. لكن كما قلت لك، هكذا تكون مثل هذه العلاقة! طبّاخ وممرضة. أمر يؤدي على أية حال إلى مطبخ متوسط للرجيم. آه الحب جميل وعلى مايرام، لكن ليس لنا! أنت تقفين في طريقه يا صغيرتي. لا تبكي!

مارتا : لكنه يقول...

جرون : إنه مغفل! شاب أعمى البصيرة لا يستطيع الاهتمام بشيء سواك. يجب عليك أن تقرري وأن تقولي لا وأن تضحي. لعل هذا لن يكون صعباً عليك بوصفك ممرضة. فأنت ذوات خبرة.

مارتا : لكنه ليس بمريض.

جرون : إنه مريض! ولا أكون أنا جرون إن لم يكن مرضه مميتا. جو هذه المستشفى سيقضي عليه. كلور وفنيك وخلاّت الألومينيوم. هل وجدت ولو مرة واحدة طباخا استطاع أن يتحمل هذا؟ هذه القبعة دائما على الرأس حتى يجف الشعر ويسقط.

مارتا : أرجوك يا سيد جرون. ما الذي يمكن أن أقوله عن كل هذا؟

جرون : عليك الآن أن تفكري في هدوء تام وأن تضحي في الوقت المناسب من أجل حبيبتك شتيفان.

مارتا : نعم.

جرون : سوف تصبحين... (يتنصت) كفاك نحيب!

(بتري يدخل المكان مرتديا معطفاً أسود للمطر. يخلع المعطف أثناء سيره ثم يلقي به لمارتا حتى تعلقه)

بتري : كل شيء على ما يرام؟ ماذا قالت كولفسر؟

جرون : ذهبت لتنام.

بتري : وفيما عدا ذلك؟

جرون : يجب أن يأتي الجميع الآن. كل شيء معد بقدر

المستطاع. أما هي فقد بكت.

بتري : (يهدهد على مارتا) آه، سيعود النحيب. لماذا هي هنا؟ هل كان هذا ضروريا.

جرون : سوف نرى.

بتري : أبغض ما إلى نفسي تلك الأمور الغامضة. هدفي هو الاقتصاد في التنفيذ. ألا تريد أن تفسر لي هذا...

جرون : هي هنا، وهذا كل ما في الأمر! كيف سيؤثر هذا على الرئيس؟ هل سيأتي؟

بتري : لا يناسبني ذلك على الإطلاق.

جرون : سؤالي هو: هل سيأتي؟

بتري : لا.

جرون : لكنه قد وعد بذلك.

بتري : لا أرضى عن هذا بالمرة، ولا يروقني وجود البنت هنا.

جرون : لعلنا نكون أكثر أدباً مع بعضنا.

بتري : (يلتفت) انظر، انظر! جرون ينفعل. السيد شوستر جعلنا نقول إنه لا داعي لحضوره. عنده ثقة كاملة بنا ومقتنع تماما بأننا سننجح في القيام بمباحثات تعتمد على وجهات نظرنا المختلفة دون انفعال.

جرون : (يصفر صفارة ذات دلالة كبيرة)
يا له من حب للبشرية!

بتري : يبدو أنك قد فهمتني.

جرون : إذا فهمك الآخرون. إنك نسيت البوق. كيف ستعبّر

دونه عمّا بخاطرك. (الباب ينفتح بغتة. بني وشتاخ وفاسكو يحملون لفائف من الأوراق ويدفعون الكونت لدخول الحجرة. الطباخون يلبسون معاطف مطر، والكونت يرتدي عباءة فوق رداء البيت)

الكونت : بتري، جرون! يا لها من مفاجأة. أبعد إيقاظ مزعج ورحلة مرهقة أجد أمامي هؤلاء الأصدقاء. ياه، الآنسة مارتا، أأنت هنا في هذا الوقت؟

فاسكو : من أتى بها هنا؟ لم نتفق على هذا.

بتري : هذا رأيي أنا. اهدأ، ستعرف السبب فيما بعد. يؤسفني ما عانيته يا سيادة الكونت مع هؤلاء الصبيان. يا بني!

بني : إنه لم يوافق يا سيادة الرئيس.

شتاخ : مازال عنده بعض الأحلام.

بتري : هيّا، اعتذروا!

الكونت : لكن لماذا؟ لقد نسيت تقريبا كل هذه المضايقات لأنني الآن، كما يقال، مُكره لا بطل. الوضع جميل هنا، لكن الرائحة ليست على ما يرام...

فاسكو : رائحة الكرنب، رائحة المساكين.

الكونت : إحساسك دقيق. خسارة أنك لست مجرد أنف. الكرنب، لم لا؟ هذه الحجرة الصغيرة ذات الصورة الجميلة والمبهجة للنظر. صورة إعدام جماعي! إنه منظر، يا له من منظر! يا سيدي الفاضل جرون، هل لهذا المشهد معنى خاص؟

جرون : مجرد مصادفة! إنها حجرة تجفيف الغسيل، وهي أكثر دفئاً من الدور الأعلى، لذلك...

الكونت : إنني هادئ الآن، لكن يغلبني شعور سيئ بوجوب وجودي في هذا المكان، أو ما هو أسوأ بإجباري على قضاء هذه الليلة فيه.

بتري : يمكنك ألا تحمل هما يا سيدي الكونت.

الكونت : يجب عليّ أن أصدقك. والآن؟

شتاخ : (بصوت منخفض) أخيراً فلنبدأ، نبدأ.

بتري : (بصوت منخفض) ماذا؟

شتاخ : جاءتك الأخبار ومازلت تسأل.

بتري : اللعنة! كيف هذا؟ يا فاسكو، يا بني!

بني : لا أعلم يا سيدي. لذلك يجب أن يكون واحدا ممن لم يحفظوا السر.

فاسكو : لماذا الظن بي؟ ألا يتواجد جرون وكذلك شتاخ الذي يميل إلى السمر؟

شتاخ : أين كنت اليوم عند الظهيرة؟

بتري : (بصوت مرتفع) هدوء!

الكونت : لكن يا بتري، فلنترك الأمر كما هو. أعتقد أنك دائما ما تعنّف رجالك، ولا يجوز هذا أمام سيدة شابة (يوجه حديثه لمارتا) سوف أسبق هؤلاء السادة وأقدم لك هذا الكرسي. (تجلس باستحياء) إذا سمح مدير تشريفاتنا، السيد جرون، سوف أجلس من آن لآخر على حافة المنضدة. الآن ندخل في الموضوع!

على ما يبدو أن موضوعنا هو الحساء للمرة المائة.

فاسكو: (مندفعا) أرجوك أن تتكلم الآن، فورا! أما إذا كنت تريد أن تقول لي وحدي، فلما لا! أم أقسم أنني سأجعله سراً محفوظاً هنا، هنا في داخلي!

شتاخ: ما الذي ينبغي دائما أن يطلقه من مخبئه؟

بتري: (بصوت منخفض) احذرك يا فاسكو! (بصوت عال) جميل أن تتكلم. نحن نريد أن نتحدث بوصفنا أصدقاء. أترى، مستقبل عملنا، نعم مستقبل التذوق حتى لا يقال..

الكونت: مستقبل كل الإنسانية.

بتري: أفصح! لقد كنت دائما مشجعا لحرفتنا الصعبة المهمة. دائما ما نصحتنا قولاً وفعلا حتى نحقق أمنيات زبائننا المدللين! لكن هذا لا يكفي! دعنا بكرم منك نلقي نظرة على ما كتبت. هل يجوز لنا أن نطلع على كل ما جمعت - وأتى به الصبيان هنا بالمصادفة - دليلاً على مجهودكم الحكيم. هنا في لفائف الأوراق...

الكونت: سوف يبتلون.

بتري: هيا إذن، اذهبوا بها إلى فرن التدفئة! وأنت يا فاسكو، اذهب معهم! (يجرون اللفائف تجاه الفرن. مارتا تريد مساعدتهم)

الكونت: (يرجعهم) لا، ماذا تفعلون بهذه اللفائف. استمر يا بتري، لن أقول شيئا. (طرق شديد على الباب)

على ما يبدو لي، كاد القلق أن يبدأ.

بتري : تكلم معهم!

جرون : (يقوم ويتجه نحو الباب) عن ماذا؟ عنك؟ هم لا يميلون للتحدث عن صاحبنا نافخ البوق الكبير. (يخرج)

بتري : آه، عم تحدثنا؟

الكونت : عن الله والعالم وتلك الورقة. أنت مشتت الفكر ومجهد، عليك بالنوم!

بتري : تمام، لفائف الأوراق! الآن يصح أن تظن أن فيها بعض الملحوظات على الحساء، ولا أعلم في أي منها!

الكونت : لا أثر لها. تكهناتك خاطئة. كل هذا لا يحتوي على أي خطة لطبخة محبوبة، بل على أسراري الخاصة فقط، المتواضعة والمقتضبة.

فاسكو : (يتقدم) أسرار! هل يجوز لي يا سيد بتري أن أسأله ما هذه الأسرار؟ هل سيبقى الحساء سراً؟ هل ستموت في يوم من الأيام وتأخذه معك، هل سترقد ولن ينطق فوك.. وهنا، هنا في داخلك السر؟ (يدق بيده على صدر الكونت)

الكونت : (ضاحكا) أسئلتك لا قيمة لها. إنك تبحث في مكان خطأ. ليس هنا في الصدر أحياناً يأخذ السر التافه طريقه إلى سلة المهملات في الشارع. إنه كلب أعرج يسير وحيداً على ثلاثة أقدام وببطء شديد ينتقل

من شجرة لأخرى ويترك وراءه انعكاسا ضعيفا لوجوده الباهت. (جرون يعود ويغلق الباب)

بني : سأجن، كاد يقضي علينا.

شتاخ : يعاملنا كأننا أطفال. فليتكلم جرون وليس بتري. هل يريد أن يقول لنا نكتة وأن يبيع لنا بيضا فاسدا؟

بتري : هدوء!

جرون : كلهم هنا يا بتري!

بتري : كلترر.

جرون : عنده دراية؟

بتري : أمر مضحك! بماذا؟

جرون : اسأله! أنت أنسبنا للحوار معه، وتريد أن تشارك وأن ينصتوا لك.

بتري : بني وشتاخ يقفان عند الباب!

شتاخ : دون فائدة لأنه سيدخل على أية حال، إذا أراد.

بتري : بسرعة!

شتاخ : لكن لابد أن يتكلم جرون، إنه يجيد الحديث.

بتري : إنني متشوق لهذا! ولم لا؟

جرون : إنه يهتم بي مثل الأب، حتى أنه ربما يعطيني بوقا براقا إذا كان معه.. الطباخون يضحكون) الآن بأقصى سرعة! لابد أن تراعي يا سيدي انني قد تباحثت مع هؤلاء المتذمرين في الخارج. إنهم طباخو المطاهي الكبرى، طباخو الطواجن، طباخو الأكل الشعبي. كلهم قادرون على كل شيء، وليس عندهم

مثل هذا الصبر. إنهم لا يعرفونك وسوف يشمرون ببساطة عن سواعدهم استعدادا للضرب. أي، كن نبيهاً! هنا الورق والحبر وكل ما تريد. اكتب بريك! اكتب، ونحن سنحميك من هذه العصابة!

الكونت: أنتم رجال أعمال سيئون، تعرضونني للخطر حتى تحققوا هدفا، لكن عليكم أن تقدموا عرضاً!

بتري: كم؟ (دق شديد على الباب)

جرون: ها هم الصبيان الأقوياء! يقصد النقود. كم؟

الكونت: كم يؤسفني ما لديكم من قروش. (الدق يزداد) دعوا الناس تدخل، إنهم يتجمدون!

بتري: إنهم متهورون.

شتاخ: كفى هراء! لا يريد المال، وليس لدينا بيوت، ماذا إذن؟

الكونت: ألا تعرفون؟ إذن أريد أن أعود إلى بيتي حيث يجب أن أنام وتدبرون في هدوء ما ستقدمونه ثم تعالوا إليّ. مارتا المسكينة، ألست مجهدة؟ (زمجرة)

شتاخ: سيفقدون عقولهم في الخارج!

بني: كلام فارغ! دعهم لندبر ما بين أيدينا الآن.

شتاخ: لم يفلح جرون ولا حتى مرة واحدة، سوف أجهز عليه.

بني: اعطوه ملعقة ممتلئة إذا أصر على طلبه!

جرون: أتباعنا يزمجرون، اكتب الآن!

بني: ممكن ملعقتين، إذا أراد. (بني يدخل من الباب ثم

يخرج علبة وملعقة من جيبه) كيف سيكون هذا؟ أجمل طعم له وهو بارد.

الكونت: يابتري، قل للمدعو بنيامين (Benjamin) الذي لم يغتسل أن يبتعد عني! معجون أسنانه ذو رائحة كريهة.

بني: (يضرب الأرض بقدمه) معجون أسنان وعدم اغتسال في عيد ميلادي! ماذا أفعل به؟ (ينظر لمن حوله)

شتاخ: بحق الشيطان! هل أنا هرقل حتى أوقفهم لعدة ساعات؟ (فرقعة. طباخون كثيرون يكسرون الباب ويدخلون باندفاع. بينهم الطباخ الطويل كلترر، الذي يمسك بوق بتري، وينفخ فيه. شتاخ يقفز جانباً).

كلترر: هكذا. لماذا لا يكون الآن؟ أي لعبة هذه، هل لنا أن نلعب معكم؟ لابد أن تتم اللعبة بسرعة. هاهي الملعقة الممتلئة التي نعرفها، فهي تنطق الصامتين. (ينظر للخلف) اهدؤوا يا جماعة سنلعب معاً. ما هذا؟ (يشير إلى لفائف الأوراق).

الكونت: السيد يشير إلى مجموعة لفائف أوراقي المتواضعة.

كلترر: هدوء! هل سيادتك الكونت المتواضع؟ أنا اسمي كلترر. ألا تعرفني؟ خذ في اعتبارك أننا سنكون أصدقاء!

الكونت: ولم لا؟ غالبا ما تنشأ أفضل الصداقات في مثل هذه الساعة المتأخرة.

كلترر: ابن نكتة. ما أخبار المباحثات يا جرون؟

بتري: قل يا كلترر، من أين أتيت بهذا البوق؟

كلترر: أنا أتحدث مع جرون وسألته عن المباحثات.

جرون: للأسف يجب علينا أن نحتمل.

كلترر: تخريف، دع الأمر لي! (يسحب جرون من المنضدة) أي أنك لا تريد؟

الكونت: يا سيدي الفاضل، لا أريد سوى الذهاب للفراش. وكذلك السيدة الشابة بالتأكيد.

كلترر: سيدة؟ آه، الممرضة. أي أنتما تريدان الذهاب إلى الفراش. وأنا أيضا. (الطباخون يحدثون ضوضاء في الخلفية)

جرون: عليك أن تقدم عرضا يا كلترر! إنه لا يريد المال.

بني: بل يريد ما قلته أنا. ملعقة صغيرة ممتلئة! (كلترر يصفع بني. الطباخون الواقفون عند الباب يضحكون)

كلترر: اخرس يا ملعون! شاب قليل الأدب. هل هذا هو كل ما تعلمته؟

بتري: إنه مغفل. وأنت ماذا تريد؟

كلترر: سأقدم عرضاً، ودائما ما في جعبتي شيء أقدمه. انتبه يا كونت! ماذا سنجد مما كتبت في أول لفافة ورق؟

الكونت: أعتقد عن السمك وحيوانات الصيد والطيور وبعض أنواع الصلصة.

كلترر: هل يهمك شيء في تلك اللفافة؟

الكونت: يا ربي! لقد جمعت كل هذا وأرجع إليه من حين لآخر.

كلترر: (يدف بني بيده) اذهب بهذا إلى الباب! (بني يجر اللفافة إلى الباب. أتباع كلترر يمزقونها) إيه، ألم تكن هذه اللفافة مجرد لا شيء؟ هذا ما قلته أنت؟ أهناك لفافة أخرى؟ لفافتان أخريان! (أتباعه يمزقون اللفافتين)

الكونت: عروضك تؤرقني، ويجب عليّ أن أعترف بأنك قد انتزعت بعضا من أعمالي. لكنني على أية حال - وهي واحدة من نقاط ضعفي الصغيرة - أرتب أولاً ثم احتفظ بالبعض فقط ثم أقارن، وسرعان ما أصل دائما لأفضل اختيار. أما أنت وجماعتك فأكثر تعمقاً.

كلترر: هل تلاحظون شيئا يا أولادي؟ تعمقنا وقربنا من الهدف.

الكونت: هيا بسرعة! هات الباقي يا بني! أنت تتقن العمل دائما.

كلترر: ليس من شأنك، أنا أعطي الأوامر هنا!

بتري: ليس لمدة طويلة. يجب حالياً على كلترر المسكين أن يكون رئيساً، لكن أمثاله سرعان ما يرهقهم الجهد. ما بقي عندك الآن من عروض؟ أصدقاؤك غير راضين عنك بالمرة ويتذمرون. عليك أن تفعل شيئاً وإلاّ قطعوا رقبتك.

كلترر: لن أتعلم منه المكر. اعطنا راحة قصيرة!

جرون: إيه، راحة! فكر بعمق، ربما نلعب «استغماية» أو «هيلاهوب»؟ ربما نكشف الحظ في الكوتشينة ونبشر بمستقبل وردي أو... (يوجه حديثه للكونت) نخلع عن شريفنا هذا المحتشم قميصه وندغدغه.

الكونت: (ينتفض واقفاً) يا جرون!

جرون: ماذا أرى؟ ماذا أرى؟ من أصبح حساسا هكذا!؟

شتاخ: كم يرتعب إذا دار الحديث عن القميص. هل هو جميل وأملس لهذا الحدّ؟

بني: أو ربما لديه بعض البثور في مكان ما؟

شتاخ: إنني أتساءل، هل نجد شعراً على صدره أو في مكان آخر؟

بني: وأريد أن أعرف إن كان لديه أي شيء بالمرة.

شتاخ: أتقصد أن كذا ينقصه وأنه ليس...؟

بني: انظر إليه!

شتاخ: تقصد أن الكونت لا يستطيع؟

بني: بماذا يستطيع إذن؟

شتاخ: ويتبول عبر أمبوبة صغيرة...

الكونت: يابتري!

شتاخ: ها هو يستغيث! وبالفعل سوف يفقد أعصابه إذا لم نبق عليه رداءه الصغير. هل سيظل كونت إذا تعرّى؟

كلترر: هدوء! وأيضا هناك في الخلف! ما رأيك يا جرون؟ لا أوافق تماماً على هذا.

جرون: عندي اقتراح بسيط! تكلم مع رجالك ليرجعوا بهدوء لبيوتهم، وأنت تبقى هنا. ماذا عسانا أن نفعل من دونك، من دون القائد الضخم الذي يحمل بوق بتري الصغير...

كلترر: ثم ماذا؟

جرون: سيرحل طباخوك الصغار بشق الأنفس، ولن يعود فاسكو لقرض أضافره بنهم، بل وسيدبّر أمراً معي ومع الكونت. أنت تعرف كيفية الحديث الواجب معه. أليس كذلك يا فاسكو؟

فاسكو: طبعاً، لا مؤاخذة، بلا مقدمات! لكن لماذا الآن فقط وليس من قبل؟ لقد وجب اشتراكي مع شتاخ وبني منذ البداية. ماذا كان ظن السيد بتري بي؟ مجرد طباخ صغير يقفز فور ما يأمرونه بالجري!

جرون: أنت أهنته يا بتري، قل أي شيء!

بتري: حسناً، ليتحدث معه. افعلوا ما تشاؤون!

الكونت: (ثائراً) لا تسمح بهذا يا بتري! ما عسى السيد شوستر أن يقول لو علم بهذا؟

بتري: كما ترى الآن، الأمر ليس بيدي.

فاسكو: (يتقدم) بل بيدينا! إنه لا يستطيع أن يفعل شيئا دون أن يسمع الموسيقى. اصرف الناس عنا يا كلترر!

كلترر: (يُخرج المتذمرين ثم يغلق الباب) اخرجوا الآن. كل ما أفعله من أجلكم ولسوف أخبركم. إنني لها فاطمئنوا!

فاسكو : سوف يصبح الهواء نقيا عندما يخرجون، كل شيء سيمر، الآن سريعا؟ سريعا جداً.

الكونت : هات ما عندك!

فاسكو : فلنتجاذب أطراف الحديث عن هذا وذاك.

الكونت : لن تستطيع أن تثبت شيئا، إنها إشاعات وهراء!

فاسكو : لن أقول ما يردده الناس، بل أقول فقط إنهم يتكلمون. من المؤكد أن ما يقولونه غير صحيح، لكن به قدر من الصواب. ألا وهو السيد الكونت سيئ الحظ مع النساء!

جرون : لا أصدق!

فاسكو : لكن هذا ما يقال. كل الأشرار أسرّوا أنه يحب شاباً جميلاً. حتى بني الرقيق ربما أغراه فتحسسه بيديه.

بني : فعلا، أشهد بهذا.

جرون : كفى! كلام فارغ.

فاسكو : جرون عنده حق. نحن نعرف السيد الكونت ونرى طبعا أن هذا لا يمكن أبداً. إنه خجول، ما جاءت مارتا ورآها حتى يحمر وجهه ويقول: الآنسة. إنني أسأل الآن: ما هذا؟ هل هو الحب؟ يا جرون، يا كلترر، هل هو الحب؟ لا مؤاخذة، لم لا؟ أليس لديه ما يدعمه؟ ألم تأت هي إليّ وقالت باكية.آه، السيد الكونت...

مارتا : أرجوك يا شتيفان!

فاسكو : ليكن! وهل سأبوح بكل شيء قلته لي عنه؟ أليست مهانة لي أن أبوح بكل شيء؟ ألست أقول دائما لنفسي: ما رأيك: إن مارتا لم تقصد دائما سوى السيد الكونت؟ وإذا ما قالت «شتيفان» ألم يرن هذا الاسم في أذنيك وكأنها تقول هربرت؟ إنه اسمه هو. (موجها حديثه لمارتا) لا، لا تقولي ولا كلمة! لا تقول اسمي بعد الآن!

بتري : استمر يا فاسكو، استمر!

فاسكو : لا مؤاخذة، حالاً. أنت تسكت يا حضرة الكونت، لكن سكوتك لا ينفي ما أقول بل يؤكده ويعلن أنني قد أصبتك في الصميم. أعتقد أنك ستدع الناس يتكلمون. دعهم يقولون إن الكونت ليس له قلب. لكنني أعلم أن له قلبا، وقد أصبته فيه! أليس كذلك؟ قل! أليس كذلك؟

الكونت : نعم يا فاسكو، إنك حقاً مكتشف.

فاسكو : (منهوك القوى) الآن كل شيء على ما يرام، الآن لم يبق في حوذتي شيء. تكلم أنت ياجرون!

مارتا : ما لك تتكلم هكذا يا شتيفان؟ ماذا فعلت لك؟

فاسكو : قد مضى كل شيء. اذهبي إليه الآن وناديه باسمه! اذهبي إليه! اذهبي الآن!

جرون : أعتقد أن مارتا موافقة. لقد تحدثت معها من قبل، ماذا قلت لك يا مارتا؟

مارتا : لم أعد أعرف.

جرون: نسيت مرة أخرى؟ ألم أقل: طباخ وممرضة لا يجتمعان. أليس كذلك؟

مارتا: ليكن. وأنت يا سيادة الكونت؟

الكونت: لا يحضرني شيء يا صغيرتي. لقد قال فاسكو كل شيء.

جرون: انتهى الأمر! وسار على ما يرام كما خططنا. اقرأ هذا بهدوء ثم وقِّع باسمك كاملاً في أسفله على اليمين! هل تريد كرسيا؟

الكونت: بالطبع لا. لقد كسبتم تقريباً.

جرون: كسبنا.

بتري: الأفضل أن نقول إنك أيضا كسبت فتاة ممتازة ذات صحة جيدة ومهارة فائقة وصبر وطاعة دائمين. وسوف تسير أموركما على ما يرام، ويكون لكما بيت وربما فيما بعد أولاد...

الكونت: إذا أرادت الآنسة مارتا أن تأتي معي، فسنقضي أولا بعضا من الوقت في بيتي الريفي ذي الحديقة الذي يمكنها أن تعيش فيه بوصفها ضيفة. دعوني أكمل حديثي! إذا جئتموني بعد عدة أسابيع وأرادت هي البقاء معي، لا بوصفها ضيفة فقط، فسوف أوقع وثيقتكم وأعطيكم إياها.

جرون: لماذا ليس الآن؟ لقد وافقت ولا داعي لكنيسة.

شتاخ: لعلي أتساءل أيضا، أليس الأمر مباركاً بما فيه الكفاية؟

بني : إنما يريد أن يخدعكم بحديثه المعسول!

جرون : ماذا تقصد؟

فاسكو : دعهما يذهبان ثم نزورهما.

جرون : يا كلترر، يا بتري!

بتري : لابد من التدوين حتى يبقى شيء في يدنا.

كلترر : فقط إذا دونت أنا معكم!

جرون : الآن لك أن تنفخ في بوقك. (الطباخون يضحكون ويكتبون الوثيقة)

مارتا : (تتقدم) لماذا لا تسألونني؟ عندي اليوم خدمة ليلية في المستشفى، لكنكم جئتم بي هنا، والآن...

الكونت : هل تفضلين أن تبقي معه؟

مارتا : مع شتيفان؟ (تنحني وتلتقط القصاصات الورقية)

الكونت : لا يا صغيرتي، اتركي لهم هذا الورق! هم أحوج إليه. (يتجه للمنضدة) اسمي؟ (يوقع) خط يدك يوضح سرعة كتابتك يا فاسكو، دائما من الصعب عليك أن تتريث. (يرجع إلى مارتا. قبل أن يمد بتري يده يندفع كلترر ويأخذ الورقة ويتأملها)

كلترر : إنني أسمح لنفسي أن أحتفظ بهذه الوريقة وكذلك بجهازك الموسيقي ذي الحساسية الشديدة. ياه، ها هو كما اعتقدت، إنه ليس كونت بل اسمه فقط: هربرت شمنسكي. (يجلس وينظف البوق)

مارتا : إنني ذاهبة يا شتيفان! (الكونت ومارتا يرحلان معا)

شتاخ : زوجان جميلان. (يوجه حديثه لفاسكو) ما رأيك؟

فاسكو: النهار طلع.

شتاخ: لكنك تنظر إليهما وكأنهما يهجرانك، لماذا؟

فاسكو: حتى يفكرا فيّ، وأبقى معهما كاللحم البقري بين الأسنان.

كولفسر: (تدخل ومعها دلو ومقشّة) ها، كيف كان عيد الميلاد؟ الفرح واضح. (تدفع قصاصات الورق نحو الباب وتنظر باندهاش للقفل المكسور) قولوا لي من أتى على هذا القفل القوي؟

جرون: ليست مشكلة يا سيدتنا كولفسر. خذي هذا واشتري قفلاً جديداً، لكن لا ترو شيئا. هنا تضاربت الحوارات حتى أدت إلى جفاف الغسيل المعلق على الحبال.

بني: لماذا تركتموهما يذهبان هكذا ببساطة؟ (الجميع أمام الباب)

شتاخ: أنا كذلك لا أفهم السبب.

فاسكو ك حتى يقضي وقته معها سواء على المنضدة أو في السرير، لكن ليس بوصفها ممرضة.

كولفسر: (تنزل الغسيل من السقف وتغطي الطباخين). وهل لديه سوى هذا الأسلوب؟ دائما أبداً يقرض أظافره ويخطط للمستقبل.

الفصل الخامس

(الحديقة: سور متوسط الطول يحيط بحديقة بيت ريفي صغير. على اليسار بوابة الحديقة وعلى اليمين جملون البيت بالشبابيك وأسفله الباب. في الحديقة بعض أحواض الزهور ونافورة صغيرة وشرفة البيت الأمامية من البلاط. في الشرفة منضدة وكرسي. ثلثا السور مدهونان بطلاء أبيض، والثلث المتبقي مطيّن. علبة دهان وفرشاة فوق كرسي بلا مسند.

الكونت ومارتا يدخلان من بوابة الحديقة. كل منهما يتمتع بالنشاط، ويرتديان ملابس صيفية، ويسيران حفاة، ويحملان أحذيتهما في أيديهما)

الكونت : (يمسك بالفرشاة) الآن يعود البريق للسور! لعله يؤثر مثل أحد الأعياد، براءة وبعض من الملل.

مارتا : (تقف في الشرفة) أرجوك يا هربرت، بعد الأكل! ياه، ما أجمل أن نظل واقفين هنا على بلاط الأرضية.

الكونت : (يترك الفرشاة ويدخل الشرفة) أقدامنا في منتهى السعادة ولو أنها باردة جدا.

مارتا : مطيّنة.

الكونت : وقدماك أيضا؟ أريني! (يجلسان ويضعان أقدامهما

فوق المنضدة، ثم يمسك هو بقدميها)

مارتا : لا تنظر لها الآن يا هربرت، لقد احمرتا جداً.

الكونت : عليهما التراب، لكن تحت التراب توردات ووخزات.

مارتا : من فضلك!

الكونت : دعيني! لم أكن أعرف أن قدميك جميلتان، عليك أن تسيري دائما حافية!

مارتا : (ضاحكة) كأنك ترتل لراعوث وأنت تجمع السنابل بكل نشاط. أما أنا فكأني ليس لدي ما أفعله سوى الحنجلة على الحصاد. لابد أن أغسل قدميّ الآن، وأنت كذلك.

الكونت : (يمسك بها) انتظري! لنا أن نؤجل غسيل الأقدام ودهان السور.

مارتا : والحذاء وضعته فوق المنضدة. أي منظر هذا!

الكونت : ليكن.. إنني مرهق (يجمع الأخذية فوق بعضها البعض) يمكنهم أن يتجمعوا كما يشاؤون، فهم أحذيتنا على أية حال. إذا نظرت إليهما من ناحية بطن القدم، أرى كيف كنا نمشي حتى اعوجت الكعوب. لقد دست بقدميك على الخنفساء، وكأنك تستطيعين أن تمشي فوقها.

مارتا : خذها الآن من على المنضدة يا هربرت!

الكونت : دعيها مكانها! إنها جديرة بهذا. آخرون يسيرون نصف كيلومتر ويعودون بباقة من زهور الغيطان، ثم يضعونها في الزهريات على المنضدة. وآخرون من

مـرتدي الأحـذية يعـودون وكـأنهم كـانوا في غـزوات وغـارات نـهب، أمـا نـحن فنعـود بأحـذيتنا القـديمة والمريحة، ودائماً ببعض من البذور على أربطتها.

مارتا: أتعود مرة أخرى للكلام!

الكونت: ألم تقـولي إن أحـذيتنا جـمـعت السـوسن المعـمم (التيوليب) أو الخشخاش؟ إذن لا يبقى لي سوى أن أجعلها زهريات. (يقطف بعض الزهور ويضعها في حذاء)

مارتا: (تقف) حسنا. دعها هكذا، ثم...

الكونت: ثم تأتين بمفرش السفرة الكاروهات وبالأطباق ثم بالأحذية بيننا وكأننا ولدنا بها. أنت الآن متنزهة الحصاد وقدماك كبيرتان لدرجة أنك دائما ما تسبقينني حتى ولو كنت تمشين خلفي.

مارتا: (تمسك الدلو) هل من الممكن أن أقـول لك الآن شيئا؟

الكونت: لكن...

(يريد أن يمسك بها، وهي تتخلص منه)

مارتا: دون «لكن». سأذهب بهذا الدلو للنافورة (تملؤه من النافورة)، وأحضره لك نصف ممتلئ.

الكونت: وسمك المرجان؟

مارتا: يبقى ما يكفيه. لا كلام بعد الآن، لا اكتشافات ولا مناظر جذابة للزهور، ستغسل قدميك!

الكونت: وأنت؟

مارتا : سأراقبك.

الكونت : ثم ماذا؟ (يغسل قدميه)

مارتا : سأحضر فوطة وأجففهما لك.

الكونت : بعد ذلك أحضر لك دلوا ممتلئا وأتفرج عليك ثم إن أردت أن أجفف قدميك فسوف أحتاج أولا فوطتين لتجفيف أصغر إصبعين فيهما بصعوبة .

مارتا : قل ما تشاء! كل شيء فيّ تراه كبيراً.

الكونت : أنت عملاقة! إذا أردت أن أمر بيدي فوق ظهرك فسوف أقطع رحلة طويلة وكأني مرتحل من روما إلى كوبنهاجن.

مارتا : قبل ما تقوم برحلات لمثل هذه المدن البعيدة، دعني أسرع حتى لا تصاب بالبرد وتصل لهدف رحلتك وأنت مريض... (يمد قدميه إليها، وهي تنحني وتجففهما)

الكونت : (يتكئ بظهره على المقعد، على حين يمر الطباخون وتظهر رؤوسهم فوق السور) الجو حار اليوم. سوف أدهن السور بعد الأكل. أليس هذا أفضل يا مارتا؟ (ينظران معاً إلى السور ويريان الطباخين فيرتعدان خوفاً)

شتاخ : تغسل قدميه وتجففهما بهوادة فائقة.

بني : ثم يغسل هو لها. كل رجل تغسل الأخرى.

شتاخ : هذا هو الحب.

بني : نعم، لكن هل كانا أيضا متعاونين في الأمور

الأخرى؟ (الكل يضحكون ثم يقفز كلترر فوق السور ويمشي ذهابا وإيابا، حاملا البوق بين يديه وكأنه تلسكوب)

كلترر: حديقة جميلة، لكن زهور كثيرة بلا خضراوات.

بني: أنت لا تفهم. الزهور غذاؤهما.

شتاخ: هكذا يعدان وجبتهما (يجلس على السور) أولاً حساء زهرة البنسيه وعليه بعض من قلب زهرة الربيع.

بني: ثم يضيفان إليها بعضا من جلاجل شهر مايو وبطاطس مهروسة بالبنفسج وشريحة لحم الذكرى.

شتاخ: في الختام بعض من جبن القرنفل حتى تكتمل المائدة.

بني: (يجلس القرفصاء فوق السور) أما إذا أصابهما المغص فليشرب حبهما النباتي بعضا من ندى زهرة الناقوس المعمودية الصغيرة...

شتاخ: ثم يغسلان أقدامهما بهوادة حتى يعود الحب الجميل ثم أوه... أوه... أنت...، أنت...، ثم لذيذ... لذيذ. (شتاخ وبني يتعانقان بتكلف واضح)

كلترر: (ينفخ بحزن في البوق) أنتم! قولوا لي! أليس هذا المكان جميلا؟ أيمكنني أن أتصور أنني أعيش هكذا؟

الكونت: هل يعجبك؟

كلترر: إلى حد ما، فنادرا ما أعيش مع الزهور. ماذا نقول

لها، يا بني؟ كيف يتغنى الشاعر؟

بني: دع الزهور تتكلم!..

كلترر: تمام! لهذا نحن هنا. إننا نريد أن نجعل الزهور تتكلم.

(الطباخون الثلاثة يضحكون، كل على هواه)

الكونت: لا تتقرفصوا فوق السور هكذا كالغربان البيضاء. ادخلوا يا أولاد، فلم نتقابل منذ مدة طويلة. يا فاسكو، يا بتري، يا جرون! لماذا لم تقولوا شيئاً؟

كلترر: (يلوّح بالبوق) هنا الموسيقى. ليس لديهم شيء يقولونه. اسمع يا سيادة الكونت! إنني الآن الرئيس. كلما أراد شوستر شيئاً جاءني ويقول: «يا كلترر، اجعل الأمور تسير على ما يرام! لقد كان تباطؤاً فظيعاً من بتري. لكنني أستطيع الاعتماد عليك، أليس كذلك؟» هذا إن استطاع أن يعتمد!

بتري: إنك لا تجيد الحديث يا كلترر، لكنك ذو شكل لطيف التنسيق.

جرون: لا تأخذ الأمر بهذه الجدية يا سيادة الكونت. أنت تعرف السيد شوستر، كما أن رئيس اليوم ليس رئيس الغد، وكل منهما لا يستطيع النفخ في البوق.

شتاخ: لقد صغر حجم بتري إلى حد ما.

جرون: وكبر حجم كلترر إلى حد ما.

شتاخ: وعلى الرغم من هذا فنحن دائماً نعم الأصدقاء، فاسكو وجرون...

جرون : كما يجب علينا بالطبع ألا ندع بتري العجوز ينهار.

شتاخ : لقد صغر حجمه إلى حد ما. ما معنى هذا؟ من يقول لي، من ذا الذي سيزيد حجمه غداً؟

كلترر : ليس أنت بالطبع!

شتاخ : من يعلم، من يعلم؟

فاسكو : (يجلس على السور) كيف تبدو الآن؟ إنها لم تعد ممرضة. لقد ربطت شعرها في مكان آخر حتى يمكننا أن نراه دائماً. لم أتصور أبدا أن شعرك أشقر هكذا يا مارتا.

بتري : أتسمع مناجاة الهوى؟ سوف يأتي حالاً بالقيثارة ويرثي حظه الضائع.

فاسكو : اعتقدت دائما أن ليس لها رقبة، أما الآن فلها. تستطيع أن تلعب بيديها وكأنها تفعل بهما معجزة، كأن لكل إصبع من أصابعها شعوراً خاصاً ويعلم أين يكون مع الرفيق.

بتري : متى ينتهي هذا؟ افعل شيئا يا كلترر! أظهر قدراتك!

جرون : كم أنت قاس يا بتري. إنه مبتدئ، قام بعمله منذ قليل.

شتاخ : لابد أن يتدرب.

جرون : علينا أن نساعده.

كلترر : لا أعبأ بمساعدتكم! ستسير الأمور الآن، بسرعة. ابتعدوا! هيا! (صوت البوق، بني وشتاخ يقفزان من

فوق السور)

الكونت : (يقف) يدوسان كل شيء! ألا تستطيعان أن تدخلا من الباب، أيها المغفلان!

بني : قال «مغفلان»؟

شتاخ : يعتقد أننا مازلنا بني وشتاخ القدامى.

الكونت : الآن ينزلان من فوق السور. ناد أتباعك من الحديقة يا بتري! (بتري يشير بيده إلى كلترر) حسنا فلينادهم كلترر.

كلترر : سيادتك تخطئ في تقديرك للموقف. يمكن أن نقول إننا مكلفون بالحضور إلى هنا.

بني : حضرنا هنا ثلاث مرات.

شتاخ : ودائما يفر منا العصفور.

الكونت : إنني أكرر رجائي، ناد أتباعكم!

كلترر : (صوت البوق) للجميع: قف! للخلف دُرّ! للأمام سرّ! ما هذا! إنهم لا يطيعونني. ربما السبب هو صوت البوق؟ (يفحص البوق)

بني : فلنبدأ (يخرج قصاصة ورق من جيبه) اقرأ ثم اكتب بوضوح، الأفضل أن يكون بالحروف المطبعية. (يريد وضع القصاصة على المنضدة) أمر مضحك! حذاء على المنضدة، من صاحب هذه القوارب؟

مارتا : إنها لي يا بني.

بني : آه، أي أنه لن يتكلم معي، وهذا هو الدليل!

مارتا : الزهور؟ لا ، إنها مجرد دعابة.

بني: هذا إن لم تكن حيلة جديدة.

شتاخ: دعهم يلعبون، ألدينا وقت للحديث السخيف؟

بني: أريد مكانا فقط. (يزيح الحذاء عن المنضدة ثم يضع القصاصة) لابد من النظام!

الكونت: هذا عبث يا كلترر! لن أتعامل مع هؤلاء الصبيان.

كلترر: يا للشيطان! ولم لا؟ لم يبق سوى أن يأتينا أحدهم بالأوراق. (جرون وبتري يضحكان)

بتري: هذا ما تصورته دائما.

جرون: فكرة كلترر هي أنه يرسل بني ومعه شخص آخر حتى يستطيعا معاً الحديث مع سيادة الكونت.. تمثيلاً للبروليتاريا.

كلترر: لكن...

بتري: إنه خائب! قم أنت بهذا يا جرون! (يصعد فوق السور. جرون يختفي خلف السور ثم يدخل من بوابة الحديقة)

كلترر: حسنا، إذا كان هذا هو رأيك. آتني بالمفاجآت!

بني: يا رجل، إنهم يريدون إرعابك. سوف ننجز هذا.

كلترر: قلت لجرون وكفى! هيا إلى الباب! وكذلك شتاخ!

شتاخ: ياه! دائما يريد أن يظهر رئاسته. (يتجهان معاً نحو باب الحديقة)

جرون: معذرة يا سيادة الكونت! لا تؤاخذ على التصرفات الصبيانية! نحن نريد دائما أن نختصر. آخر اتفاق بيننا، كما تذكر كان كتابياً. من فضلك، اكتب هنا

توقيعك المتميز. لا تغيره لأن كل أوراقك تدل عليه، توقيع رجل رفيع ذي مكانة عالية...

الكونت : أنتم تريدون الوصفة. وهذا أمر يؤسفني.

كلترر: (يقفز من فوق السور) ماذا يؤسف هنا؟

الكونت : قلت دائما إنه ليس هناك وصفة بعينها، إنها الخبرة والمعرفة المرنة والتغيير، لابد أن تعلموا أن الطباخ لا ينجح أبداً إذا طبخ النوع نفسه من الحساء مرتين.

كلترر: كل شيء على ما يرام، لكن ما الذي يؤسفك؟

الكونت : لابد أن أوضح أكثر. إنها الشهور الأخيرة، وهي حياتي مع مارتا، مع زوجتي. أليس كذلك يا صغيرتي، هل لي أن أقول ذلك؟

كلترر: وماذا عن حياتك هنا؟

الكونت : جعلتني ابتعد عن الخبرة، لقد نسيت.

كلترر: الوصفة؟ لا يمكن أن يكون هذا ما تريد أن تقول...

الكونت : كنت أود أن أساعدكم. ولكي أوضح الأمر أعلن أنني نسيت بعد الأيام الأوائل لنا معاً، بل وعلى ما يبدو بعد الساعات الأولى... أليس كذلك يا صغيرتي؟

مارتا : لقد ذهبنا معاً إلى بيتك وأعددت لنا الإفطار...

الكونت : .. وسألت إذا ما كان يجوز لك أن تأخذي قطعتين صغيرتين من السكر في قهوتك.

كلترر: إن لك ذاكرة مدهشة!

الكونت : كل شيء واضح أمامي الآن.

كلترر : فيما عدا الوصفة، أليس كذلك؟

الكونت : لم أفكر فيها مطلقا حتى الآن.

مارتا : هذا ما جال بخاطري، وقد خشيت هذا اليوم.

كلترر : عندك حق يا آنسة. أنت وتابعك الكونت الهزلي، سوف، سوف... (يمسك بالكونت)

بتري : ماذا ستفعل يا كلترر؟ (ينزل ببطء متكلفا من على السور) أي أفكار ماكرة في رأسك الصغيرة المكتظة بلعب الأطفال. إنك المكتشف الشهير للبطاطس المحمرة، وخالط الحساء بالدقيق، والمتمتع بعبقرية الحلّة الواحدة!

كلترر : سوف أرغمه، وأرغمها هي الأخرى!

بتري : لا، لا يا حبيبي، هذا لا يصح. مازلت ينقصك الرفق بالأصدقاء.

جرون : دعه يعمل، ولا تنفعل هكذا! ألم يقل أحد لك إنك لم تعد الرئيس.

بتري : سأترك له البوق كما هو. أعمى ومنبعج ودون رعاية حقيقية. ما رأيك أيها الكونت الفاضل؟ أهكذا يكون التعامل مع آلة موسيقية ذات قيمة كبيرة؟

الكونت : كان من الأفضل أن تكتم هذا.

بتري : (ضاحكا) أكتم! أسمعتم هذا الوعظ؟ إنه يعظني، وهو كاتم الأسرار ودائم النسيان. (بجدية) الآن، أنصت إليّ! نحن نعرف بعضنا البعض نعم المعرفة،

وأنت تعلم أن ما اتسمت به محادثاتنا من لطف ولين يرجع إليّ. (صائحا) لكن مازالت لدي وسائل أخرى كثيرة!

الكونت: إذن فعلى المرء أن يخاف.

بتري: الخوف لكما، فلا تعتقدا أن هذا السور الأبيض والزهور التي أمامه وهذه النافورة يستطيعون استعطافي. ما اسم هذه السمكة الصغيرة يا بني؟

بني: سوف أسألها. (يأخذ سمكة مرجان من ماء الفسقية ويعطيها لبتري)

بتري: ها هي السمكة، سوف تعرفها! لقد كانت للتو سعيدة، أما الآن فتكاد لا تلتقط أنفاسها. والسبب في هذا أنها لا تحتمل أنك لا تريد أن تروي لنا. كما أنها لا تحتمل ما أفعله بها الآن، ها أنا أضعها باحتراس في جيبي وأربت بيدي عليها. ربما يقول لي الوصفة. أليس كذلك؟

الكونت: هل تستحق هذه السمكة الصغيرة سخطك يا بتري؟ عاقبني أنا! لقد خطر أمر ببالك، لكن دع هذه السمكة الصغيرة تواصل حياتها في ماء الفسقية! لعل معاملتك هذه تتناسب مع السلمون المرقط والسمك الكركي والقراميط وليس مع السمك المرجان الذي لم تصل أنت لمستواه.

بتري: لا تتكلم! هذا ما تحتمه عليّ طبيعتي. ها أنا قد أحط بأسلوبك شيئا فشيئا. هيا، تأبط ذراع

ممرضتك السابقة وادخل البيت وأمعن التفكير، ثم سنأتيك ونسألك باختصار شديد، فهمت! سوف تتحسر، لا، سوف يناديك الجميع: عليك ببتري، هو بتري، آه لا سبيل سوى هذا البتري!

الكونت: وأنت يا فاسكو؟ ماذا تقول، وأنت جالس على السور!؟

فاسكو: سوف أنظر إليها وهي لم تعد تنظر إليّ، كما لم تعد تقول لي يا شتيفان. ما الذي استأثر بعقلها؟

مارتا: لنذهب لو سمحت، لقد أصبح الطقس بارداً في الحديقة.

الكونت: حالا يا صغيرتي. للأسف، كان أملي أن أنتهي من دهان السور. ربما تقوم أنت بذلك يا فاسكو بين الحين والحين، فهو لا يبدو جميلا بل ناقصا (الكونت ومارتا يدخلان البيت)

فاسكو: أمنيات؟ لا مؤاخذة! لم لا، معه مارتا وأنا أدهن له السور.

كلترر: والوصفة؟

بتري: سأنتزع منه كل شيء، لكن شيئا فشيئا.

جرون: هل أنت على يقين؟ هل سيتكلم إن كان مازال يعلم؟ لم يعد لديه حجة لكتم الأسرار، حيث نال كل ما أراد.

شتاخ: لكننا لا نستطيع أن نستسلم ونقول: ليس هناك ما نفعله. يجب علينا أن نواصل وكأننا موقنون أنه يعلم حتى ننتهي!

بتري: عبث ما تقولون. إنه لا يريد، وغرضه دائما أن يستمهل. ربما...

فاسكو: ليس هناك «ربما»! إنه يعلن من هو الكونت. أتريدون مشاجرته وانتزاع ما ليس لديه؟ أتريدون اقتحام الباب الصغير بالقوة وتقولون: أين الحساء، قل كيف تطهيه بدقة! ما مقدار الرماد حتى يصبح الحساء رماديا! ثم تعودون إلى الأسئلة من جديد: لماذا الرماد وما مقداره وما هو؟ هل تريدون السؤال هكذا؟ ناولني الحذاء هنا عالياً يا بني! الآن، هل تريدون أن تكونوا مثل فتاحة العلب التي لا تعرف ما تفعل؟ أتريدون أن تقفوا مثل راسبوتين وتلقوا نظرات غريزية مكسوة بالرهبنة المنقبضة؟ عليكم أن تعطوني الحذاء الكبير!

بتري: هيا، ارفعه له! أنت تعرف فاسكو، دعنا نسمعه!

فاسكو: أي حذاء هذا! حذاؤك يا مارتا؟ إنه ذو كعب معوجّ.

بتري: وإذا كان لايعلم شيئا؟

فاسكو: حسنا، الآن أنتم أذكياء. أنتم تعرفون كيف تجعلون أحداً يقول ما يعرف. لكن، لا مؤاخذة، إن كان لم يعد يعمل، وإن كان هناك ممحاة، وهي الحب، قد مسحت كل شيء في عقله وقلبه ولم يعد يعرف: ما مقدار الرماد وما هي كينونته؟ نيابة عنكم سأعطي هذا الحذاء لشوستر وأشتري له رباطاً. (يفك الرباط القديم بأسنانه)

كلترر: ربما يتذكّر.

جرون: لكن هذا يتطلب وقتاً. لا فائدة الآن أن نجعله...

بتري: ماذا! سيقول دائما: أنا لا أعلم.

فاسكو: ما معنى «دائما» هل تعني «الخلود»؟ وهل الخلود شيء تبيعه الكنيسة ببعض من التراتيل والعطور الجميلة؟ أمازلنا أذكياء! (يصعد فوق السور) متى عرف الكونت؟ ومتى أحاط بالتفاصيل؟ ومتى أصبح لا يعلم شيئا؟ كم عقدة في رباط حذائها؟ متى عرف هو؟ (جرون وشتاخ يضحكون)

شتاخ: إنه فاسكو الذي تعاوده كل الذكريات!

جرون: ويقعد فوق السور ويحن إلى مارتا.

شتاخ: ويربط بأظافره المقروضة وبأسنانه عقدا في رباط الحذاء وهو يفكر فيها.

كلترر: كيف يا أولاد، أيريد أن تعود إليه الممرضة من جديد؟

جرون: رئيسنا المؤقت بطيء الفهم إلى حد ما. اشرح له يا شتاخ!

شتاخ: آه، إذا استقرت البراءة في رأسه صار كأنه عذراء لا تعلم شيئا. ماذا نشرح له؟ ستعود مارتا لفاسكو، ويعود للكونت ما أنساه الحب إياه.

شتاخ وبني: (يمسك كل منهما يد الآخر ويرقصان)
يا ثوب الحبيب! يا ثوب الحبيب!
انتقل من هنا لهناك.

ها هو تمايلك يا ثوب الحبيب

آه جميل، آه جذاب.

بتري: هدوء! ماذا جرى يا فاسكو؟

فاسكو: لكن إذا كانت لا تريد، لأن، لأن، أجل لأن...

بتري: هل ذهبت معه بإرادتها؟ لنرى.

جرون: ربما يسعد تماما إذا ما أصبح وحيداً لفترة ما. إنه لا يشغل باله أساساً بالنساء.

بني: كما أنه سيستطيع أن ينتهي من دهان السور في هدوء.

فاسكو: نعم، لقد قال إنه يحبذ أن يجعله أبيض تماما. (صوت طلقتين ناريتين متلاحقتين. ينفتح الشباك الواقع فوق باب البيت. فاسكو يقف مذهولاً، ويسقط منه حذاء مارتا على الأرض)

شتاخ: لماذا يطلق النار؟

جرون: سوف يضطر فاسكو أن يدهن السور حتى آخره. (فاسكو يحدّق إلى الشباك المفتوح)

شتاخ: ماذا تسمع؟ هل أطلق عليك أيضا النار؟

بتري: يا فاسكو!

فاسكو: (يستدير ببطء تجاه الطباخين) الوصفة!

كلترر: ماذا عن الوصفة؟

شتاخ: يبدو أنه يعرفها! لقد عرف شيئا!

فاسكو: لا، لا.

بني: سوف نرى.

(كلترر وشتاخ وبني يتجهون نحو السور ويتسلقونه. أما فاسكو فينزل قافزاً من فوق السور)

فاسكو: لن أقول لكم شيئا، لن أقول.

كلترروشتاخ وبني: يافاسكو، يا فاسكو! إنه يمشي يساراً، ها هو بجوار المنحدر، والآن أصبح خلفه! إنه يريد أن يصعد على جسر السكة الحديد، نعم على جسر السكة الحديد!

بتري: (يرفع البوق ويحاول أن ينفخ فيه) لم يعد له صوت. نعم، نعم! هم يسيرون أيضا. أتعرف لماذا؟

جرون: إنه أمر يعتمد على أرجلهم.

بتري: وماذا عن الوصفة؟

جرون: حجة للسير. لم يعد أحد يسأل عنها، ولم يعد الحساء هو الهدف.

بتري: ونحن، لماذا لا نمشي؟

جرون: مازلنا ننتظر برهة. حتى يتعب الآخرون هناك ويحتاجون أحذية جديدة قوية، حينئذ.. نعم حينئذ يجب علينا أن نبدأ مساعينا.

بتري: فاسكو الطيب! لن يكون عنده وقت يمكنه من الذهاب لشوستر. سوف يضطر للتجوال حافيا حائرا.

جرون: لن تبقى له ثوان يقرض فيها أظافره ولو حتى مرة واحدة.

بتري: (يخرج من جيبه سمكة المرجان الذهبية) هل

سيظل صامتا هكذا ويبخل بكلمة صغيرة، شأنه في ذلك شأن تلك السمكة المتمتعة بالرفاهية والزخرفة؟ يلقي بالسمكة في الفسقية .. ها هي تتقلب على ظهرها، إعلانا منها أنها لا تريد الحياة.

جرون: أنا وأنت وكل من يحمل مغرفة ويعمل طباخاً، لن يجبرنا أحد أن نكون مثل سمك المرجان نعوم أمام أعين الآخرين. (بتري ينظف البوق) لم يعد يروقني هذا المكان. (يخرج).

بتري: إنه يذهب. أقدامي هي الأخرى تستعد لتحقيق هدف منتظر. (يوسّع خطاه ويسرع في المسير)

(النهاية)

الجرة المكسورة

تأليف: هاينرش فون كلايست
ترجمة: أ. مصطفى محمد أحمد
مراجعة: د. عبد الغفار مكاوي

مقدمة بقلم المترجم

ولد كلايست في الثامن عشر من أكتوبر ١٧٧٧ في مدينة فرانكفورت الشرقية الواقعة على نهر الأودر لعائلة بروسية أرستوقراطية خدم أفرادها على مدى أجيال طويلة في الجيش البروسي، وقد اتسم المستوى الثقافي لمثل هذه العائلات عادة بالتواضع، وفي ظل المفاهيم البروسية الصارمة كان هناك الشيء غير القليل من ضيق الأفق والانغلاق الفكري، وقد انعكس ذلك على علاقة كلايست ذي الطموحات الفكرية بعائلته التي لم تفهمه يوما طيلة حياته.

لا نعلم الكثير عن طفولته سوى أنه أمضاها سعيدة هانئة مع خمسة من الإخوة والأخوات، وتلقى أول دروسه على يدي مدرسه كريستيان إرنست مارتيني Ch. E. Martini الذي قال عنه: «كلايست عقل ناري لا يهدأ، دأبه المبالغة والتصعيد حتى ولو تعلق الأمر بصغائر الأمور، لا يعرف الهدوء والسكينة خاصة إذا تعلق الأمر بزيادة معلوماته، كانت له قدرة هائلة على الفهم والاستيعاب، له روح تميل للتعلم جناحاها الحب والاجتهاد، وباختصار هو أكثر العقول تفتحا واجتهادا في هذا العالم، إلا أنه قليل المطالب».

غير أن طفولته قد انتهت بموت أبيه عام ١٧٨٨ نهاية مبكرة، فقد أرسل إلى برلين حيث تولى القس والأديب كاتل Catel تربيته، وبعدها بأربع سنوات التحق ابن الخامسة عشرة بالجيش ليسلك سيرة عائلته العسكرية، إلا أن وجوده في الجيش لم يدم طويلا،

لقد قدم ابن الثانية والعشرين طلب تسريحه من الجيش، وعن أسباب إقدامه على هذه الخطوة الخطيرة التي غيرت مجرى حياته كتب كلايست لأستاذه مارتيني: «لقد تحولت معجزات النظام والالتزام العسكريين التي هي مثار اندهاش العارفين إلى موضع احتقاري، لم أر في الضباط سوى مدربين ولم أر في الجنود الغفيرة غير العبيد، وكلما مارست الفرقة فنونها العسكرية لم يبد لي ذلك إلا كشاهد من شواهد الطاغوت، وفوق ذلك أنني بدأت أشعر بانطباع مقزز فرضته رتبتي على شخصي، كنت في كثير من الأحيان مضطرا لأن أعاقب بينما كنت أتمنى لو غفرت، لقد سامحت في مواضع كان علي أن أعاقب فيها، وفي كلتا الحالتين وجدتني أنا نفسي أستحق العقاب، وفي تلك اللحظات كان لابد لأمنية في نفسي أن تنبت وهي أن أترك هذه الطبقة التي طالما عذبت في ظل تبعيتي لها بسبب مبدأين متناقضين تمام التناقض، كنت في شك وفي حيرة، أيجب علي أن أتصرف كإنسان أم كضابط؟ لأني أعتبر الجمع بين التزامات كلتا الصفتين مستحيلا في ظل الوضع الراهن للجيش البروسي.

درس كلايست في السنتين الأخيرتين من الخدمة في الجيش الرياضيات والفلسفة، وقد قام على الدراسة باجتهاد حتى أنه قال ذات مرة إنه كان طالبا أكثر منه جنديا، وكانت له اهتمامات بالفلسفة والأدب المعاصرين، فقد ظهرت في هذا الوقت أعمال أدبية عظيمة، فهو الوقت الذي انعقدت فيه الصداقة بين جوتة Goethe وشيلر Schiller، وواكب ذلك أن نشر كانت Kant مقاله عن

السلام الأبدي Zum ewigen frieden، ولم يكن مستبعدا أن يكون كلايست على دراية بأعمال هايدن Haydn وموزار Mozart لأنه كان يملك حسا موسيقيا عظيما، وكان يعزف عزفا جميلا على الكلارينت وهي الآلة المفضلة لدى موزار، إلا أن تأثره الأعظم كان بآراء وأفكار ليسينج Lessing وفيلاند Wieland ومن قبلهم روسو Rousseau، هؤلاء هم العمالقة الذين طبعوا حياة كلايست الفكرية في ذلك الوقت، وجعلوه يدرك الفجوة بين مهنته كجندي ومثالياته كإنسان مما سبب له شديد الألم.

ترك كلايست الجندية وعاد إلى مسقط رأسه فرانكفورت/أودر ليدرس في جامعتها، وكأنه يريد أن يعوض نفسه عن سبع سنوات ضاعت في الجندية، فانكب على الدراسة واجتهد فيها اجتهادا شديدا، وأجهد نفسه بالدرس وحملها ما لا طاقة لها به حتى أنه ظن بعد ذلك أن في ذلك الإجهاد سبب مرضه الدائم واعتلال صحته، غير أن جهده غير المتوازن الذي ركزه على الجوانب العقلية سرعان ما سبب له مللا من دراسة العلوم، على أن كلايست شعر وكأنه كولومبوس مكتشف أمريكا الذي وقف في وجه العالم الساخر منه عندما حاول تحقيق أمله في الوصول إلى الهند من ناحية الغرب، في ظروف الوحدة هذه شعر بحاجته للحديث مع الآخرين وبحاجته لآخرين يشاركونه ما يفكر، فكان لقاؤه بفيلهيلمينه فون تسينجه Wilhelmine von Zenge بنت ضابط الجيش التي درّس لها. كان كلايست هو المعلم لبعض البنات الصغيرات، يعلمهن الاستخدام الصحيح للغة

الألمانية، وكان كلايست يلخص قواعد اللغة لفيلهيلمينه على وجه الخصوص ويرسل لها الأوراق في البريد، إلا أنها فوجئت ذات مرة باعتراف العاشق بحبه لها داخل الخطاب بدلا من أوراق القواعد، وما هي إلا أيام حتى استجابت فيلهيلمينه له وتمت الخطبة التي دامت عامين ثم فسخت.

وإذا كان كلايست قد تأثر باتجاه كانت Kant التنويري، وكان نقده لدولة بروسيا قائما على معايير ذلك الاتجاه إلا أن الوجه الاجتماعي لهذا النقد لم يكن يوما عنصرا جوهريا في فكر كلايست، ففي الوقت الذي كتب فيه شيلر Shiller عن «التربية الجمالية للإنسان» Die ästhetische Erziehung des Menschen – وهو ما يجسد أهداف التعليم المثالية لمجتمع الطبقة الوسطى – كان تفكير كلايست وخطة حياته منصبين على شخصه هو، وهو عندما يطالب في رسائله بالحقيقة وبالتعليم وبالسعادة وبالاستقلال فهو لا يتحدث باسم جماعة، ولا يشعر أنه يمثل أحدا سوى نفسه، صحيح أنه قد حل نفسه من الأرستوقراطية البروسية وكان مستعدا أن يعيش كأديب من الطبقة الوسطى، إلا أنه لم يجد مجتمعا يشاركه الاهتمام الفكري يمكنه التعايش معه، كان كلاسيت كمعظم المفكرين والأدباء الألمان مؤيدا للثورة الفرنسية في بدايتها، إلا أنه سرعان ما تراجع عن ذلك لما رآه من ضياع مبادئ جان جاك روسو في واقع الثورة، يقول كلايست: «يكثر ذكر اسم روسو على لسان الفرنسيين فيخيل إليك أن ربع حديثهم هو اسم روسو، وأي خجل سيشعر به روسو عندما يسأل

هل واقع الفرنسيين في ظل الثورة هو ما أراد». لقد أمضى كلايست إقامته الأولى في باريس مع أخته أولريكه Ulrike ، وشاهد التناقض بين الفكر والتطبيق في الواقع الفرنسي، فما كان منه إلا أن حاول تطبيق أفكار روسو على طريقته، فرجع إلى الطبيعة، إلى الريف، إلى مزرعة صغيرة بعيدة عن العالم في سويسرا، وكان يأمل من هذا الجو الريفي الهدوء والسكينة والحياة الطبيعية التي تمكنه من أن يمارس موهبته الأدبية.

ترك كلايست باريس متجها إلى سويسرا حيث التقى في مدينة برن مع شبان مهتمين بالأدب مثل هاينرش شوكة H. Zschokke الذي روى في شيخوخته عن الحياة الفكرية الثرية التي كانت تربطه بكلايست ولودفيج فيلاند L.wieland ابن الأديب الكبير، وذلك في شتاء ١٨٠١/١٨٠٢، وعلاوة على بزوغ فكرة مسرحية الجرة المكسورة فقد قرأ كلايست على أصدقائه أجزاء من مسرحيته «عائلة شروفنشتاين» Die Familie Schroffenstein التي عبرت بنزعتها التشاؤمية تعبيرا عميقا عن أزمة كلايست الفكرية التي ألمت به في بدايات عام ١٨٠١، والتي عرفت في الأدبيات الكثيرة عن كلايست فيما بعد بأزمة كانت Die Kantkrise، والتي كان لها الأثر الكبير في تغيير مساره الفكري تغييرا جذريا، حيث فقد إيمانه بالعقل البشري وأصبح يعول على العاطفة وحدها في محاولة الوصول إلى الحقيقة.

بقي كلايست في سويسرا عازما على ألا يرجع إلى وطنه ألمانيا إلا إذا حقق المجد والشهرة، وكان يعتقد أن مسرحيته «روبرت

جيسكار» Robert Guiskard سوف تحقق له ما يريد، لم يسع كلايست إلى المجد والشهرة في حد ذاتهما، وإنما كان يحاول انتزاع اعتراف عائلته، غير أنه مرض فحضرت أخته أولريكة وأرجعته إلى ألمانيا، وفي الطريق توقف كلايست في فايمر Weimar ليتسنى له أن يتعرف إلى الأديب كريستوفر مارتن فيلاند ch. M. Wieland الذي دعاه للإقامة عنده لبضعة أسابيع تعرف خلالها إلى مواهبه الأدبية خاصة في كتابة المسرحيات المأساوية.

وفي صيف عام ١٨٠٣ قام كلايست مع صديقه فون بفول Von Pfuel سيرا على الأقدام إلى سويسرا، وفي خريف العام نفسه كتب لأخته أولريكة من باريس: «لقد أحرقت مسرحية روبرت جيسكار بعد أن أكملتها وقرأتها مرة أخرى ولم تعجبني، والآن انتهى كل شيء. إن السماء تحرمني من المجد أعز ما في الأرض، إني أقذف إليها بما تبقى عندي، إنني لا أستحق صداقتك، ولكني لا أستطيع العيش من دونها، سوف ألقي بنفسي إلى الموت» وتطوع كلايست في صفوف جنود نابليون ضد انجلترا، إلا أنه اتهم بالجاسوسية واضطر للعودة إلى ألمانيا، وصل برلين وأحس بالحاجة فضغطت عليه عائلته للسعي في الحصول على وظيفة في إدارة الدولة، وتم ذلك بمساعدة صديق عينه أولا في برلين ثم نقله إلى كونجسبرج Königsberg، إلا أنه عاد وقدم استقالته فنصحه هذا الصديق أن يذهب في عطلة أولا، فذهب إلى عطلته لكنه لم يعد، وكان كلايست قبل انتقاله إلى كونجسبرج قد انتهى من ملهاته «الجرة المكسورة»، وأثناء إقامته في هذه المدينة كتب مسرحية

«أمفيتريون» Amphitryon والروايات القصيرة «الزلزال في شيلي» Das Erdbeben in chili و«المركيزة فون أ...» Die Marquise von o... وكذلك بدأ في كتابة روايته «ميشائيل كولهاس» Michael Kohlhaas والمسرحية «بنتزيليا» Penthesilea، ونظرا لهذا الكم المكثف من الإنتاج الأدبي في هذه الفترة يمكننا أن نتفهم قرار كلايست بالتخلي عن الوظيفة وباتخاذ الأدب حرفة لكسب العيش.

وأثناء إقامته في كونجسبرج قامت الحرب وهزم نابليون جيوش بروسيا عند يينا Jena وأورشتت Auerstedt، وتسبب ذلك في إشعال عاطفة الوطنية لدى كلايست الذي قبض عليه الفرنسيون عند برلين في يناير ١٨٠٧ بشبهة الجاسوسية مرة أخرى، وأرسل إلى فرنسا حيث سجن نصف العام، رجع بعدها إلى مدينة دريزدن Dresden، حيث لقي فيها بعض التقدير لمكانته الأدبية، فقد تعاون مع الناشر آدم مولر A. Müller في إصدار مجلة Phöbus التي لم تداوم على الظهور أكثر من عام، نشر فيها أجزاء مما لم ينشر من أعماله حتى ذلك الوقت مثل مسرحيته «بنتزيليا» Penthesilea و«كيتشن فون هايلبرون» Das Käthchen von Heilbronn، وفيهما يظهر فكر كلايست أكثر وضوحا، حيث يرى أن العقل الإنساني قاصر وغير قادر على فهم معنى ومغزى الحياة، ليس العقل هو طريق الوصول لما يسميه كلايست الكمال، وإنما هو العاطفة والشعور، والعاطفة عنده هي معيار الرأي البشري ومصدره الوحيد، وعليه فكان من البديهي ألا يتعاطف جوته مع أعماله الأدبية، فالقارئ لمقال كلايست «عن مسرح العرائس» über das Marionettentheater

الذي يتحدث فيه كلايست عن سر الجمال، يرى أن كلايست يعتبر الجمال كامنا في العاطفة التي لم يلوثها الوعي البشري (العقل)، فالعروسة Marionette تتحرك في انسياب وفي جمال حول مركز ثقلها وتأتي بحركات لا تضارعها حركات أحسن الراقصين جمالا، غير أن التقدير والاعتراف بمكانة كلايست الأدبية ظلا في دائرة ضيقة، وعليه فقد ساءت أحواله المالية وتقطعت صلاته الشخصية، نبذته عائلته فكان وحيدا ومريضا وفقيرا، وعلى المستوى العام فقد كلايست الوطني المتحيز والمتحمس لقضية بلاده الأمل في التحرر عندما تحالف الملك البروسي مع نابليون، الأمر الذي انتهى به في النهاية إلى حالة من اليأس العميق والشعور المطلق بالوحدة، وعندما التقى - في ظل هذه الظروف السيئة على المستويين الخاص والعام - بسيدة تعاني من الحياة معاناة شديدة تريد معها الانتحار، فما كان منه إلا أن قذف بنفسه وبها إلى الموت، ففي يوم ٢١ نوفمبر ١٨١١ انتحر كلايست ورفيقته عند بحيرة بالقرب من برلين.

الجرة المكسورة

استوحى كلايست مسرحيته «الجرة المكسورة» من لوحة محفورة على النحاس لفنان يدعى ليفو J. J. Le Veau تحمل اسم «القاضي» أو «الجرة المكسورة»، كان ذلك في سويسرا في عام ١٨٠٢، قال شوكة Zschokke مالك هذه اللوحة إنه حصل عليها في باريس عام ١٧٩٥، وأضاف: إنه كان يعرف أن صانعها قد حذا حذو الفنان ديبوكور L. Ph. Debucourt في لوحته الزيتية، وكان

الأخير قد اقتبس بدوره فكرة هذه اللوحة من صديقه الرسام جروز J. B. , Greuze ، و كانت هذه اللوحة لا تصور مشهدا متكاملا، وإنما صورت فتاة صغيرة رثة الثياب تحمل بين يديها جرة مكسورة، وقد ظهرت الفتاة في لوحة ديبوكور الزيتية، وكذلك في لوحة ليفو النحاسية في وسط المشهد المصور، وقد صادفت لوحة جروز بعضا من الشهرة بمجرد ظهورها، وكانت معروضة في متحف اللوفر أثناء زيارة كلايست الأولى لباريس، على أن لوحة ليفو النحاسية كانت باعثا لمسابقة أدبية بين كلايست وأصدقائه في مدينة برن السويسرية، ومن مسودة كلايست في ذلك الوقت ظهرت ملهاة «الجرة المكسورة» في صيف عام ١٨٠٦ بعد عمل طويل استمر أربعة أعوام، وقد مثلت مسرحية سوفوكليس «الملك أوديب» الباعث الثاني لكلايست على كتابة ملهاته، ويشير كلايست إلى ذلك بنفسه في مقدمتها: «ونظر كاتب المحكمة (ومن المحتمل أنه قد نظر قبل ذلك بقليل إلى الفتاة) إلى القاضي بعين الشك كما نظر كريون إلى أوديب في مناسبة مماثلة»، كتب كلايست في أحد خطاباته عن الجرة المكسورة: «إنها ملهاة حذت حذو تنيير Teniers في فنه، إلا أنها ليست لها أي قيمة إن لم يكتبها كاتب يفضل أن يقتدي برافائيل Raphael العظيم في معظم أعماله». يرى كلايست أن تنيير الرسام البلجيكي (١٦١٠ - ١٦٩٠) الذي يصور الريف في أعماله يمثل سر الجمال بعيدا عن ملوثات الوعي والعقل البشري، فهو بذلك يمثل العروسة Marionette التي لا يوصد أمامها باب الجنة لأنها تعول على عاطفتها، أما رافائيل الرسام الإيطالي (١٤٨٣ - ١٥٢٠) فيمثل لكلايست مرحلة تجاوز العقل

البشري الناقص، فرافائيل يجسد اكتمال الرحلة حول العالم وباكتمالها يدخل المرء الجنة من بابها الآخر بعدما أوصد بابها الأول بفعل الوعي البشري، تلك هي الأفكار التي كانت تعن لكلايست أثناء أحاديثه مع أصدقائه الأدباء الشبان في برن، تحدثوا عن الفردوس وعن فقدان آدم للبراءة نظرا لقصة خروجه من الجنة، وفي تلك الأثناء حدث أن شاهد الأصدقاء اللوحة النحاسية السابق ذكرها، فاكتملت عناصر الإلهام لعمل أدبي تسابق الأصدقاء في خلقه، كسب كلايست الرهان عن استحقاق بملهاته «الجرة المكسورة» وبشخوصها آدم وإيفا.

عرضت ملهاة «الجرة المكسورة» لأول مرة في الثاني من مارس عام ١٨٠٨ في مدينة فايمر تحت إشراف جوته، إلا أنها لم تلق استحسان جمهور الحاضرين وفشلت فشلا ذريعا وكانت فضيحة مسرحية بمعنى الكلمة على الرغم من أنها- وكما قال فريدرش هبل Friedrich Hebbel بمناسبة عرضها في فيينا عام ١٨٥٠ - من الأعمال الأدبية العظيمة التي يفشل أمامها الجمهور وليس العكس، ومع ذلك لم تحظ الملهاة بالشهرة التي هي عليها الآن إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. كان جوته متشككا في النجاح منذ البداية، وذلك لافتقار الملهاة للأحداث المتلاحقة، فالملهاة عبارة عن جلسة من جلسات المحكمة، وكان للأداء العقيم للممثل القائم بدور قاضي القرية آدم أثره المشوّه لتتابع الأحداث والتي بدت الملهاة وكأنها خالية منها، مما تسبب في ملل جمهور المشاهدين، توقع جوته هذا الملل فقرر عرض أوبرا صغيرة قبل

الملهاة، التي قسمها إلى ثلاثة فصول منفصلة ليتيح الفرصة للمتفرجين أن يأخذوا قسطا من الراحة، لقد اعتبر جوته ملهاة الجرة المكسورة ذات الفصل الواحد طويلة فقسمها وسبقها بعرض موسيقي ظنا منه أنه يخدم المشاهدين بهذه الطريقة، إلا أن المسرحية قد شوهت تماما بسبب هذا التقسيم غير المبرر، أخذ القلق يزداد بين صفوف المشاهدين، وفجأة رن صفير أحد الغاضبين، فما كان من أحد النبلاء أن صاح: «من هذا الوقح الذي تجرأ بالصفير في حضرة قرينتي؟ أيها الحراس اقبضوا عليه!» حاول صاحب الصفير الهرب، علا ضجيج الحاضرين حتى لم يعد صوت الممثلين مسموعا كما لو كانوا يؤدون التمثيل الصامت، وانسدل الستار فكان ذلك بمثابة الخلاص لهذا الجمهور الغاضب، وقد كتبت صحيفة Zeitung für elegante Welt في الرابع عشر من مارس ١٨٠٨: «فايمر: عرضت قبل أيام في يوم (ثلاثاء الرفاع) مسرحية جديدة هابطة من تأليف السيد فون كلايست وهي الجرة المكسورة، إن قصة المسرحية مضحكة حقا، ولكنها كانت لتثير الإعجاب لو أنها تقلصت إلى فصل واحد وصيغت في شكل أحداث حية متلاحقة، بدلا من ذلك قسمت إلى ثلاثة فصول وكان الإطناب والإسهاب في الفصل الأخير على القدر الذي أفقد المشاهدين صبرهم مما تسبب في شيء غير القليل من الضجيج والصخب، حتى أنه لم يعد بالإمكان سماع أو فهم ولو مقطع واحد من الحديث الطويل، إن أدباءنا الجدد أصحاب الموهبة عندهم من الفخر بأنفسهم لدرجة أنهم يعتقدون أن بمقدورهم تقديم أي شيء للجمهور، إنهم يرون أن جمهور المشاهدين عليه أن يشعر

بالامتنان وبالتكريم إن تعطف أحدهم وقدم له ما يسليه». رجعت الصحيفة نفسها في الرابع من أبريل ١٨٠٨ وكتبت عن المسرحية وبأسلوب سخريته لاذعة: «كانت حالة الجرة سيئة للغاية، لقد عبر الجمهور عن غضبه بالضجيج كما لم يفعل من قبل وضرب لكل الجرات من تلك النوعية مثلا لافتا لا ينسى. لقد تم إيقاف العرض بعد ليلته الأولى حتى لا تتكسر الجرة للمرة الثالثة».

تقع أحداث الملهاة في إحدى قرى هولندا في نهاية القرن السابع عشر: آدم Adam، قاضي القرية المجروح في قدمه ورأسه في موقف حرج ذات صباح، حيث إن مستشار القضاء فالتر Walter القادم من أوترشت Utrecht يريد أن يراجع أعمال المحكمة وخزينتها، وقبل وصول المستشار يستحلف آدم كاتبه لشت Licht على أن يغض الطرف عن أحداث وقعت في الليلة السابقة، أحداث لا يستطيع الكاتب لشت أن يتبينها تماما، ولأن اليوم هو يوم المحكمة والجلسات فقد حضرت السيدة مارتا رول Marthe Rull ، ودخلت قاعة المحكمة لتقاضي روبرشت تومبل Ruprecht Tümpel خطيب ابنتها إيفا Eve لأنه - حسب روايتها - حطم جرتها العزيزة عليها، وكما يتضح لقارئ الملهاة من خلال الأحداث لم يكن روبرشت هو الذي كسر الجرة، وإنما هو قاضى القرية آدم عينه الذي زار إيفا في الليلة السابقة خلسة محاولا أن يبتز الحب منها، لقد كذب عليها مدعيا أن روبرشت خطيبها لن يؤدي الخدمة العسكرية داخل البلاد حيث الأمن والأمان، وإنما يتهدده الترحيل إلى باتافيا حيث ينتظره الموت، وقال القاضي آدم للفتاة

مبتزا إياها إن باستطاعته تغيير هذا المصير إن هي توددت له وقدمت له حبها وأثناء محاولة الابتزاز هذه يصل خطيب الفتاة فجأة، إلا أن آدم يستطيع أن يهرب، غير أن هروبه لم يكلل بالنجاح الكامل، فقد أصيب آدم بجراح في قدمه ورأسه، علاوة على فقدانه باروكة القضاء (الشعر المستعار)، وفي هرولة الهروب حطم القاضي آدم الجرة، وأثناء نظر القضية في يوم الجلسات تجمعت الشواهد ضد آدم على الرغم من محاولاته المستميتة لإبعاد التهمة والشك عن نفسه، إلا أن الجميع قد عرفوا أنه هو الذي حطم الجرة، مما اضطره للهروب من قاعة المحكمة.

إن ملهاة «الجرة المكسورة» مثال رائع لاتباع قوانين بناء الملهاة، فالعناصر الشكلية للبنية التحليلية، وتمركز الأحداث حول شخصية محورية، وكذلك الحفاظ على وحدة المكان والزمان والأحداث، كل ذلك يذكر القارئ بكتاب الدراما الكلاسيكيين أمثال أرسطوفانيس وراسين، ومن ناحية أخرى تظهر في هذه العناصر العلاقة الوثيقة لملهاة «الجرة المكسورة» بدراما الملك أوديب التي تعتبر المثال الأول للمأساة الدرامية.

تتتابع وتتلاحق في الملهاة الإشارات اللغوية والتلاعب بالألفاظ ذات المعاني المتعددة، فعلى سبيل المثال يمكن فهم «سقوط آدم» على أنه السقوط الفعلي للقاضي آدم أثناء هروبه من بيت إيفا وما نتج عنه من جراح، وهو بالفعل ما حاول القاضي إقناع الكاتب به في بداية الملهاة، إلا أن كلايست أراد أيضا أن يلوح بقصة خروج آدم من الجنة، وما يتضمنه ذلك من توجيه أصابع الاتهام

إلى القاضي آدم، ويعد ما سبق شاهدا على أن اختيار أسماء شخوص الملهاة ليس محض صدفة، وإنما تنطق غالبيتها بمحتوى معين، آدم يبغي بالسلطة والخديعة معا أن يحصل على إيفا ولا يتورع من الظلم والكذب، وفالتر - المعنى اللغوي لهذا الاسم هو: حاكم أو صاحب سلطة - يعزل القاضي آدم الذي يشيع الظلم والظلام ويعين لشت - المعنى اللغوي لهذا الاسم هو: النور - بدلا منه، كما أن موضوع القضية «الجرة» يكتسب في نهاية الملهاة معنى رمزيا علاوة على المعنى الحرفي، وبعبارة أخرى: أصبح للجرة مدلول مجازي علاوة على مدلولها القانوني في القضية، أصبحت الجرة ترمز لعذرية الفتاة إيفا، وهذا ما قصدته السيدة مارتا رلّ في نهاية الملهاة حين طالبت أن يعاد الحق للجرة أيضا.

يقدم كلايست القاضي آدم في إطار يظهر الروح النقدية للملهاة، التي تفضح بشكل ساخر ومكثف الطبقة العليا المتحكمة في أمور الناس، فالمحكمة ليست للقضايا والجلسات فقط، وإنما هي مسكن القاضي آدم أيضا، هنا يختلط الخاص بالعام على نمط مخيف، محفوظات المحكمة وأوراقها مهملة دون ترتيب في حجرة الأرشيف، وتختلط بها أطعمة القاضي من سجق وجبن ونحوهما، وهي أوضاع لا يصح لمن يحكم بين الناس ويحمي العدل بينهم أن يسكت عليها، إلا أن النقد والانتقاد يصلان إلى ذروتهما فيما يختص بالمستشار القضائي فالتر المنوط بمراجعة أحوال المحكمة، والمفترض فيه أن يضع حدا لمهزلة القاضي آدم بعد أن اتضحت له بكامل معالمها، غير أن فالتر لا يأتي بشيء من ذلك،

بل على النقيض، فهو يحاول جاهدا أن يجد للقاضي مخرجا بعد الآخر من مأزقه حتى يمنع إظهار الحقيقة كاملة، هذا النقد اللاذع للممارسة القضائية القائمة من جانب كلايست لا يظهر في باقي أعماله الأدبية باستثناء روايته «ميشائيل كولهاس» التي وصفها النبلاء في مدينة فايمر عند العرض الأول للملهاة بالانحطاط الأخلاقي.

المراجع

Brandt, Helmut: (Kleists Werke), Bd. 1, 1968 Berlin - Weimar.

Ibel, Rudolf: (Heinrich von Kleist, Der Zerbrochene Krug)
(= Grundlagen und Gedanken Zum Verständnis des Dramas, Bd. 6399)
1977 Frankfurt/ M., Berlin, München.

Kindler lexikon der Weltiteratur.

Sembdner, Helmut (Hrsg.): (Heinrich von kleist, Sämtliche Werke und Briefe) Bd. 7/8, 1969 München.

مقدمة المؤلف

ترتكز هذه الملهاة على حقيقة تاريخية، ولكني لم أستطع أن أعثر على معلومات دقيقة تتعلق بهذه الحقيقة، لقد دفعتني لوحة نحاسية رأيتها قبل بضع سنين في سويسرا إلى كتابة هذه الملهاة، يرى في صدر هذه اللوحة قاض يجلس في وقار على منصة القضاء، وتقف أمامه سيدة عجوز حاملة جرة مكسورة، تبدو العجوز وكأنها تبين الظلم والجور اللذين حاقا بالجرة، والمتهم فلاح شاب ينهره القاضي، ويدافع عن نفسه ولكن دفاعه ضعيف، وتظهر في اللوحة أيضا فتاة ربما تكون قد أدلت بشهادتها في هذه القضية (فلا يعلم أحد في أي سياق وقع الظلم والجور) وتقف الفتاة بين أمها وعريسها وهي تعبث بمئزرها، ولو كان أحدهم قد شهد زورا في هذه القضية فإنه لن يبدو أكثر ندما من الآخرين، وكاتب المحكمة ينظر جانبا إلى القاضي (ربما يكون قد ألقى نظرة سريعة على الفتاة). إنه ينظر إلى القاضي بعين الشك، تماما كما نظر كريون إلى أوديب في مناسبة مماثلة، وأسفل اللوحة كان مكتوبا: الجرة المكسورة.

وإن صدق ظني فإن فنانا هولنديا هو صاحب أصل هذه اللوحة.

شخصيات المسرحية

فالتر: مستشار القضاء

آدم: قاضي القرية

لشت: كاتب المحكمة

السيدة مارتا رلّ

إيفا: ابنتها

فايت تومبل: فلاح

روبرشت: ابنه

السيدة بريجتَّه

خادم وحاجب وخادمات وآخرون.

تدور أحداث المسرحية في إحدى القرى الهولندية بالقرب من أوترشت[١]

المنظر: قاعة المحكمة

المشهد الأول

(آدم جالس، يربط إحدى قدميه، لشت يدخل إلى القاعة)

لشت: يا للعنة! قل لي ما الذي حدث لك يا صديقي آدم؟... كيف تبدو هكذا؟

آدم: نعم، انظر! على هذه الأرضية الناعمة لا يحتاج المرء إلى شيء لكي يتعثر فيه، فالأقدام وحدها تكفي، لقد تعثرت ووقعت هنا لأن كلا منا نحن البشر يحمل حجر العثرة داخله.

لشت: لا، قل لي يا صديقي: هل يحمل حجر العثرة كل...؟

آدم: نعم في نفسه.

لشت: اللعنة على ذلك؟

آدم: ماذا تريد؟

لشت: إنك تنتسب إلى جدٍّ(٢) أرعن سقط هكذا في بداية قصة الإنسان واشتهر بسبب سقوطه، إنك حقا لم...؟

آدم: ماذا؟

لشت: مثلا...؟

آدم: إن كنت أنا قد...؟ إني أعتقد...! أقول لك إني سقطت هنا.

لشت : هل سقطت فعلا على الأرض؟ أم إنك تعبر بصورة بلاغية عن سقوط آخر؟

آدم : أجل، لقد سقطت بالفعل، ولعل صورتي كانت سيئة عندما سقطت.

لشت : متى وقعت هذه الحادثة؟

آدم : الآن، في لحظة خروجي من المخدع، لقد كانت أغنية الصباح على لساني فتعثرت منزلقا في الصباح، وما كدت أبدأ يومي حتى ملخ لي الرب قدمي.

لشت : علاوة على ذلك فإنها القدم اليسرى.

آدم : اليسرى؟

لشت : هذه القدم، المربوطة؟

آدم : أجل!

يا إلهي! إنها القدم التي تخطو بطبيعتها ومن نفسها بصعوبة في طريق المعصية.

آدم : القدم! ماذا؟ بصعوبة! لماذا؟

لشت : أهي القدم المشوهة؟

آدم : المشوهة! أي قدم مثل الأخرى عبارة عن كتلة ثقيلة.

لشت : لا أرجوك، إنك بذلك تظلم قدمك اليمنى، إن اليمنى لا تستطيع أن تتفاخر بهذا العنف الشديد فهي سباقة في الجرأة على المزالق.

آدم : ما هذا الهراء! أينما تجرؤ الأولى تتبعها الثانية.

لشت : وما الذي جعل وجهك معوجا هكذا؟

آدم : وجهي؟

لشت : ماذا؟ ألا تعرف عن ذلك شيئا؟

آدم : أتحسبني كاذبا؟ كيف يبدو وجهي إذن؟

لشت : أتتساءل كيف يبدو؟

آدم : أجل يا صديقي العزيز.

لشت : في غاية البشاعة!

آدم : وضح كلامك أكثر!

لشت : وجهك مرهق للغاية، أرى به بشاعة، خدك قُطِعَت منه قطعة كبيرة، ولكن ما حجمها؟ دون ميزان لا أستطيع تقدير وزنها.

آدم : اللعنة!

لشت : (يحضر مرآة) هنا، انظر واقتنع بنفسك! إن الخروف الذي تطارده الكلاب ويحشر نفسه في الأشواك لا يفقد صوفا أكثر مما فقدت أنت لحما! والله وحده يعلم أين حدث لك ذلك.

آدم : (مهمهما) أجل! حقا، وجهي يبدو كريها، لقد أصبت في أنفي أيضا

لشت : وعينك أيضا.

آدم : عيني لم تصب يا صديقي.

لشت : كلا كلا، يوجد في منتصف وجهك جرح كبير، فليعاقبني الله إن كنت مبالغا، كما لو كان عبدٌ ضخم قد ضربك في ثورة غضبه.

آدم: (وهو ينظر في المرآة) هذه هي عظام العين - أجل -
انظر، لم أشعر لحظة واحدة بكل هذا.

لشت: أجل أجل، هكذا تجري الأمور في لهيب المعارك.

آدم: معارك! ماذا؟ قل إن شئت إني تعاركت مع التيس الملعون المرسوم على المدفأة، إني أعرف الآن تماما ماذا حدث لي، لقد فقدت توازني وصرت كالغريق أمد يدي في الهواء من حولي، فأمسكت بالسراويل التي علقتها مساء أمس وهي مبتلة على هيكل المدفأة حتى تجف، أمسكت بالسراويل، هل تفهمني؟ لقد فكرت أنا الغبي أن أتعلق بها حتى لا أقع، فإذا بها تتمزق، فهويت والسراويل واصطدمت جبهتي بالمدفأة حيث كان التيس يمد أنفه عند زاويتها.

لشت: (ضاحكا) حسنا حسنا.

آدم: اللعنة!

لشت: سقوطك الأول يا آدم كان عندما أردت أن تخرج من المخدع!

آدم: يا إلهي. أردت أن أسألك هل هناك من جديد؟

لشت: نعم، هناك جديد، اللعنة! كنت على وشك أن أنسى.

آدم: ماذا؟

لشت : عليك أن تستعد لزيارة غير متوقعة من أوترشت!

آدم : هكذا؟

لشت : سيادة مستشار القضاء سوف يأتي.

آدم : من سيأتي؟

لشت : سيادة مستشار القضاء ڤلتر سيأتي من أوترشت، فهو في رحلة تفتيش على المحاكم المختلفة، واليوم سيصل عندنا.

آدم : اليوم، هل أنت بعقلك؟

لشت : أقسم لك! لقد كان بالأمس في هولا[٣] القرية المجاورة، وغيّر كل العاملين بالمحكمة هناك، لقد رأى أحد الفلاحين القادمين إلى هويزوم[٤] الأحصنة مشدودة أمام عربة مستشار القضاء.

آدم : اليوم! هو! مستشار القضاء! سيأتي! قادما من أورتشت!

من أجل التفتيش! هذا الرجل الفاضل الأمين الذي يرعى شاته الصغيرة بنفسه ويكره الوجوه البشعة مثل وجهي الآن، هذا الرجل سيأتي إلى هويزوم ويعذبنا!

لشت : بما إنه وصل إلى هولا فإنه سيأتي أيضا إلى هويزوم، فاستعد!

آدم : ما هذا الهراء! هيا انصرف!

لشت : ما على الرسول إلا البلاغ.

آدم: أقول لك اذهب عني بخرافاتك!

لشت: اللعنة! لقد رآه الفلاح بنفسه.

آدم: لا أحد يعلم من الذي رآه.. هذا الفلاح الوغد ذو العينين الدامعتين، إن هؤلاء الفلاحين لا يفرقون بين الوجه والقفا عندما يكون أصلع، فلو وضعت قبعة على ماسورة وألبستها معطفا، ووضعت تحتها زوجا من الأحذية الطويلة، فإن وغدا مثل هذا الفلاح سوف يرى أي الأشخاص إن شئت ذلك.

لشت: والآن ماذا بعد؟ اللعنة! أمازلت تتشكك حتى تراه وهو داخل من الباب.

آدم: هو! يدخل! دون أن ينبهنا حتى بكلمة.

لشت: يا للغباء! إنك تتحدث كما لو كان الذي سيأتي هو المفتش السابق فاخهولدر، إنه الآن المستشار فالتر الذي سيأتي للتفتيش.

آدم: حتى ولو كان هو المستشار فالتر! اذهب ودعني في هدوء ! لقد أقسم هذا الرجل قسم المهنة ويمارسها تبعا للوائح والعادات القائمة.

لشت: أؤكد لك أن أحدا لم يتوقع ظهور مستشار القضاء في هولا، لقد فحص الخزائن والسجلات وأوقف القاضي والكاتب عن العمل .. لماذا؟ لا أعرف.

آدم: اللعنة! هل روى الفلاح ذلك؟

لشت: ذلك وأكثر.

آدم: هكذا؟

لشت: إن وددت أن تعرف حكيت لك، لقد بحث الناس اليوم في الصباح الباكر عن هذا القاضي الذي احتجز في منزله وعثروا عليه مشنوقا أعلى السقف الخشبي لشونة الغلال خلف منزله.

آدم: ماذا تقول؟

لشت: وفي تلك الأثناء حضر بعض الناس لتقديم العون وفكوه ثم دلكوه وغسلوه، واستطاع هؤلاء بالكاد أن ينقذوا حياته.

آدم: هكذا؟ هل سيحضرونه معهم؟

لشت: بل هو الآن محبوس في منزله، إنه هادئ تمام الهدوء فهو يبدو كما لو كان جثة هامدة، لقد تقلد منصب القضاء شخص آخر.

آدم: يا للعنة! انظر! هذا القاضي كان كلبا خليعا، إلا أنه إنسان أمين وأقسم على ذلك، إنه شخص تحب أن تجالسه وتقضي الوقت معه، ومع ذلك فهو - والحق يقال - غارق في الملذات حتى أذنيه، وإذا كان مستشار القضاء قد حضر فعلا إلى هولا فإن حال هذا الإنسان الخليع العجيب ستكون سيئة، أعتقد ذلك.

لشت: لقد تسببت هذه الحادثة في تأخر مستشار القضاء عن الحضور إلى هويزوم، كما يقول

ذلك الفلاح الذي رآه، إلا أن المستشار سيصل اليوم عند الظهر دون أدنى شك.

آدم: عند الظهر؟ حسنا أيها الصديق، لابد الآن من الصداقة، إنك تعرف جيدا كيف يساعد بعضنا البعض، فاليد الواحدة لا تصفق، أعرف أيضا أنك تود أن تصبح قاضي القرية، وأقسم بالله أنك تستحق هذا، تماما كأحدهم، إلا أن اليوم ليس مناسبا لذلك، عليك اليوم أن تدع هذه المشكلة العويصة تمر بسلام.

لشت: قاضي القرية! أنا! ماذا تظن بي؟

آدم: أنت صديق ذو حديث مرتب جميل، ودرست كتاب ماركوس توليوس شيشرون(٥)، عليك أن تكتب طموحك اليوم! هل تسمعني؟ هناك احتمال كبير أن تسنح لك فرص أخرى، تستطيع أن تظهر نفسك بحيلك وفنونك.

لشت: نحن أصدقاء يا رجل! دعك مني!

آدم: كما تعرف يا صديقي فقد صمت ديموستنيس العظيم(٦) ولم يتحدث، وعليك أن تتبع أسلوبه، ومع أني لست ملك مقدونيا(٧) إلا أني أستطيع أن أردّ لك الجميل بطريقتي الخاصة.

لشت: أقول لك! اذهب عني بشكك المقيت هذا. هل حدث مني مرة أن...؟

آدم: انظر! إني... إني، فيما يختص بدوري فإني

سوف أتبع أسلوب هذا الإغريقي العظيم، يمكننا أن نؤلف حديثا عن الشؤون المالية والفوائد، من ذا الذي يريد أن يقلب علينا المواجع.

لشت: ماذا تريد بالضبط؟

آدم: لا يستطيع أحد أن يتهمني اتهاما كهذا، اللعنة! اللعنة على هذه الأقصوصة الطريفة التي ولدت بالليل وتخشى شعاع الضوء الجسور في النهار.

لشت: أعرف هذه الأقصوصة.

آدم: رباه! إني لا أجد سببا يفرض على القاضي أن يكون وقورا كالدب الأبيض، خاصة حينما لا يكون جالسا على مقعد القضاء.

لشت: هذا هو رأيي أنا أيضا.

آدم: إذن تعال يا صديقي! اتبعني إلى حجرة السجلات، سأرتب أكوام الأوراق والملفات لأنها مكدسة هناك والأكوام عالية مثل برج بابل.

المشهد الثاني

(يظهر خادم على المسرح، الأشخاص السابقون، ثم تظهر اثنتان من الخادمات)

خادم: رعاك الله يا حضرة القاضي! إن مستشار القضاء السيد فالتر يقرئك السلام والتحية ويخبرك بأنه سيكون هنا حالا.

آدم: يا إلهي! هل انتهى فعلا من هولا؟

الخادم: نعم، إنه الآن في هويزوم بالفعل.

آدم: يا ليزا! يا جريتا!

لشت: اهدأ، اهدأ الآن!

آدم: صديقي العزيز!

لشت: أرسل للمستشار شكرك!

الخادم: وغدا ستسافر إلى هوزاهة.

آدم: ماذا أفعل الآن؟ ماذا أرسل؟

(يقبل على ملابسه .. يريد أن يمسكها)

الخادمة الأولى: (تظهر على المسرح) ها أنا ذا يا سيدي القاضي!

لشت: هل تريد أن ترتدي السراويل؟ هل أنت مجنون؟

الخادمة الثانية: (تظهر على المسرح) ها أنا ذا يا حضرة القاضي!

لشت: خذ هذه السترة!

آدم: (ملتفتا حوله) من؟ السيد مستشار القضاء؟

لشت: لا إنها الخادمة.

آدم: أريد رابطة العنق! المعطف! الياقة!

لشت: الصديري أولا!

آدم: ماذا؟ إلي بالمعطف! بسرعة!

لشت: (متحدثا إلى الخادم) سيكون مستشار القضاء على الرحب والسعة، نحن الآن مستعدون لاستقبال سيادته، قل له ذلك!

آدم: اللعنة! قل له إن القاضي آدم يبلغك اعتذاره!

لشت: اعتذارك؟

آدم: نعم اعتذاري، هل هو في الطريق إلينا بالفعل؟

الخادم: هو مازال في المقهى، لقد طلب الحداد لأن عربته انكسرت.

آدم: حسن جدا ! هذا الحداد كسول غاية الكسل، سأرسل اعتذاري، كادت ساقي أن تتحطم وكذلك حلقي، انظروا بأنفسكم! إن منظري مرعب، وكل أمر مفزع يصيبني بالإسهال، أبلغوه أني مريض!

لشت: هل أنت بعقلك! (يوجه حديثه للخادم) قل لسيادة المستشار إننا نرحب به (يخاطب آدم ثانية) هل تريد أن...؟

آدم: اللعنة!

لشت: ماذا بك؟

آدم: ملعون أنا، أمعائي تتحرك وتصدر أصواتا كما لو كنت قد تناولت دواء مسهلا.

لشت: لم يعد ينقصك إلا أن تنير له الطريق.

آدم: أنت يا مارجريتا! أيها الجوال المليء بالعظام! يا ليزا!

كلتا الخادمتين: ها نحن يا سيدي، ماذا تريد؟

آدم: تحركي بسرعة! عليك أن تبعدي الجبن البقري ولحم الخنزير والزبد والسجق وزجاجات النبيذ من حجرة السجلات! وبسرعة! لا لست أنت، الأخرى. أجل أنت أيتها القردة! أسرعي يا مارجريتا! أما ليزا خادمة الحظيرة فتذهب إلى حجرة السجلات. (الخادمة الأولى تذهب)

الخادمة الثانية: هيا تكلم حتى أفهمك!

آدم: اخرسي! اذهبي وأحضري لي الباروكة! تحركي! إنها في خزانة الكتب، بسرعة! تحركي! (الخادمة الثانية تذهب)

لشت: (للخادم) أتمنى ألا يكون قد وقع للسيد مستشار القضاء مكروه أثناء رحلته.

الخادم: لقد اندفعت عربتنا في حفرة وانقلبت.

آدم: آه يا قدمي المعذبة! إني لا أجد الحذاء.

لشت: يا إلهي! تقول إن العربة انقلبت؟ ولكن أليس هناك خسائر أخرى؟

الخادم: خسائر طفيفة، لقد التوت يد المستشار التواء

بسيطا أما عريش العربة فقد تحطم.

آدم : هل انكسرت عنقه؟

لشت : التوت يده؟ يا إلهي! وجاء الحداد فعلا؟

الخادم : نعم، جاء من أجل عريش العربة.

لشت : ماذا؟

آدم : إنك تقصد الطبيب.

لشت : ماذا؟

الخادم : من أجل عريش العربة.

آدم : ما هذا الهراء! من أجل يد المستشار.

الخادم : أستأذنكم بالذهاب أيها السادة. (يذهب وهو يتمتم)

أعتقد أنهما مخبولان.

لشت : لقد قصدت الحداد.

آدم : لقد انكشفت يا صديقي.

لشت : لماذا؟

آدم : إنك حيران ومرتبك.

لشت : ماذا تقول؟

(تظهر الخادمة الأولى على المسرح)

آدم : يا ليزا! ما هذا الذي معك؟

الخادمة الأولى: إنه سجق من براونشفايج يا حضرة القاضي.

آدم : بل إنها ملفات.

لشت : وتقول إنني حيران ومرتبك!

آدم : هذه الملفات ترجع ثانية إلى حجرة السجلات.

الخادمة الأولى: هذا السجق؟

آدم: سجق! ماذا!؟ هذا الشيء المغلف!

لشت: لا عليك ! كان ذلك سوء تفاهم.

الخادمة الثانية: (تدخل إلى المسرح) لا أجد الباروكة في خزانة الكتب يا سيدي القاضي.

آدم: ولم لا؟

الخادمة الثانية: (مهمهمة) لأنك...

آدم: ماذا؟

الخادمة الثانية: مساء الأمس وفي تمام الحادية عشرة...

آدم: ماذا؟ قولي فأنا أسمعك!

الخادمة الثانية: يا إلهي! لقد جئت من الخارج ودخلت المنزل من دون باروكة، ألا تتذكر؟

آدم: أنا؟ من دون باروكة؟

الخادمة الثانية: لقد حدث ذلك بالفعل، وها هي ليزا تستطيع أن تشهد على ذلك، أما الباروكة الأخرى فهي عند صانع الشعر المستعار.

آدم: تقولين إني...؟

الخادمة الأولى: نعم يا حضرة القاضي آدم وأقسم على ذلك! لقد عدت إلى المنزل برأسك الصلعاء بغير الباروكة، وقلت لنا إنك سقطت وانجرحت، ألا تتذكر؟ وكان عليّ أن أنظف رأسك من الدماء وأغسلها.

آدم: أيتها الوقحة!

الخادمة الأولى : إنني لا أدعي الصدق فأنا صادقة فعلا.

آدم : اخرسي! هذا كذب.

لشت : هل كان بك هذا الجرح منذ الأمس؟

آدم : لا، اليوم، قصة الجرح اليوم، أما الباروكة فأمس، لقد ارتديتها وعليها المسحوق الأبيض، وعندما دخلت إلى المنزل خلعتها مع القبعة دون أن أدري وأقسم على ذلك بشرفي! إني لا أعرف ماذا غسلت تلك الخادمة البلهاء (ثم يوجه حديثه للخادمة الأولى) اغربي عن وجهي عليك اللعنة! اذهبي إلى حجرة السجلات، اذهبي! (الخادمة الأولى تذهب) وأنت يا مارجريتا، اذهبي إلى صديقي خادم الكنيسة وأخبريه أني أريده أن يعيرني باروكته! قولي له إن القطة قد وضعت صغارها في باروكتي! هذه القطة القذرة تنام تحت مخدعي، إني أعرف الآن كل شيء.

لشت : القطة! ماذا؟ هل أنت...؟

آدم : أقسم لك! لقد ولدت خمس قطط صغارا، صفراء وسوداء وإحداهما بيضاء، سأرمي القطط السوداء في النهر، ما عساي أن أفعل؟ هل تريد واحدة منها؟

لشت : وضعت القطة صغارها في الباروكة؟

آدم : ملعون أنا! لقد علقت الباروكة على أحد

المقاعد، وحين أردت أن أدخل مخدعي إذا بي ألمس المقعد في الظلام رغما عني فسقطت الباروكة.

لشت: ثم خطفتها القطة بفمها.

آدم: يا إلهي!

لشت: ثم حملتها إلى تحت المخدع وولدت بها.

آدم: بفمها؟ لا.

لشت: لا؟ كيف إذن؟

آدم: هل تقصد القطة؟ ما هذا الهراء!؟

لشت: لا؟ أو ربما أنت؟

آدم: بفمها! أعتقد ... أعتقد أنني أسقطتها بقدمي دون أن أدري، ولما رأيت...

لشت: حسنا حسنا!

آدم: هذه القطط السافلة! إنها تتزاوج وتلد في أي مكان.

الخادمة الثانية: (تضحك ضحكة هامسة) هل أذهب الآن؟

آدم: نعم، اذهبي وبلغي تحياتي للخالة شقار تسجقاند خادمة الكنيسة، وقولي لها إني سأعيد لها الباروكة اليوم سليمة جدا. أما خادم الكنيسة فلا تقولي له شيئا! هل فهمتني؟

الخادمة الثانية: سأبلغها تحياتك يا سيدي. (تذهب)

المشهد الثالث

(آدم ولشت)

آدم : إني أتوقع اليوم أمورا سيئة يا صديقي لشت.

لشت : لماذا؟

آدم : كل شيء اختلط علي، لا أستطيع تمييز الأشياء، أليس اليوم هو يوم انعقاد المحكمة؟

لشت : بلاشك، إن أصحاب الشكاوى يقفون أمام الباب بالفعل.

آدم : حلمت أن أحد أصحاب الشكاوى قد أطبق علي وجرني تجاه مقعد القضاء وكنت... وكنت أنا في الوقت نفسه جالسا على هذا المقعد أيضا، رأيته يقطعني، ويعاملني كالكلب، ويوقعني على الأرض، ويحكم عليّ بأن توضع رقبتي في الحديد.

لشت : كيف ذلك؟ أنت تحكم بنفسك على نفسك؟

آدم : أقسم لك على ذلك! بعد ذلك أصبحنا نحن الاثنان، أنا وهو، شخصا واحدا، وهربنا واضطررنا أن نقضي الليالي في غابات الصنوبر.

لشت : وهذا الحلم، هل تقصد...؟

آدم : اللعنة! حتى لو لم يكن الحلم صحيحا فهناك ألاعيب شيطانية أيا كان نوعها، ولتكن ما تكون فهي مسلطة عليّ.

لشت : يا له من ذعر طفولي! عندما يكون مستشار القضاء حاضرا عليك فقط أن تحكم وتفصل بين المتخاصمين حسبما ينص القانون حتى لا يتحقق حلم القاضي المنكوب بشكل لا تبتغيه.

المشهد الرابع

(يدخل مستشار القضاء ڤالتر إلى المسرح، الأشخاص السابقون)

ڤالتر: حياك الله أيها القاضي آدم!

آدم: يا مرحبا! مرحبا بك يا سيدي الفاضل في قريتنا هويزوم! من يستطيع، يا إلهي! من يستطيع أن يتوقع زيارة سعيدة كهذه؟ ليس حلما ذلك الذي بلغ اليوم وفي تمام الثامنة صباحا هذا الحد من الغبطة والسرور.

ڤالتر: أعرف أني جئت على عجلة بعض الشيء، ولابد أن أكون راضيا خلال رحلتي التفتيشية هذه عندما يودعني مضيفي بتحية وداع صادقة، وفيما يختص بتحياتي فإني أعنيها من كل قلبي، وذلك عندما آتي إليكم، إن دار القضاء العليا في أوترشت تريد أن تحسن رعاية القضاء في طول البلاد وعرضها، وذلك لأنه ظهرت بعض النقائص في عديد من الأقاليم، وصاحب كل ممارسة خاطئة لابد وأن يتوقع توجيها وإرشادا صارمين، ولكن مهمتي في هذه الرحلة لا تصل إلى حد الصرامة، فإني هنا كي أرى وأفحص لا لكي أعاقب، وحتى إذا لم تكن كل الأمور

على ما يرام وكما ينبغي أن تكون عليه، فسوف أكون مغتبطا عندما تكون على مستوى مقبول.

آدم: حقيقة يا سيدي المستشار، لابد للمرء أن يمدح طريقة التفكير هذه، ستجد سيادتك هنا أو هناك ما تنقده - وهذا ما لا أشك فيه - بعض العادات القديمة في القضاء، حتى ولو كانت قائمة في هولندا منذ زمن القيصر كارل الخامس،[٨] فهناك الجديد من الأفكار دائما، إن العالم يتعلم دائما، هكذا تقول أمثالنا، والجميع يقرأ كتاب بوفندورف،[٩] إني أعرف ذلك، وما هويزوم إلا جزء صغير من العالم لا يأتيه إلا النزر اليسير من الفطنة والذكاء العامين، فأسْدِ إلينا صنيعا من فضلك وكرمك وأنر المحكمة بعلمك! وكن مقتنعا تماما يا سيدي المبجل أنك سترضى كل الرضا عن القضاء في هويزوم قبل أن تودعنا وتمضي في طريقك، وها هي المحكمة تمارس اليوم عملها، تماما، كما تود سيادتك، رباه! إنها معجزة لأن المحكمة لا تعلم ما تريد سيادتك على وجه الدقة.

فالتر: لا يهم إن كان هناك القليل من اللوائح القانونية، وإن كانت كثيرة فلابد أن تفحص وتغربل.

آدم: أجل وبغربال كبير، ما أكثر تلك اللوائح البالية! ما أكثرها!

فالتر: هل هذا هو كاتب المحكمة؟

لشت: الكاتب لشت في خدمة سعادة مستشار القضاء، في العيد القادم أكمل تسع سنوات في خدمة القضاء.

آدم: (يحضر مقعدا) تفضل بالجلوس!

فالتر: لا داعي!

آدم: لقد وصلتم لتوكم من هولا.

فالتر: هما ميلان فقط. ولكن من أين علمت ذلك؟

آدم: من أين؟ خادمكم...

لشت: لقد قال ذلك فلاح وصل توا من هولا.

فالتر: فلاح؟

آدم: قال لنا إنكم ستزوروننا.

فالتر: أجل، لقد وقعت لنا حادثة بغيضة عكرت مزاجي الذي كان من المفروض أن يرافقني طوال هذه الرحلة الرسمية، من المرجح أنكم هنا على علم بهذه الحادثة؟

آدم: هل صحيح ما يقولون يا سيدي؟ القاضي يفاول، هل دفع اليأس هذا الغبي لأن يشنق نفسه لأنه احتجز بمنزله؟

فالتر: لقد سبب لنا مضايقة وكدرا، وما ظهر عنده على أنه عدم نظام واضطراب يأخذ الآن شكل الاختلاس، وكما تعلم فإن القانون لا يقبل ذلك. ما عدد الخزائن عندكم؟

آدم: خمس في الخدمة.

فالتر: ماذا؟ خمس! لقد كنت واهما. هل هي مليئة؟ لقد توهمت أن عندكم أربعا فقط.

آدم: عفوا! إنها خمس خزائن بما فيها الخزانة العامة لفيضان نهر الراين[10].

فالتر: بما فيها الخزانة العامة للفيضان! ولكن نهر الراين لم يفض هذه الأيام، ولهذا فإن المبالغ التي جمعتموها لا تدخل هذه الخزانة. قل لي، أليس اليوم هو يوم المحكمة؟

آدم: ما إذا كنا...؟

فالتر: ماذا؟

لشت: نعم، إنه اليوم الأول في الأسبوع.

فالتر: وذلك الحشد من الناس الذين رأيتهم بالخارج في الدهليز، هل هؤلاء هم الـ....؟

آدم: ربما كانوا...

لشت: إنهم أصحاب الشكاوى قد تجمعوا.

فالتر: حسنا يا سادة! إني أفضل هذه الظروف، دعوا الناس تدخل إن شئتم، فسوف أحضر وأشاهد سير التقاضي، أود أن أرى كيف تسير الجلسات عندكم في هويزوم، سوف نرجع إلى السجلات والخزائن بعد ذلك، بعد أن تنتهي القضايا.

آدم: أمرك يا سيادة المستشار. أين الحاجب؟ يا هانفريد!

المشهد الخامس

(تظهر الخادمة الثانية، السابقون)

الخادمة الثانية : تحيات خادمة الكنيسة لك يا سيدي القاضي آدم، كانت تود أن تعيرك الباروكة ولكن ...

آدم : ماذا؟ لا؟

الخادمة الثانية : تقول إن هناك خطبة الموعظة الصباحية اليوم، وخادم الكنيسة سيرتدي الباروكة الأولى وباروكته الثانية ممزقة ولا يمكن أن تستعمل، فهم سيحضرونها إلى صانع الشعر المستعار.

آدم : اللعنة!

الخادمة الثانية : وحالما يرجع خادم الكنيسة فسوف ترسل لك باروكته على الفور.

آدم : أقسم لك بشرفي يا سيدي المبجل...

فالتر: ماذا هناك؟

آدم : إنها صدفة، مجرد صدفة ملعونة أفقدتني كلتا الباروكتين، والآن لا أستطيع الحصول على الثالثة التي أردت أن أستعيرها، لذلك فأنا مضطر لأن أدير الجلسات وأنا أصلع هكذا من دون باروكة.

ڤالتر: أصلع!

آدم: أجل، بالله المجيد يا سيادة المستشار! كم أنا حائر ومرتبك على سمعتي القضائية وأنا على هذه الحال من دون مؤازرة الباروكة لي. يجب عليّ أن أحاول مرة أخرى في النجع التابع لقريتنا، سأرى ما إذا كنت أستطيع استئجار الـ...

ڤالتر: في النجع المجاور لهويزوم! ألا يوجد أحد في هذه القرية يستطيع أن...

آدم: لا، في الحقيقة...

ڤالتر: الواعظ مثلا.

آدم: الواعظ؟ الـ...

ڤالتر: أو ناظر المدرسة.

آدم: منذ أن ألغي نظام الأجور غير النقدي[11] وأنا لا أتوقع من كليهما أن يسديا لي أي خدمات لأني قد شاركت في اتخاذ هذا القرار هنا في المحكمة.

ڤالتر: والآن يا قاضي القرية! ماذا تفعل في جلسات اليوم؟ هل أنت متصور أنك تستطيع الانتظار حتى ينبت لك شعر؟

آدم: أجل، إذا سمحت سيادتك أرسل أحدا إلى النجع.

ڤالتر: وهل هذا النجع بعيد عن هنا؟

آدم: يا إلهي! فقط نصف الساعة.

فالتر: ماذا؟ نصف الساعة؟ وقد حان موعد الجلسات بالفعل، هيا أسرع! لابد أن أرحل اليوم إلى هوزاهه ..

آدم: أسرعوا! أجل...

فالتر: يا إلهي! عليك أن تضع المسحوق الأبيض على رأسك! أين، أين بحق الشيطان تركت الباروكة؟ هيا تصرف كيفما استطعت، فإني في عجلة!

آدم: أمرك يا سيدي!

الحاجب: (يدخل إلى المسرح) الحاجب يا سيدي!

آدم: هل لي أن أقدم لك إفطارا جيدا، سجق من براونشفايج، وكأسا صغيرة من شراب دانسيج؟

فالتر: شكرا جزيلا.

آدم: ليست هناك أي مشكلة في ذلك!

فالتر: شكرا، لقد قلت لك إني تناولت طعام إفطاري، اذهب أنت واستغل الوقت الذي أستغله أنا في تدوين بعض الملحوظات في كتابي.

آدم: حسنا، أنا طوع أمرك. تعالي يا مارجريتا!

فالتر: أيها القاضي آدم! إن بك جرحا كبيرا، هل وقعت؟

آدم: لقد نلت فجر اليوم ضربة مميتة حقا يا سيدي مستشار القضاء عندما أردت أن أخرج من مخدعي، خبطة شديدة داخل الحجرة، أعتقد أنها كانت ستدخلني القبر.

فالتر: يؤسفني ذلك. ألن تكون لهذه الحادثة عواقب أخرى؟

آدم: لا أظن ذلك، وهذه الحادثة لن تحول بعد ذلك بيني وبين التزاماتي. هل تسمح لي؟

فالتر: اذهب، اذهب!

آدم: (يتحدث مع الحاجب) ناد على أصحاب الشكاوى! تحرك! (آدم والخادمة والحاجب يتركون المسرح)

المشهد السادس

(السيدة مارتا، إيڤا، فايت، روبرشت يظهرون على المسرح - ڤالتر ولشت في الخلفية)

السيدة مارتا: أنتم أيها الأوغاد! أنتم الذين كسرتم لي الجرة، وينبغي عليكم أن تكفروا عن فعلتكم هذه.

فايت: من فضلك اهدئي يا سيدة مارتا، فهنا سيتضح ويتقرر كل شيء.

السيدة مارتا: أجل، بالطبع سيتقرر هنا كل شيء، انظروا إلى هذا الثرثار اللبق! نعم سيتقرر شيء بشأن جرتي المكسورة، ولكن من سيصلح لي جرتي المقطعة أوصالها؟ ها هنا سيتقرر أن تبقى الجرة عندي وهي على حالها مكسورة، وبسبب حكم كهذا لن أتخلى عن شقف الجرة المكسورة.

فايت: اسمعي! إن استطعت أن تنتزعي حكما لصالحك فسوف أضع جرة أخرى تحت تصرفك عوضا عنها.

السيدة مارتا: أنت تضع جرة أخرى تحت تصرفي عوضا عن جرتي! إن انتزعت حكما لصالحي تضع جرة تحت تصرفي عوضا عن جرتي! ضع

هذه الجرة! هيا حاول أن تضعها، هيا ضعها على حرف المنضدة! تقول إنك تضع جرة تحت تصرفي عوضا عن جرتي! جرتي التي ليس لها أرجل لتقف أو لتجلس أو لترقد، وتقول إنك تضع جرة تحت تصرفي عوضا عن جرتي!

فايت: لقد سمعتني! لماذا تصرخين هكذا؟ هل في وسعي أن أفعل أكثر من ذلك؟ إذا كان أحدنا قد حطم لك الجرة فسوف أعوضك عنها.

السيدة مارتا: تعوضني عنها! تماما كما لو كان أحد أغنامي يتكلم، هل تقصد أن المحكمة أصبحت مصنع فخار؟ ويأتي هؤلاء السادة المحترمون رابطين المرايل ويحملون الجرة إلى الفرن، يمكنهم أن يضعوا لي أي شيء في الجرة، ولكنهم لن يعوضوني عنها، وتقول إنك ستعوضني عنها!

روبرشت: دعك منها يا أبي! اتبعني! فالغيظ يأكلها والغضب لا بسبب الجرة المكسورة، وإنما هي خطة الزفاف التي تمزقت وأصبح بها خرم، وهي هنا تظن أنها تستطيع ترقيعها بالقوة والعنف، ولكني أدوس على هذا الزفاف بقدمي، ملعون أنا إن تزوجت

هذه الغانية!

السيدة مارتا : يا لك من شاب سطحي مغرور! أنا أرقع خطة الزفاف! إن زفافك هذا لا يساوي خيط الترقيع ولا يساوي حتى شقفة واحدة من جرتي المكسورة، ولو صح أن زفافك وابنتي كانا بالنسبة لي شيئا جميلا تماما كجرتي اللامعة التي كانت موضوعة على حرف الإفريز أمس، إن صح ذلك فإني الآن أمسك بزفافك من مقبضه وأضربك به على رأسك. كاسرة إياه نصفين، وفي هذه الحالة لا أريد أن أرقع شقف رأسك، أنا أرقع الزفاف أيها الأحمق!

إيڤا : روبرشت...!

روبرشت : اذهبي بعيدا عني....!

إيڤا : روبرشت يا أحب الناس إليّ!

روبرشت : اغربي عن وجهي!

إيڤا : إني أستحلفك!

روبرشت : إليك عني أيتها الـ...! لا أريد أن أقول ماذا تكونين.

إيڤا : دعني أقل لك كلمة سرا!

روبرشت : لا، أبدا!

إيڤا : آه يا روبرشت، إنك ذاهب الآن إلى كتيبتك في الجيش، من يدري عندما تبدأ في حمل

السلاح إن كنت سأراك مرة أخرى في هذه الحياة أم لا، إنها الحرب التي أنت ذاهب إليها، فكر وانظر في ذلك الأمر! هل تريد أن تودعني بكل هذا الغل والحقد؟

روبرشت : حقد؟ لا، ليحفظني الله، إني لا أريد ذلك، ليعطك الله السعادة والخير الكثير، ولكني إذا رجعت من الحرب سليما معافى، وقدر لي أن أبلغ في هويزوم الثمانين من عمري فإني سأقول لك حتى وأنا في سكرات الموت: يا غانية! سوف تقسمين بنفسك أمام المحكمة.

السيدة مارتا : (تتحدث مع إيڤا) ابعدي عنه! ماذا قلت لك؟ هل تريدين أن يسبك مرة أخرى؟ إن السيد المحترم هولتسجباين هو عريس أفضل لك، فهو يقود فرقة في الجيش بعصا القيادة الحكيمة، أما هذا القرد فسيلتهب ظهره اليوم من وقع عصا العقاب القاسية، أتمنى أن تتم اليوم خطبتك وأيضا زفافك على هولتسجباين، وأتمنى أكثر لو كان اليوم هو يوم تعميد أطفالكما، ولن أموت دون أن أدوس عجرفة هذا الوغد التي كبرت وتطاولت على جرتي.

إيڤا : أماه! دعك من هذه الجرة، أرجوك! دعيني

أحـاول إصـلاحـهـا فـي المدينة، عـسـاي أجـد عـامـلا مـاهـرا يسـتطـيـع أن يجمع الشـقـف من أجلك، وإن كـانت الجـرة لا يمكن إصـلاحـهـا، فـخـذي كل النقـود التي ادخـرتهـا واشـتـري لنفسك جرة جديدة، هوني عليك! من الذي يهتم بجرة من الفخار، ثم إنها قديمة جدا وترجع لعـصـر هـيـرودس، فـلا أحـد يثـور ويسبب كل هذه المصائب بسبب جرة.

السيدة مارتا : إنك تتحدثين كما تفهمين المسألة من وجهة نظرك يا صـغـيـرتي إيڤـا! هل تريدين أن توثقي على عامود التشنيع في الكنيسة يوم الأحد القادم لتكفري نادمة عما لحق بك؟ إن سمعتك الغالية كانت في هذا الإناء، وقد تحطمت مـعـه أمـام كل الناس حين تحطم، على الرغم من أنك طاهرة أمـــام اللـه وأمامي، ذلك العامل الماهر الذي تتحدثين عنه هو القاضي وهو الجلاد وهو المقصلة وهو ضربات السوط التي ينالها هذا الوغد، وكذلك كومة الأخشاب التي سيحرق فيها، حتى نستعيد شرفنا وكرامتنا الضائعين، وتصقل الجرة وتعاد كما كانت.

المشهد السابع

(يدخل آدم المسرح بالزي الرسمي ولكن من دون باروكة، السابقون)

آدم: (لنفسه) انظر إلى إيڤا الصغيرة! يا إلهي! وأيضا إلى هذا الوقح ضخم البنيان الذي يدعى روبرشت! يا إلهي! كل القبيلة هنا! هل من المعقول أن يشكوني لنفسي؟

إيڤا: أرجوك يا أمي الحبيبة، أستحلفك بالله! اتبعيني، دعينا نهرب من هذه القاعة التعسة!

آدم: يا صديقي! قل لي ما مشكلة هؤلاء القوم؟

لشت: لا أعرف، جلبة وشغب من دون سبب، إنها تفاهات، سمعت أن جرة قد انكسرت.

آدم: جرة! هكذا! يا إلهي! ومن الذي كسر الجرة؟

لشت: هل تسألني من الذي كسرها؟

آدم: أجل يا صديقي.

لشت: رباه! اجلس وسوف تعرف القصة كاملة.

آدم: (يتحدث سرا مع إيڤا) عزيزتي إيڤا!

إيڤا: (أيضا سرا)اذهب بعيدا!

آدم: كلمة واحدة!

إيڤا: لا أريد أن أسمع منك شيئا.

آدم: لماذا تأتون إلى هنا؟

إيڤا: قلت لك اذهب بعيدا!

آدم: عزيزتي إيڤا! أرجوك! ماذا يعني ذلك بالنسبة لي؟

إيڤا: إن لم...! أقول لك دعني وشأني!

آدم: (يتحدث مع لشت) يا إلهي! اسمع يا صديقي! إني لا أستطيع أن أتحمل أكثر من ذلك، فالجرح في عظمة الساق يسبب لي وعكة شديدة، أرجوك أن تدير أنت الجلسة، فأنا أود أن أذهب لأنام.

لشت: تنام؟ هل تريد أن... ؟ أعتقد أنك قد جننت.

آدم: اللعنة! لابد أن أتقيأ.

لشت: أعتقد أنك جننت فعلا، لقد أتيت إلى هنا لتوك! أنا شخصيا لا أعرف مابك، كلم السيد مستشار القضاء، فربما يسمح لك بالخروج.

آدم: (يتكلم ثانية مع إيڤا سرا) إيڤا! أتوسل إليك! بحق كل الجروح[١٢]! ما الذي أحضركم إلى هنا؟

إيڤا: ستسمع ذلك حالا.

آدم: ماشكواكم؟ هل هي فقط تلك الجرة التي تحملها أمك؟ تلك الجرة التي....؟

إيڤا: أجل، فقط الجرة المكسورة.

آدم: ولاشيء غير ذلك؟

إيڤا: لا شيء.

آدم: لاشيء؟ حقا لاشيء؟

إيفا: اذهب بعيدا عني! دعني في هدوء!

آدم : اسمعيني جيدا! أقسم بالله! كوني ذكية! فأنا أنصحك.

إيفا: أيها النذل!

آدم : مكتوب في شهادة الإعفاء الطبية هذه وبالخط القوطي اسم خطيبك روبرشت تومبل ، ها أنا ذا أحمل هذه الشهادة في حقيبتي، هل تسمعين خشخشتها داخل الحقيبة يا إيفا؟ انظري! أقسم لك بشرفي، إنك لن تحصلي على هذه الشهادة ولو بعد سنة، وتكوني حينئذ قد حكت زي الحداد لأن المدعو روبرشت سيكون قد مات في باتافيا بالحمى، لا أعرف بالضبط الصفراء أو القرمزية.

فالتر: أيها القاضي آدم! لا تتحدث مع المتخاصمين قبل الجلسة!

اجلس هنا وابدأ في استجوابهم!

آدم : ماذا تقول؟ بماذا تأمر سيادتك؟

فالتر: بماذا آمر؟ لقد قلت لك بكل وضوح ألا تتحدث سرا مع المتخاصمين لا سيما الأحاديث الملتوية! هاهنا مكان أداء وظيفتك، وإني لأتوقع منك تحقيقا علنيا.

آدم : (يقول لنفسه) اللعنة! إني لا أستطيع أن أستجمع شجاعتي! لقد سمعت صوت ارتطام

إناء بالأرض حين خرجت من...

لشت: (منبها القاضي بعنف) ياسيدي القاضي! هل أنت...؟

آدم: أنا؟ لا... لا بشرفي لا! لقد علقتها بكل عناية، ولابد أن عجلا قد...

لشت: ماذا؟

آدم: ماذا؟

لشت: إني أسألك هل...؟

آدم: تسألني هل أنا ...؟

لشت: أسألك هل أنت أصم، إن سيادة مستشار القضاء هناك يناديك.

آدم: أعتقد ...! من ينادي؟

لشت: السيد مستشار القضاء.

آدم: (لنفسه) اللعنة عليه هو الآخر! يا إلهي! أمامي خياران فقط لا ثالث لهما، إما أن أكون لينا أو أنكسر. حالا، حالا، حالا، بماذا تأمرون سيادتكم؟ أينبغي علينا أن نبدأ الجلسة الآن؟

فالتر: إنك حقا شارد ومشتت، ما الذي يؤرقك؟

آدم: أقسم بشرفي! عفوا! إن ديكي البري الذي اشتريته من أحد الجوالين الهنود يعاني من التهاب في لسانه، ولا أدري كيف أطعمه، وكل مافعلت هو أني طلبت النصح من هذه الآنسة، فأنا كما ترى لا أفهم في هذه الأشياء ودجاجي

أسميهم أولادي.

فالتر: اجلس هنا! ناد على صاحب الشكوى واسأله! وأنت أيها الكاتب، عليك أن تكتب محضر الجلسة!

آدم: هل تأمر سيادتكم أن ندير الجلسات حسب الشكليات أم هكذا، كما هي الحال عندنا في هويزوم؟

فالتر: حسب الشكليات القانونية، وكما هي الحال عندكم في هويزوم، وليس بطريقة أخرى.

آدم: حسنا، حسنا! إنني في خدمتك، هل أنت مستعد أيها الكاتب؟

لشت: في خدمتكم.

آدم: إذن: أيتها العدالة! خذي مجراك! على صاحب الشكوى أن يتقدم!

السيدة مارتا: أنا هنا يا سيادة قاضي القرية.

آدم: من أنت؟

السيدة مارتا: من تقصد؟

آدم: أقصدك أنت.

السيدة مارتا: من... أنا؟

آدم: من تكونين؟ اسمك، حالتك الاجتماعية، عنوانك، ... إلى آخره.

السيدة مارتا: أعتقد أنك تمزح يا حضرة القاضي.

آدم: ماذا؟ أمزح! إني هنا أمثل القضاء يا سيدة

مارتا، والمحكمة تريد أن تعرف من تكونين.

لشت : (يقول للقاضي بصوت منخفض) دعك من هذا السؤال الغريب!

السيدة مارتا : إنك تنظر إلي كل أحد وتلقي السلام وأنا بالنافذة وأنت في طريقك إلى النجع، أليس كذلك؟

فالتر: هل تعرف السيدة؟

آدم : هي تسكن على ناصية هذا الشارع يا سيادة المستشار، في نهاية الطريق المار بين الأشجار، إنها أرملة أحد البوابين، وهي الآن قابلة، علاوة على ذلك فهي سيدة شريفة، سمعتها طيبة.

فالتر: ما دمت تعرفها حق المعرفة أيها القاضي، فإن مثل هذه الأسئلة غير لازمة، اكتب اسمها في المحضر واكتب أمامه:
معروفة تماما للمحكمة.

آدم : إذن سيادتك لا تحبذ الشكليات، أيها الكاتب، افعل كما أمر سيادة مستشار القضاء!

فالتر: عليك أن تسأل عن موضوع الشكوى الآن.

آدم : هل يجب علي الآن أن...؟

فالتر: أن تتحرى عن موضوع الشكوى!

آدم : إنها جرة على أية حال، عفواً.

فالتر: ماذا؟ على أية حال!

آدم : إنها جرة ، مجرد جرة، اكتب جرة! واكتب

أمامها: معروفة تماما للمحكمة!

لشت : ماقلته لك قبلا عن موضوع الشكوى لم يكن سوى تخمين، أيها القاضي، هل تريد أن ...؟

آدم : ربي! عندما أقول لك شيئا فاكتبه! أليست جرة ياسيدة مارتا؟

السيدة مارتا : أجل، هاهي الجرة!

آدم : ها هي أمامك.

السيدة مارتا : الجرة المكسورة.

آدم : هذا تشكك مبالغ فيه أيها الكاتب!

لشت : أرجوك....

آدم : من الذي كسر هذه الجرة؟ لابد أنه هذا الوغد؟

السيدة مارتا : أجل، إنه هو، ذلك الوغد.

آدم : (لنفسه) لا أحتاج لأكثر من ذلك.

روبرشت: ليس صحيحا ياحضرة القاضي.

آدم : (لنفسه) ها أنت قد رجعت إليك الحياة وسرى الدم في عروقك أيها العجوز آدم!

روبرشت: إنها كاذبة، كاذبة!

آدم : اصمت أيها القرد اللئيم! إنك تضع الحديد مبكرا حول رقبتك. أيها الكاتب، اكتب جرة، كما قلنا، وأمامها الاسم الكامل للشخص الذي كسرها! وبهذا نكون قد تحرينا عن الموضوع.

فالتر : يا إلهي! ما أعنف أسلوبك أيها القاضي!

آدم: كيف هذا؟

لشت: أرجوك أن تتبع الشكليات!

آدم: لا، لأن سيادة المستشار لا يحب الشكليات، أليس كذلك؟

فالتر: أيها القاضي آدم! إن كنت لا تستطيع أن تتبع تعليمات القضاء في الجلسات، فليس هنا المكان لكي أعلمك كيف تدير الجلسات، وإن كنت لا تستطيع أن تستخدم أسلوبا غير ذلك فانسحب من القاعة! وربما يكون في وسع الكاتب أن يدير الجلسة.

آدم: من فضلك يا سيادة المستشار! لقد أديت دوري كما هي الحال عندنا في هويزوم، وحضرتك أمرتني بذلك.

فالتر: أنا أمرتك...؟

آدم: أقسم بشرفي!

فالتر: لقد أمرتك أن تدير الجلسات هنا تبعا للقوانين، وأعتقد أن القوانين هنا في هويزوم كما في سائر الأقاليم.

آدم: إني أرجو عفوك وبكل خضوع! إننا هنا في هويزوم عندنا، إذا سمحتم لي، لوائح عجيبة، ولابد أن أعترف أنها ليست مدونة، إلا أنها وصلتنا عن طريق التقاليد المحترمة، وبهذا الشكل أجرؤ أن أدعي أنني لم أخطئ في حرف

واحـــد، وعلى الرغم من ذلك فـإني أجـيـد طريقـتكم في إدارة الجلسـات، والتي تقـولون عنهـا إنهـا المعـتـادة في جـمـيع أنحـاء الإمبراطورية، هل تود سيادتك أن ترى البرهان على ذلك؟ هيا أصدر لي الأمر! فبوسعي أن أدير الجلسة الآن بهذه الطريقة.

فالتر: أيها القاضي! إنك تعطيني انطباعا سيئا إلا إذا... إلا إذا بدأت النظر في القـضـيـة من البداية.

آدم: أقسم لك! انتبه لـي! فسـوف ترضـى عنـي. يا سيدة مارتا أسرعي! قولي لنا ما شكواك؟

السيدة مارتا: كما تعرف ياحضرة القاضي فإني أقدم شكواي بسـبب هذه الجـرة، ولكني أتمنى أن تتيح لي المحكمة الفرصة، وذلك قبل أن أقدم شكواي، لكي تعرف ماذا كانت هذه الجرة تعني لي قبل أن تتحطم.

آدم: تكلمي يا سيدة مارتا!

السيدة مارتا: هل ترون هذه الجـرة، أيها السـادة المحـترمـون؟ هل ترون هذه الجرة؟

آدم: أجل، بالطبع نراها.

السيدة مارتا: إذا سمحتم لي فإنكم لا ترون شيئا، إنكم ترون الشقف فقط، لقد انكسرت أجمل الجرار، ها هنا فوق ذلك الخرم حيث لا يوجد الآن شيء،

كانت هناك رسوم تصور تسلم فيليب الإسباني[١٣] جميع المقاطعات الهولندية، وهنا كان القيصر كارل الخامس[١٤] يقف في زيه الرسمي، إنكم لا ترون منه الآن غير الساقين، وهنا كان فيليب يركع وهو يتلقى التاج، لقد وقع داخل الجرة بكامله ما عدا مؤخرته، وهو أيضا يتلقى ضربة، ولذلك ترون هناك عمتيه وهما ملكتا فرنسا والمجر،[١٥] ترونهما تمسحان دموعهما متأثرتين، هاهي واحدة منهما ترفع يدها بالمنديل، وهي تبدو كما لو كانت تبكي على نفسها، وبعد ذلك ترون فيليبرت[١٦] الذي تلقى القيصر الضربة بدلا منه، إنكم ترون فيليبرت يستند إلى سيفه، إلا إنه سيقع الآن داخل الجرة تماما مثل مكسيميليان[١٧].. ذلك الوغد الحقير، لقد تطايرت السيوف المرسومة أسفل الجرة، وهنا في منتصف الجرة كان رئيس الأساقفة[١٨] في مدينة أرّاس واقفا بطاقيته المقدسة، لقد انمحى أثره تماما الآن، ولم يبق منه سوى ظله يسقط طويلا على بلاط الشارع، وكان حوله كثير من الحراس برماحهم وحرابهم، وهذه بيوت عند السوق الكبيرة في بروكسيل، وها هو أحد الفضوليين يطل من النافذة، إلا أنني الآن لم أعد أعرف إلام ينظر

بعدما انكسرت الجرة.

آدم : ياسيدة مارتا! دعينا من قصة هذه الجرة المكسورة طالما أنها لاتخص القضية، إن ما يهمنا في هذه الجرة هو الخرم وليس قصة المقاطعات التي تسلمها فيليب.

السيدة مارتا : من فضلك يا حضرة القاضي! كون هذه الجرة جميلة هو في صلب الموضوع! لقد غنم شيلدريش السمكري هذه الجرة، وذلك حين باغت أورانين[19] مدينة بريل وهاجمها مع البحارة الهولنديين المحاربين، وكان أحد الإسبان قد ملأ الجرة نبيذا ووضعها على فمه، فهاجمه شيلدريش من الخلف وطرحه أرضا، ثم انتزع الجرة وأفرغها ومضى في حال سبيله.

آدم : ياله من بحار هولندي شجاع!

السيدة مارتا : بعد ذلك ورث الجرة دافن الموتى وحفار القبور فورشتجوت الذي شرب منها ثلاث مرات فقط، وكل مرة يشرب النبيذ على الريق مخلوطا بالماء، المرة الأولى عندما تزوج وهو في الستين من عمره وبعد ذلك بثلاثة أعوام حينما أسعدته زوجته وأنجبت له طفلا، وبعد ذلك حينما أنجبت له الطفل الخامس عشر ثم ماتت شرب المرة الثالثة والأخيرة.

آدم : حسنا، ما هذا بالأمر السيئ!

السيدة مارتا: وقعت الجرة بعد ذلك في يد خياط من تيرليمونت يدعى تساخيوس، هذا الخياط هو الذي حكى لزوجي المرحوم بنفسه عن كل شيء أريد أن أرويه لكم الآن، لقد قذف هذا الخياط الجرة مع كل متاعه من نافذة منزله حين هاجم الفرنسيون بلادنا ونهبوها، وقفز بنفسه من النافذة وتحطمت رقبته هذا الغبي، أما هذه الجرة الفخارية فقد نزلت على الأرض واقفة ولم تخدش أدنى خدش.

آدم: ادخلي في الموضوع من فضلك يا سيدة مارتا! أسرعي وادخلي في الموضوع!

السيدة مارتا: بعد ذلك حصل عليها زوجي - تغمده الله في رحمته - أثناء الحريق الكبير في عام ستة وستين.[٢٠]

آدم: اللعنة! ألم تنتهي بعد يا امرأة؟

السيدة مارتا: أيها القاضي آدم! إن لم يسمح لي بالكلام فإني هنا غير ذات فائدة، ولذلك فإني أريد أن أذهب وأبحث عن محكمة تسمعني.

فالتر: بل ينبغي عليك أن تتكلمي ولكن ليس عن الأشياء التي لا تتعلق بموضوع شكواك، حين تقولين لنا إن هذه الجرة ذات قيمة كبيرة عندك فهذا يكفينا في عملنا كي نستطيع أن نصدر أحكامنا.

السيدة مارتا : إني لا أعرف ما يكفيكم حتى يتسنى لكم إصدار الأحكام، ولا أبحث في ذلك، ولكني أعرف أن لي الحق في الحديث حتى أستطيع أن أقدم شكواي.

آدم : حسن وبعد! حتى ننتهي من ذلك! ماالذي حدث للجرة؟ ماذا؟ ما الذي حدث للجرة في حريق عام ستة وستين؟ هل ستتكلمين؟ ماذا حدث للجرة؟

السيدة مارتا : ماالذي حدث لها؟ لم يحدث لها شيء، أرجوكم أيها السادة، لم تخدش في عام ستة وستين، لقد بقيت سليمة وسط اللهب والتقطتها أنا من رماد المنزل، وصقلتها ولمعتها في صباح اليوم التالي، فظهرت كما لو كانت قد خرجت حديثا من فرن الفخار.

فالتر: حسنا، نحن الآن نعرف الجرة جيدا، ونعرف أيضا كل ما حدث لها، أليس كذلك؟ ماذا بعد ذلك؟

السيدة مارتا : والآن انظروا يا سادة إلى هذه الجرة! على الرغم من أنها مكسورة، إلا أنها مازالت تستحق أن تسمى جرة، وتستطيع فتيات الأسر الكريمة أن تشرب منها، ولا تستنكف زوجة العمدة أن تضع فوهتها على شفتيها، جرتي، جرتي أيها القاضيان عاليا المقام! لقد كسرها

ذلك الوغد.

آدم: من؟

السيدة مارتا: هو، روبرشت.

روبرشت: هذا كذب يا حضرة القاضي.

آدم: اصمت حتى نسألك! سيأتي دورك اليوم أنت أيضا. هل سجلت ذلك في المحضر أيها الكاتب؟

لشت: نعم، بالطبع.

آدم: اروي لنا القصة كاملة أيتها السيدة الفاضلة مارتا!

السيدة مارتا: كان ذلك في تمام الحادية عشرة؟

آدم: تقولين متى؟

السيدة مارتا: الحادية عشرة.

آدم: صباحا؟

السيدة مارتا: لا، عذرا، في المساء، في تلك الساعة أردت أن أطفئ المصباح. وأنا في مخدعي، في تلك الساعة سمعت صخبا وضجيجا، كانت أصوات رجال تنبعث من حجرة ابنتي، كما لوكان العدو قد اقتحم المنزل، لقد فزعت وأسرعت نازلة على الدرج، فماذا أجد؟ وجدت باب حجرة ابنتي مفتوحا بعنف شديد، والشتائم تنهال بثورة وغضب، ولما أضأتُ المصباح وجدت ياحضرة القاضي، ماذا وجدت؟ لقد وجدت

الجرة محطمة في الحجرة، وقطعها متناثرة في كل ركن من أركانها، كانت الفتاة في غاية الفزع، وهو، ذلك الوغد الذي ينكر الآن كل شيء وبكل عناد، لقد كان واقفا كالمجنون في منتصف الحجرة.

آدم : يا إلهي!

السيدة مارتا : ماذا؟

آدم : أهو هذا الشخص يا سيدة مارتا؟

السيدة مارتا : أجل! بعد ذلك وفي غمرة الغضب شعرت بأني قوية مثل الصقر، وأحسست كما لو كان لي عشر أذرع، وسألته ماذا يفعل هنا في هذه الساعة المتأخرة من الليل، ولماذا كسرت جرة المنزل بجنون ووحشية، فإذا به يرد عليَّ قائلا:... لكم يا سادة أن تخمنوا ماذا قال لي هذا الوغد.. هذا الحقير، هذا! أريد أن أراه معلقا على مقصلة الإعدام، وإلا لن أنام هادئة البال بعد اليوم، إنه يدعي أن شخصا آخر هو الذي أسقط الجرة من على حاجز النافذة. أرجوكم يا سادة! إنه يدَّعي أن شخصا آخر قبله قد هرب من الحجرة، وانهال على ابنتي بهذه الشتائم!

آدم : رباه! ياللأكاذيب المفضوحة! ثم ماذا؟

السيدة مارتا : بعد ذلك نظرت إلى البنت وسألتها، ولكنها

كانت بلا حراك كالجثة الهامدة، صحت فيها: يا إيڤا! فجلست، سألتها: هل كان شخصا آخر؟ فصاحت قائلة: «بحق يوسف ومريم! ماذا تظنين بي أنت الأخرى يا أماه؟ إذن تكلمي! من كان هذا الشخص؟ فقالت لي: ومن غيره. وصحيح لم يكن من الممكن أن يكون شخصا آخر، لقد أقسمت لي أنه كان هذا الشخص.

إيڤا: على ماذا أقسمت لك؟ على ماذا؟ لم أقسم لك على شيء، لا شيء.

السيدة مارتا: إيڤا!

إيڤا: لا، هذا كذب.

روبرشت: هاكم تسمعون أيها السادة!

آدم: اخرس الآن أيها الكلب الملعون، هل تريد أن أسد حلقك بقبضتي؟ بعد ذلك سيأتي دورك في الكلام، ليس الآن.

السيدة مارتا: أنت يا إيڤا، ألم...؟

إيڤا: لا يا أمي! إنك لا تقولين الصدق في هذا، انظرى يا أمي، في الحقيقة يؤلمني كل الألم أن أضطر إلى شرح القصة على الملأ، ولكني لم أقسم على شيء، لم أقسم على شيء.

آدم: كونوا عقلاء يا أولادى!

لشت: إنه لشيء عجيب.

السيدة مارتا: رباه! ألم تؤكدي لي يا إيڤا أن...؟ ألم تقسمي

بيوسف ومريم؟

إيفا: لا، لم يكن قسماً! ساعتها لم أقسم! انظري، إني أقسم الآن على ذلك، وها أنا ذا أقسم بيوسف ومريم!

آدم: يا إلهي! ماذا دهاكم يا قوم! يا سيدة مارتا! ماذا تفعلين الآن؟ لا تخيفي هذه الطفلة البريئة! إذا تذكرت الفتاة ما حدث فسوف تحكيه لنا، (ينظر القاضي إلى الفتاة ويأخذ صوته نبرة التهديد) إني أقول الذي حدث وليس الذي يمكن أن يحدث، انتبهوا! إنها ستدلي بأقوالها اليوم مثلما حكت لأمها أمس، لا يهم إن أقسمت على ذلك أم لم تقسم، وعلى ذلك فأخرجوا يوسف ومريم من اللعبة!

ڤالتر: لا، لا يا قاضي القرية آدم! هذا لا يصح، من ذا الذي يريد أن يعطي المتخاصمين عظات ملتوية؟

السيدة مارتا: إن استطاعت أن تقول لي في وجهي وبكل وقاحة، هذه العاهرة الخليعة، إنه كان شخصاً آخر غير روبرشت فإنها ستكون.... لا أريد أن أقول ماذا تكون، ولكني، ياسيدي القاضي، أؤكد لك أنها قالت لي هذا الكلام أمس، إلا أنني لا أستطيع أن أدعي إن كانت أقسمت أم لا، وأقسم على ذلك أمامكم! وإني أقسم

بيوسف ومريم!

آدم: هل تريد الآنسة بعد ذلك أن...؟

ڤالتر: أيها القاضي!

آدم: ماذا تقول سيادتك؟ أليس ذلك صحيحا ياعزيزتي إيڤا؟

السيدة مارتا: قولي! انطقي! ألم تحكي لي ذلك! تكلمي! ألم تقولي هذا لي بالأمس؟ لي أنا؟

إيڤا: لا أنكر أني قلت ذلك.

آدم: ها هي تعترف يا سيادة المستشار.

روبرشت: أيتها العاهرة!

آدم: اكتب أيها الكاتب!

ڤايت: ياللعار! ألا تخجلين؟

ڤالتر: أيها القاضي آدم! لست أدري كيف أتصور طريقة إدارتك للجلسة. لو افترضنا أنك الشخص الذي كسر الجرة فإنك لن تزيح الاتهام عن نفسك وتزج بهذا الشاب في دائرة الاتهام والشك بمثل هذا الاجتهاد والحماس، وأنت أيها الكاتب! لا تكتب في محضر الجلسة غير اعترافات الآنسة وأقوالها، وأتمنى أن تكتب شهادتها على ما حدث ليلة أمس لا على شيء آخر. هل جاء الدور على الآنسة كي تدلي بأقوالها؟

آدم: رباه! حتى ولو لم يكن دورها قد جاء، فالإنسان

يخطئ في مثل هذه الأشياء يا سيادة المستشار، من الذي ينبغي عليَّ أن أسأله الآن؟ المتهم؟ أقسم بشرفي! إني أتعلم الآن درسا جيدا.

فالتر: ياللسذاجة! نعم اسأل المتهم! وأرجوك أن تنتهي من هذه المسألة بسرعة! اسأل! اسأل! أعتقد أن هذه هي آخر قضية تتولاها.

آدم: القضية الأخيرة! ماذا؟ نعم بالطبع! المتهم! (ثم يتحدث بصوت منخفض) إلى أين ذهب فكرك أيها القاضي العجوز؟ ملعون هذا الديك البري صاحب اللسان الملتهب! إن مات فسيكون السبب هو الطاعون الهندي! هناك كرة من العجين دائما ببالي.

فالتر: ماذا؟ أي كرة هذه التي ....؟

آدم: كرة من العجين، عذرا ، يجب عليَّ أن أطعم الديك إياها، رباه! إني لا أعرف مصيره إن لم يبتلع كرة العجين.

فالتر: اللعنة! عليك فقط أن تؤدي التزاماتك الوظيفية!

آدم: على المتهم أن يتقدم!

روبرشت: ها أنا ذا ياحضرة القاضي، اسمي روبرشت، أنا ابن الفلاح الأجير ڤايت من هويزوم.

آدم: هل سمعت ما قالته السيدة مارتا قبل قليل في حقك أمام المحكمة؟

روبرشت: أجل يا حضرة القاضي سمعت.

آدم: هل تجرؤ أن تقول شيئا يفند هذا الاتهام؟ هل تعترف أم تجرؤ أن تنكر كما يفعل الكافرون؟

روبرشت: ماالذي أستطيع أن أقدمه لكي أفند هذا الاتهام يا سيدي القاضي؟ رباه! اسمح لي أن أقول إن إيفا لم تقل الحقيقة.

آدم: هكذا؟ وتظن أنك تستطيع أن تثبت ذلك؟

روبرشت: أجل، بالطبع.

آدم: السيدة مارتا الفاضلة أرجوك....، اهدئي! سنصل إلى الحقيقة.

فالتر: مالك والسيدة مارتا الآن أيها القاضي؟

آدم: مالي و ...؟ بالله عليكم! ألا يجب علي كمسيحي أن ...؟

فالتر: عليك فقط أن تقوم بمهامك القضائية. أيها الكاتب! هل تستطيع أن تدير الجلسة؟

آدم: ما هذا الهراء؟!

لشت: إن كنت أستطيع أن ...؟ رباه! إذا ...

آدم: فيم تحملق أنت هناك؟ ماذا عندك من أقوال؟ ألا يقف هذا الحمار تماما مثل العجل؟ ماذا عندك من أقوال؟

روبرشت: ماذا عندي من أقوال؟

فالتر: أنت! أجل، يجب عليك أن تحكي لنا

الآن القصة كاملة!

روبرشت: آه لو تعطوني الفرصة كي أتكلم!

ڤالتر: فعلا أيها القاضي، هذا شيء لايطاق.

روبرشت: كانت الساعة حوالي العاشرة مساء، وكانت هذه الليلة بالذات دافئة دون ليالي يناير، كما لو كنا في مـــايو. قلت لأبي: «أبي، أريد أن أذهب بعض الوقت لإيڤا، لابد وأنك تعرف أنني كنت أريدها للعمل مقابل أجر، فهي فتاة قوية وقادرة على الإنجاز في العمل، لقد شاهدتها لأول مرة في موسم الحصاد، عندما سقطت الأشياء من يديها وطار القش منها وتناثر، كما لو كان قد سرق، عندئذ قلت لها: هل تودين؟ فقالت : ماذا! هل تغازلني؟ وبعد ذلك قالت: نعم »

آدم : ابق في الموضوع! ودع الحديث عن المغازلة! هل يصح هذا؟ قلت لها: «هل تودين» وهي تقول: «أجل» هل يصح هذا؟

روبرشت: أجل ياسيدي القاضي، أقسم على ذلك!

ڤالتر: أكمل! أكمل!

روبرشت: في هذه الليلة الدافئـــة قلت لأبي: «أبي هل تسمعني؟ دعني أذهب لإيڤا، سنتحدث بعض الوقت وهي واقفة بالنافذة» فقالت لي: «هكذا! اذهب، ولكنك ستبقى بالخارج، أليس كذلك؟»

فقلت له: «أجل يا أبي وأقسم على ذلك» فقال: «اذهب وعد ثانية في الحادية عشرة!»

آدم: وهكذا تتحدث وتغازل ولا ينتهي الحديث ولا ينتهي الغزل، هل أوشكت أن تنهي أقوالك؟

روبرشت: قلت لأبي: « هذا وعد » وارتديت الطاقية وذهبت، أردت أن أذهب عبر الطريق واضطررت أن أرجع من وسط القرية، لأن الجدول قد امتلأ بالماء، وكان الجو مطيرا، وقلت لنفسي إن باب الحديقة عند آل مارتن قد أغلق، لأن إيڤا تتركه مفتوحا حتى العاشرة، وهي تعرف أنها لو دقت العاشرة ولم أصل، فإني لن أحضر.

آدم: ياله من ترتيب خليع.

ڤالتر: وماذا بعد ذلك؟

روبرشت: وبعد ذلك .. ما إن اقتربت عابرا طريق شجر الزيزفون عند آل مارتن حيث تتكاثر هذه الأشجار وتتشابك مكونة أقبية مظلمة مثل كنيسة أوترشت، ما إن اقتربت حتى سمعت صوت باب الحديقة من بعيد، فقلت لنفسي انظر هاهي إيڤا مازالت هناك، فنظرت ياسيادة المستشار إلى مصدر الصوت ولكني لم أر شيئا، فصحت قائلا: «يالك من أعمى ياروبرشت!» ثم نظرت مرة أخرى لعلني أرى

شيئا ورحت أسبهما وأتهمهما بالعمى لأني لم أر شيئا، فنظرت مرة ثالثة وظننت أن عينيّ ستنخلعان من رأسي لأنهما أديا ما عليهما في ظلام حالك، إلا أنني استطعت أن أتعرف على إيڤا من قميصها وكانت مع شخص آخر.

آدم: هكذا؟ شخص آخر؟ ومن يكون هذا أيها الثرثار المتحذلق؟

روبرشت: من يكون؟ أجل، رباه! هل تسألني عنه؟

آدم: ولكن الذي رأيته هذا لن يفيدك بشيء، طالما لم تتمكن منه ولم تقبض عليه فإني أظن أن كلامك غير ذي قيمة.

ڤالتر: هيا استمر في حديثك! دعه وشأنه! لماذا تقاطعه يا قاضي القرية آدم؟

روبرشت: لست متأكدا ياسيادة مستشار القضاء، لقد كان الظلام حالكا ولم أستطع أن أتعرف عليه، إلا أنك يا سيادة القاضي غالبا ما تعلم أن الإسكافي ليبرشت الذي خرج من السجن منذ أيام يتعقب فتاتي، لقد قلت في الخريف الماضي لإيڤا: «اسمعي يا إيڤا، إن هذا الوغد يسترق الخطى حول منزلك، وأنا لا أحب ذلك، أخبريه أنك لن تكوني له أبدا، رباه! وإلا فسوف ألقيه من أعلى المنزل إلى الفناء، فقالت لي: «إنك تغضبني بذلك »، وتحدثت معه حديثا

فارغا لا يحمل أي معنى، فما كان مني إلا أن ذهبت وألقيت هذا الوغد إلى الفناء.

آدم : هكذا؟ هل يدعى هذا الشخص ليبرشت؟

روبرشت: أجل ليبرشت.

آدم : حسنا ها هو اسم آخر، وسوف يتضح كل شيء الآن، هل كُتب هذا الاسم في محضر الجلسة أيها الكاتب؟

لشت : أجل، أجل، وكل شيء آخر ياسيدي القاضي.

آدم : والآن أكمل ياروبرشت! أكمل حديثك يابني!

روبرشت: إنني الآن في غاية الانفعال، كنت دائما أخرج من بيتنا في تمام العاشرة، ولأني في تلك الليلة رأيت الحبيبين في الحادية عشرة قلت لنفسي : «قف ! آه يا روبرشت، إن هناك متسعا من الوقت ولم ينبت لك قرنان بعد، ولابد أن تتحسس جبهتك جيدا، لربما يكون هناك شيء مثل القرون ينبت فيها بسبب ما يحدث أمامك، ودخلت من باب الحديقة بحذر، واختبأت وراء شجرة، وماذا أسمع ياسيادة القاضي؟ سمعت ثرثرة ومزاحا، ورأيت شداً هنا وجذبا هناك ياسيادة القاضي، رباه ! لقد كادت الرغبة أن تراودني؟ ...

إيفا: أيها الوغد اللئيم، رباه! ما هذه الأقوال الشائنة التي تصدر منك؟

السيدة مارتا: آه يا وغد! سوف أريك العين الحمراء، عندما نكون وحدنا، إنك لم تعرفني جيدا بعد، سوف تعرف جيدا من أكون!

روبرشت: استمر هذا المزاح واللعب حوالي ربع الساعة، وفكرت: ماالذي يمكن أن يتمخض عن هذا اللعب، أليس اليوم كيوم الزفاف؟ وما أن طافت هذه الفكرة بخاطري حتى وجدتهما يسرعان إلى داخل البيت.

إيفا: هيا نذهب يا أمي! وليحدث ما يحدث.

آدم: اصمتي يافتاة ولا تزعجيني! إني أنصحك بذلك، فهناك كثير من المتاعب التي ستنهال عليك أيتها الثرثارة! انتظري حتى أدعوك للكلام.

ڤالتر: شيء عجيب جدا بحق الله!

روبرشت: وساعتها ثار الدم في عروقي أيها القاضي آدم، وشعرت بضيق في التنفس، وطار زر من قميصي، وقمت بانتزاع باقي الأزرار حتى أستطيع أن أتنفس، وأسرعت إلى حجرة إيڤا، ودفعت الباب بشدة لأن هذه العاهرة قد أغلقته من الداخل وانفعلت انفعالا شديدا.

آدم: ما أسرعك من فتى!

روبرشت: وما أن دخلت الحجرة حتى سمعت صوت شيء ينكسر، إنها الجرة تسقط من حافة إفريز

النافذة على الأرض، وبسرعة يقفز أحد الأشخاص من النافذة يا حضرة القاضي، لقد رأيت سرواله الواسع يرفرف في الهواء.

آدم : هل ليبرشت هو ذلك الشخص الذي قفز من النافذة؟

روبرشت: ومن غيره يا سياده القاضي؟ لقد تسمرت الفتاة في مكانها فدفعتها جانبا وأسرعت إلى النافذة فوجدت هذا الشخص مازال عالقا في أعمدة التكعيبة الخشبية التي تنمو عليها شجرة العنب وتعلو حتى السقف، ولأني لم أجد غير سقاطة الباب الذي دفعته بعنف، وبقطعة الصلب هذه التي تزن رطلا هويت على رأسه، لأني استطعت أن أصل إليه قبل أن يهرب ياحضرة القاضي.

آدم : أكانت سقاطة الباب؟

روبرشت: ماذا؟

آدم : هل كانت ...؟

روبرشت: أجل، كانت سقاطة الباب.

آدم : آه لذلك!

لشت : هل اعتقدت أنها كانت خنجرا؟

آدم : خنجر؟ أنا .. لماذا؟

روبرشت: خنجر!

لشت : لاعليكم، يحدث أحيانا أن يسمع المرء أشياء

لم تقل، وعلى العموم فإن هناك تشابها كبيرا بين سقاطة الباب والخنجر.

آدم: أعتقد أن ...

لشت: المقبض ياحضرة القاضي؟

آدم: المقبض!

روبرشت: المقبض، ولكنه لم يكن هو، لقد ضربته بالجانب الخلفي من سقاطة الباب!

آدم: آه، كان إذن الجانب الخلفي من سقاطة الباب!

لشت: ثم ماذا؟ قل!

روبرشت: بلى، على مقبض السقاطة كانت هناك كتلة من الرصاص تماما مثل مقبض الخنجر، لابد أن أقول ذلك.

آدم: أجل ، مثل المقبض.

لشت: حسنا، مثل مقبض الخنجر، إلا أنه لابد وأن يكون أي سلاح لعين، إني أعرف ذلك.

فالتر: إلى موضوعنا يا سيادة! ارجعوا إلى موضوع القضية!

آدم: ماهذا الهراء أيها الكاتب؟ وأنت استمر في الحديث!

روبرشت: سقط هذا الشخص وأردت أن أستدير إلا أني رأيته يتحرك في الظلام، فقلت هامسا : «هل مازلت على قيد الحياة؟» صعدت فوق النافذة وأردت أن أهبط حتى أمنعه من الهروب،

وماشرعت في القفز حتى قذفني بحفنة من الرمل الخشن، واختلط كل شيء: الشخص والليل والعالم وإطار النافذة، فتراجعت وليعاقبني الله إن كنت مبالغا، لقد اختلط كل شيء في عيني مثل كرات الثلج التي تتساقط بسرعة.

آدم : اللعنة! انظروا! من فعل ذلك؟

روبرشت: من؟ إنه ليبرشت.

آدم : الوغد الحقير.

روبرشت: ياإلهي لوكان هو!

آدم : ومن غيره؟

روبرشت: كما لو كانت كرات الثلج تتساقط على منحدر جبل عال وتنهمر علي انهمارا، فتركت يا سادة النافذة ودخلت الحجرة وصرت أضرب الأرض من الغيظ، كلا، لم أستطع أن أكسر له رقبته أو سلسلة ظهره أو خاصرتيه أو مابينهما، لم أستطع أن أنال منه، جلست أمسح عيني وجاءت هي صائحة:« رباه! ماذا بك أنت أيضا يا روبرشت؟» ياإلهي لقد رفعت قدمي ولحسن الحظ لم أر إلى أين وجهت الضربة.

آدم : كان ذلك بسبب الرمل أيضا؟

روبرشت: أجل بسبب قذفة الرمل.

آدم : (متشفيا فيه) عليك اللعنة! لقد أصابت!

روبرشت: وعندما أفقت وعدت إلى رشدي وجدت أنه ليس من الضروري أن أنجس قبضتي وأضربها، وهكذا أهنتها وسببتها قائلا: « أيتها العاهرة الحقيرة» واعتقدت أن ذلك يكفيها، إلا أن دموعي قد خنقت الكلمات، ثم دخلت السيدة مارتا الحجرة حاملة المصباح، ورأيت الفتاة مرتعدة مرتعشة أمامي مما أثار الشفقة في نفسي، وهي التي كانت في باقي أحوالها تتلفت حولها بشجاعة وثقة بالنفس، وقلت لنفسي: «ليتني كنت ضريرا حتى لا أرى ما رأيت»، كنت مستعدا أن أخلع عيني من رأسي وأعطيهما كرات صغيرة من اللحم لمن يريد أن يلعب بهما.

إيڤا: ذلك الوغد الوقح الذي لا يستحق أن ....

آدم: عليك أن تصمتي!

روبرشت: الباقي تعرفونه يا سيادة القاضي.

آدم: ماذا، الباقي؟

روبرشت: نعم لقد جاءت السيدة مارتا وتصايحت، وجاء أيضا الجاران رالف وهاينتس، وجاءت أيضا الخالة زوس والخالة ليزا، وكذلك الخادم والخادمة، حتى الكلاب والقطط جاءوا، كانت ضجة وصخبا كبيرين، ولقد سألت السيدة مارتا الفتاة عن الشخص الذي حطم لها

الجرة، وهذه الفتاة قالت وكما تعلمون إني ذلك الشخص، يا إلهي! الفتاة عندها بعض الحق عندما تقول ذلك، فالجرة التي تحملها هي إلى الماء، هذه الجرة حطمتها أنا ياسادة، حين كان هذا الإسكافي ليبرشت مجروحا في رأسه.

آدم : السيدة مارتا! بماذا تردين على هذا الكلام؟ من فضلك تكلمي!

السيدة مارتا : بماذا أرد على هذا الكلام؟ لقد تسللوا واقتحموا بيتي مثل الناموس ياسيدي القاضي، وهاهم يخنقون الحقيقة كما تخنق الدجاجة،إن من يحب الحق والعدل، عليه أن يمسك الهراوات حتى يزيح نكبات الليل ومصائبه.

آدم : عليك إذن أن تقدمي لنا الدليل الآن!

السيدة مارتا : أجل، وبكل سرور - هاهي شاهدتي - تكلمي يا ابنتي!

آدم : الابنة؟ لا يا سيدة مارتا.

فالتر : لا؟ ولم لا؟

آدم : الابنة كشاهدة يا سيدي المبجل؟ ألا ينص كتاب القانون في فصله ... أهو الفصل الرابع أم هو الخامس. ألا ينص على أنه عندما يحطم الأولاد الصغار الجرات أو أي شيء من هذا القبيل فإنه لا يجوز للبنات أن يشهدن على حديث أمهاتهن؟

فالتر : أيها القاضي، إن العلم وما ينافيه من

أغـلاط مـعـجـونان في رأسك تمامـا مـثل العـجـين، ومع كل خطوة تخطوها تُظهـر لي منهما شيئا، إن الفتاة لم تدل بشهادتهـا بعد، إنما هـي تصف لنا مـا حـدث، إن كـانـت تريـد أو تستطيع أن تدلي بشهادتها ولصالح أي من المتخاصمين، كل ذلك سيتضح من شرحها أولا.

آدم: أجل، هو شـرح، حـسنا، إذن هو الفـصل السادس، إلا أن أحدا لن يصدق ما تقول.

فالتر: تقدمي يا طفلتي!

آدم: هيه ... ياليـزا! لو سمحت لـي سيادتك! لقد جـف لساني وأشعـر بالعطـش.. يا مارجريتا!

المشهد الثامن

(تظهر الخادمة، السابقون)

آدم : آدم: أريد كوبا من الماء!

الخادمة : في الحال (تذهب)

آدم : هل لي أن أقدم لك أيضا...؟

فالتر : أشكرك.

آدم : نبيذا فرنسيا أو نبيذ وادي الموزل؟[٢١] أيهما تفضل (مستشار القضاء ينحني، الخادمة تحضر الماء وتبتعد)

المشهد التاسع

(فالتر، آدم، السيدة مارتا، الآخرون ما عدا الخادمة)

آدم: إذا سمحت لي ياسيادة المستشار أن أتكلم بصراحة وصدق، إن هذه القضية تصلح لعقد مصالحة.

فالتر: مصالحة؟ كلامك غير واضح يا قاضي القرية! إن العقلاء هم الذين يستطيعون أن يتصالحوا، وعلى الرغم من أن القضية لم تتضح بعد وفيها الكثير من الغموض، فإنك تريد أن تعقد صلحا، قل لي إذن ربما أجد رغبة في سماع ما تقوله، ماذا تظن أنك فاعل لتحقق هذا الصلح؟ هل أصدرت الحكم بالفعل؟

آدم: ياإلهي! إذا كان علي أن أستعين بالفلسفة لأن القانون يخذلني في هذه القضية، فالمذنب هو ليبرشت.

فالتر: من هو؟

آدم: أو روبرشت.

فالتر: تقول من؟

آدم: أو ليبرشت الذي حطم الجرة.

فالتر: من هو المذنب إذن؟ هل هو ليبرشت أو روبرشت؟

أيهـــا القـــاضي، إنـي أرى أنك تصـــدر حكمك وتوجه الاتهام جزافا تماما مثل الشخص الذي يضع يده في جوال مليء بالبازلاء ليلتقط أي حبة بشكل عشوائي.

آدم: لو سمحت لي!

فالتر: اصمت! اصمت أرجوك!

آدم: كما ترى، ولكني أقسم بشرفي أنني أتمنى كل التمني أن يكون كلاهما مذنبا.

فالتر: إن سألت هؤلاء الناس ستعرف من المذنب.

آدم: بكل ســـرور، وأكــون نـذلا إن اســـتطعـــتم أن تكشفوه. هل أنت مستعد بالمحضر أيها الكاتب؟

لشت: تماما.

آدم: حسنا.

لشت: وسأفتح صفحة جديدة منتظرا بشغف ماالذي سيكتب فيها.

آدم: صفحة جديدة؟ هذا حسن أيضا.

فالتر: تكلمي أنت يا طفلتي!

آدم: تكلمي يا إيفا! أتسمعينني؟ تكلمي الآن يا آنسة إيفا! رباه! أيها القلب الصغير، قولي له وللعالم الحقيقة، تذكري أنك أمام كرسي العدالة الإلهية، وتذكري أيضا أنه لا ينبغي لك أن تزعجي قاضيك بأكاذيب وثرثرة لا تتعلق بالقضية، كلا، كلا، إنك فتاة عاقلة وتعرفين أن

القاضي دائما قاض، واليوم يحتاجه أحدهم وغدا يحتاجه آخر، إن قلت إن المذنب هو ليبرشت فهذا شيء طيب، وإن قلت إن المذنب هو روبرشت فهذا أيضا شيء طيب، قولي ... قولي إنك كذبت وسوف تنتهي الأمور تماما كما تتمنين، وإن كنت تريدين أن تثرثري وتغتابي شخصا آخر ثالثا وتذكرين أسماء أخرى غبية، انظري يا طفلتي! انتبهي! فأنا لن أقول لك شيئا آخر، لن يصدقك أحد في هويزوم، اللعنة! لا أحد في كل هولندا يا صغيرتي إيفا، إنك تعرفين أن الحوائط لا تستطيع أن تدلي بأي شهادة، وهو سوف يعرف كيف يدافع عن نفسه، أما صديقك روبرشت فسوف يضيع.

فالتر: ألا تريد أن تكف عن هذه الثرثرة وهذا التخريف الذي لا ينفع ولا يضر.

آدم: ألا تفهمني يا سيادة المستشار؟

فالتر: استمر في القضية! لقد تكلمت أنت أكثر من أي فرد آخر في هذه الجلسة.

آدم: أقسم لك ياسيدي، إنني لم أدرس، وإن كنت غامضا بالنسبة لكم بعض الشيء يا سادة أوترشت، فالأمور مع الشعب هنا في هويزوم تأخذ مسارا آخر، إن هذه الآنسة تعرف ما أريد وإني لأراهن على ذلك.

السيدة مارتا : ما هذا؟ هيا تكلمي وقولي كل شيء بوضوح!

إيڤا: أرجوك يا أمي العزيزة!

السيدة مارتا : أنت. أنصحك أن تتكلمي!

روبرشت: يا إلهي! يا سيدة مارتا من الصعب أن يقول المرء شيئا بوضوح عندما يكون ضميره غائبا.

آدم : اصمت أنت الآن يا سليط اللسان!

السيدة مارتا : من المذنب؟

إيڤا: إليك عني يا أمي!

السيدة مارتا : هو هذا القرد، هذا الوغد الجبان! رباه! إنك تتحدثين كالعاهرات، من هو؟

آدم : ما هذا الحمق يا سيدة مارتا؟ لابد أن تدعي الفتاة وشأنها! إنك تفزعينها بمثل تلك الألفاظ فلا تستطيع أن تروي لنا شيئا .. عاهرة .. أيتها الغبية اتركيها تتذكر!

روبرشت: (متهكما) أجل، دعيها تتذكر!

آدم : اصمت الآن أيها الولد الأرعن!

روبرشت: ربما يخطر ليبرشت الإسكافي على بالها.

آدم : عليك اللعنة! نادوا الحاجب! ياهانفريد!

روبرشت: لا، لا يا حضرة القاضي،سأصمت، ولكنها ربما تذكر اسمي لحضرتك.

السيدة مارتا : اسمعيني جيدا! أقول لك لا تسببي لي هنا هرجا ومرجا، فقد عشت شريفة تسعا وأربعين سنة من عمري وأريد أن أكمل الخمسين، يوم

ميلادي هو الثالث من فبراير واليوم هو الأول منه، أريدك إذن ألا تطيلي، من هو المذنب؟

آدم: أحسنت، أحسنت يا سيدة مارتا رل!

السيدة مارتا: لقد قال لي أبوها وهو في النزع الأخير: «اسمعي يا مارتا، لابد أن تتزوج الفتاة رجلا مستقيما، وإذا ساءت أخلاقها فأعطي دافن الموتى بضعة قروش ودعيني أرقد على ظهري مرة أخرى، رباه! فأنا أعتقد أنني سأتقلب في قبري»

آدم: ليس هذا أيضا بالشيء السيئ.

السيدة مارتا: يا صغيرتي إيڤا إن كنت تريدين أن تكرمي أباك وأمك حسب الوصية الرابعة من الوصايا العشر فتكلمي وقولي إن كنت أدخلت الإسكافي أو شخصا ثالثا حجرتك، هل تسمعينني؟
ألم يكن هو عريسك؟

روبرشت: إنها تبكي وتولول، أرجوكم دعكم من الجرة! سوف أحملها معي إلى أوترشت لأصلحها مثل هذه الجرة.. ليتني كنت كسرتها نصفين.

إيڤا: خسئت أيها النذل! استح من نفسك لأنك لم تقل: «حسنا، أنا الذي كسر الجرة» استح من نفسك لأنك لا تثق في أفعالي، ألم أمد يدي إليك؟ ألم أقل لك : «نعم» حين سألتني: «هل تريدينني يا إيڤا؟» هل تقصد أنك لا تداني

هذا الإسكافي مقاما؟ وبافتراض أنك رأيتني مع ليبرشت من ثقب الباب ونحن نشرب النبيذ من الجرة، كان يجب عليك حينئذ أن تظن بي خيرا، وتقول إن إيڤا كريمة الخلق وأن كل شيء سيتضح رافعا سمعتها الشريفة إلى عنان السماء، وإن لم يحدث ذلك في الدنيا فسوف يحدث في الآخرة عندما نبعث يوم القيامة.

روبرشت: يا إلهي! إن ذلك يستغرق وقتا طويلا جدا ياعزيزتي إيڤا. إنني لا أؤمن إلا بالأشياء التي أستطيع أن أمسكها بيدي وأخبرها بحواسي.

إيڤا: ثم افترض أن هذا الشخص كان ليبرشت، ماالذي كان سيمنعني من أن أسر إليك بهذا السر وحدك وفي الحال، فليخطفني الموت إلى الأبد إن لم أكن صادقة! بل لماذا أعلن ذلك على الملأ أمام الجيران والخدم؟ وافترض أن لدي من الأسباب ما يدعوني لإخفاء هذا الموضوع، لماذا يا حبيبي روبرشت؟ تكلم! لماذا ينبغي علي ألا أقول إن هذا الشخص هو أنت اعتمادا على ثقتك بي؟ لماذا؟ لماذا؟

روبرشت: اللعنة على ذلك! قولي هذا فأنا لا أمانع، إن كان ذلك سينجيك من تعذيب الضمير!

إيڤا: آه أيها الحقير! يا ناكر الجميل! هل أستحق منك أن تقول إني أحاول أن أنجي نفسي من

تعذيب الضمير، هل أستحق هذا؟ أنا التي أستطيع أن أستعيد شرفي وكرامتي بكلمة واحدة ولكنني لا أنطقها حتى أحميك من جحيم أبدي.

فالتر: والآن؟ ماهي هذه الكلمة؟ لا تعطلينا! أنفهم من ذلك أن روبرشت لم يكن هذا الشخص؟

إيفا: لا يا سيدي المبجل ، لأنه يريد ذلك، ومن أجله كتمت السر، يا سيدي المستشار! ليس روبرشت هو الذي حطم الجرة الفخارية، يمكنكم أن تصدقوا كلامي هذا، حتى إن أنكره روبرشت نفسه.

السيدة مارتا : إيفا! أليس هو روبرشت؟

إيفا: لا يا أمي، لا! حتى إن قلت لك أمس غير ذلك، فقد كان ذلك كذبا.

السيدة مارتا : سأحطم كل عظامك، أتسمعينني! (تضع الجرة المكسورة على الأرض)

إيفا: افعلي بي ما تشائين!

فالتر: (مهددا) ياسيدة مارتا!

آدم : أيها الحاجب! أخرجها من القاعة، هذه العجوز الشمطاء! ماالذي يجعلك تعتقدين أن روبرشت بالذات هو الشخص المتهم؟ هل كنت تمسكين المصباح في يدك ساعتها؟ قولي! أظن كل الظن أن الفتاة تعرف هذا الشخص، ما أنا بقاض

وإنما مهرج إن لم يكن ليبرشت هو ذلك الشخص.

السيدة مارتا : هل هو ليبرشت؟ هل كان ليبرشت هذا الشخص إذن؟

آدم : تكلمي يا إيڤا! أيها القلب الصغير! هل هو ليبرشت؟

إيڤا: أيها الوقح! أنت أيها النذل! كيف تقول إن ليبرشت ...؟

ڤالتر: كيف تجرئين على ذلك يا فتاة؟ هل هذا هو الاحترام الواجب عليك تجاه القاضي؟

إيڤا: ماذا تقول يا سيدي مستشار القضاء؟ هذا القاضي! إنه يستحق أن يقف بنفسه أمام المحكمة كالمجرمين، إنه هو الشخص المذنب، وهو يعرف ذلك أكثر من أي أحد.

(تلتفت إلى قاضي القرية) ألم ترسل بنفسك ليبرشت أمس إلى مدينة أوترشت ليقف أمام اللجنة التي تختار المجندين المستجدين؟ كيف تقول إذن إن ليبرشت هو المتهم مع أنك تعرف أنه كان في أوترشت؟

آدم : اللعنة! من يكون إذن إن لم يكن ليبرشت؟ ليس روبرشت ولا هو ليبرشت. (سرا) ماذا تفعلين يا إيڤا؟

روبرشت: يا إلهي! سيدي القاضي دعها تحكي لك! فهي بالتأكيد لا تكذب في هذه النقطة بالذات، لأني

قابلت ليبرشت بنفسي حين ذهب إلى أوترشت، وكان الوقت مبكرا، في الثامنة، وبما أنه لم يركب العربة، فإنه لا يمكن أن يكون قدعاد إلى هويزوم في العاشرة مساء، خاصة وأن رجليه مقوستان ويعرج حين يمشي، لابد يا سيادة القاضي أن الشخص المتهم كان شخصا ثالثا.

آدم: ما هذا الهراء! رجلاه مقوستان! أيها الغبي! إن هذا الإنسان يمشي بشكل طبيعي على الرغم من تقوُّس رجليه، ولينشطر جسدي نصفين إن كنت مبالغا حين أقول إن كلب الرعي متوسط الحجم لابد وأن يعدو بسرعة حتى يستطيع ملاحقة هذا الشخص.

فالتر: هيا احكي لنا يا ابنتي كيف جرت الأمور!

آدم: عفوا يا سيدي مستشار القضاء! لن تستطيع الفتاة أن تفيدك بشيء.

فالتر: لن تفيدني بشيء؟ ولم لا؟

آدم: إنها طفلة غير ناضجة، سيادتك ترى أنها كريمة الخلق، ولكنها غير ناضجة، إنها شابة صغيرة، وإيمانها لم يثبت بعد، إنها تخجل حين ترى ذقن رجل من بعيد، هذا هو الشعب المغلوب على أمره والذي يعاني من الظلم في ظلام الليل، وعندما يطلع النهار ينكر معاناته أمام قاضيه.

فالتر: إنك مترفق ومتسامح بحق أيها القاضي آدم وعطوف كل العطف في كل الأمور التي تخص الفتاة.

آدم: أقول لك الحقيقة يا سيادة المستشار، لقد كان والدها صديقا حميما لي، وأرجو من سيادتك أن تكون عطوفا رحيما، فإننا هنا لا نؤدي غير التزاماتنا حين نجعل الفتاة تغادر المحكمة الآن وتنصرف إلى بيتها.

فالتر: أيها القاضي! إني أشعر برغبة شديدة في أن أقف على حقيقة هذه القضية، هيا يا ابنتي، أسرعي وقولي لنا من الذي كسر الجرة! فأنت تقفين في هذه اللحظة أمام أناس بإمكانهم أن يسامحوك على زلّة ارتكبتها.

إيفا: يا سيدي العزيز المبجل، اسمح لي أن أروي ما حدث، ولكن أرجوك لا تسيء الظن بي حين أمتنع عن الإدلاء باسم هذا الشخص، إنه تقدير السماء الذي يمنعني عن الكلام في تلك القضية، إنني مستعدة أن أؤكد قسمي على المذبح المقدس أن روبرشت لم يحطم الجرَّة، هذا إن كنت تريد مني ذلك، إلا أن حادثة الأمس تخصني وحدي بكل تفاصيلها، وليس من حق أمي أن تطالب بتعويضها عن القضية كلها وذلك بسبب جزئية بسيطة تخصها هي

وتمثل خيطا واحدا من نسيج القضية، إنني لا أستطيع أن أدلي باسم الشخص الذي كسر الجرة، لا يصح لي أن أبوح بأسرار ليست ملكي ولا تتعلق بالجرة من قريب أو من بعيد، إلا أنني سوف أبوح لها عن ذلك السر بعد ذلك، لأن المحكمة ليست بالمكان الذي يحق لها فيه أن تسألني عمن حطم الجرة.

آدم : لا، لا يحق لها ذلك قضائيا، بشرفي لا، إن الفتاة تعرف الإجراءات القضائية جيدا، وإذا كانت تريد أن تؤدي اليمين هنا أمام المحكمة، فإن القضية التي رفعتها أمها تسقط، ولا يصح بعد ذلك أن يقدَّم استشكال ضد ذلك.

فالتر: ما رأيك في أقوال ابنتك يا سيدة مارتا؟

السيدة مارتا : يا سيدي المبجل، إني لم أستطع الآن أن أقول شيئا ذا قيمة، فأرجوك صدقني حين أقول إن هذه الصدمة قد شلَّت لساني عن الكلام، إن هناك أمثلة كثيرة على أن الإنسان الضائع يجرؤ على حَلِف الأيمان الكاذبة أمام القضاء، وذلك حتى يسترد كرامته أمام العالم، إلا أن هذه هي المرة الأولى التي يعرف فيها العالم إنسانا يقسم على المذبح المقدس كذبا، وذلك حتى يصل بنفسه مختارا إلى عامود التشنيع، إن صح يا سيدي الكريم أن الذي تسلل إلى

حجرتها أمس هو شخص آخر غير روبرشت، فهذا أمر يمكن أن يحدث في كل مكان، أرجوك لا تسيء فهمي! وعلى ذلك فلن أتلكأ وأماطل هنا بعد الآن، إن صح ذلك يا سيدي فسوف أطردها من المنزل وأقول لها: «اذهبي يا ابنتي، فالعالم يسعك ويؤويك، دون أن تدفعي ثمنا لسكنك، فقد ورثت جمالا وشعرا طويلا تشنقين به نفسك يوما ما، وسوف نعيش لنرى هذا اليوم».

فالتر: اهدئي! اهدئي يا سيدة مارتا!

السيدة مارتا: حيث إنني مقتنعة تماما أن روبرشت وليس أحد غيره هو الذي حطم لي الجرة، وحيث إنني أستطيع أن أقدم الدليل ولكن دون الاستعانة بابنتي التي رفضت أن تقدم لي هذا الصنيع، فإن رغبتي في أن أقسم منكرة ادعاءات ابنتي تذكرني بشيء مشين، إن ليلة الأمس تخفي في طياتها جرما آخر غير مجرد تحطيم الجرة، لابد أن أخبر سيادتك يا سيدي الكريم أن روبرشت قد وقعت عليه قرعة الخدمة الإلزامية في الجيش، وأن عليه أن يؤدي قسم الولاء للعلم في أوترشت، وشباب البلاد كلهم يفرون من أداء الخدمة، وعلى ذلك نفترض أنه قال للفتاة بالأمس: «ما رأيك

يا إيفا؟ هيا بنا فالعالم واسع ورحب، ومعك مفاتيح خزانة المنزل»، هي كانت ستتردد قليلا، وكان الباقي سيتم ويحدث كما حدث بالفعل، وذلك بدافع من الثــأر عنده هو وبدافع من الحب عندها هي.

روبرشت: أنت يا جثة الغراب! ما هذا الكلام الذي تقولينه؟ مفاتيح خزانة المنزل...

فالتر: اهدأ!

إيفا: هيا اخرج من هنا!

فالتر: لنعد إلى الموضوع! الحديث هنا عن الجرة. إثبات! هل لديك إثبات أن روبرشت هو الذي كسر الجرة؟

السيدة مارتا: حسنا يا سيدي الكريم! أريد أولا أن أثبت أن روبرشت هو الذي حطم لي الجرة، ثم أتحرى عن ذلك في المنزل، انظروا! سـأجلب لكم شخصا يشهد في صفي على كل كلمة قالها روبرشت، ولو أني أوجست قبل الحضور إلى المحكمة أن ابنتي لم تدلي بشهادتها لصالحي لكنت أحضرت لكم هذا الشاهد، إنها السيدة بريجتة، آه لو تستدعونها! إنها عمة روبرشت، وتكفيني أقوالها، لأنها ستعترض على النقطة الرئيسية، وذلك لأنها قابلت روبرشت في الحديقة في العاشرة والنصف وهو يتجاذب

أطراف الحوار مع إيڤا، عليكم أن تلاحظوا أن ذلك تم قبل أن تتحطم الجرة، وسوف تدرك بنفسك أيها القاضي عالي المقام كيف تنهار الأكاذيب والخرافات التي يبتدعها روبرشت، إنها ستنهار بالاستعانة بهذه الشاهدة الوحيدة.

روبرشت: من رآني؟

فايت: أختي بريجته؟

روبرشت: رأتني مع إيڤا في الحديقة؟

السيدة مارتا: أجل يا سيادة القاضي، رأته مع إيڤا في الحديقة، في تمام العاشرة والنصف قبل أن يندفع بغتة داخل الحجرة في الحادية عشرة كما ادعى، وكان في حواره معها يدللها مرة ويجذبها مرة، كأنما يريد أن يقنعها بشيء ما مراودا إياها عن نفسها.

آدم: (لنفسه) اللعنة! يا لحظّي السعيد!

ڤالتر: احضروا هذه السيدة!

روبرشت: يا سادة! أرجوكم، هذا كلام غير صحيح، هذا شيء غير جائز.

آدم: آه أيها الوغد، انتظر! أيها الحاجب! يا هانفريد! لقد كسرت الجرة وأنت في طريقك للهرب يا جبان. أيها الكاتب اذهب واحضر لنا السيدة بريجتة!

فايت: اسمع يا شقي يا معلون! ماذا فعلت؟ سوف

أكسر كل عظامك.

روبرشت: ولماذا أنت الآخر؟

فايت : لماذا أخفيت عني أنك كنت تتحدث إلى هذه العاهرة في الحديقة في العاشرة والنصف؟ لماذا أخفيت عني هذا؟

روبرشت: لماذا أخفيت ذلك؟ يا إله السماوات والأرض! لأن ذلك ليس صحيحا يا أبي! وإن شهدت العمة بريجتة على ذلك فاشنقوني! واشنقوها هي الأخرى!

فايت : ولكن إن شهدت عمتك بريجتة بما قالته مارتا، عليك أن تأخذ حذرك أنت وهذه الفتاة الطاهرة! (متهكما) إنكما تتصرفان أمام المحكمة بشكل غريب، إنكما مشتركان في شيء ما، ولابد أن هناك سرا مشينا تعرفه هذه الفتاة ولا تحكي عنه حياء.

روبرشت: سرٌّ؟ أي سرٍّ؟

فايت : لماذا أعددت ملابسك؟ قل! لماذا أعددت ملابسك مساء أمس؟

روبرشت: الملابس؟

فايت : المعاطف والسراويل، أجل والملابس الداخلية، كانت ربطة ملابس، مثل تلك التي يحملها المسافرون على أكتافهم.

روبرشت: لأنه يجب عليّ أن أسافر إلى أوترشت! لأني

لابد أن أذهب إلى فرقتي في الجيش، يا إلهي!
هل تعتقد أني...؟

فايت: إلى أوترشت؟ أجل، أجل إلى أوترشت! لقد كنت في عجلة من أمرك حتى تصل إلى أوترشت! ثم إنك لم تكن تعلم حتى أمس الأول إن كنت ستسافر في اليوم الخامس أو السادس.

ڤالتر: أيها الأب! هل تستطيع أن تدلي بشيء بخصوص هذه القضية؟

فايت: أيها السيد المبجل! إني لا أريد أن ادعي شيئا الآن، لقد كنت في بيتي حين تحطمت الجرة، وحقيقة لم ألحظ أي شيء عن واقعة أخرى تثير الشك حول ابني، وذلك إذا ما استرجعت كل الظروف والملابسات، لقد أتيت إلى هنا وأنا مقتنع تماما ببراءته، لقد أتيت لنفسخ خطوبته من إيڤا بعد الشجار الذي دبَّ بينهما، ولأسترجع له السلسلة الفضية وكذلك النقود التي أعطاها للفتاة عند الخطبة في الخريف الماضي، وإن ظهر الآن، مع شيبتي هذه، أي كلام عن هروب أو خيانة، فهذا كلام جديد على سمعي، تماما كما هو جديد على سمعكم أيها السادة، وإن صحَّ هذا الكلام، فلتتحطم رقبته ولن أبالي!

ڤالتر: أيها القاضي آدم، أحضر السيدة بريجتة إلى هنا!

آدم: ألم ترهق سيادتكم هذه القضية؟ إنها تمتد

وتطول، وما زال أمامكم خزائني وحجرة السجلات. ما الساعة الآن؟

لشت: دقت الساعة منذ لحظة منتصف الـ ...

آدم: الحادية عشرة؟

لشت: عفوا، الثانية عشرة.

فالتر: الأمر سيان.

آدم: أعتقد أن الوقت قد جُنَّ أو أنك أنت الذي جننت أيها الكاتب (ينظر باحثا عن الساعة) ما أكذبني من رجل! نعم، بماذا تأمر سيادتكم؟

فالتر: إني أرى أن...

آدم: أن نرفع الجلسة؟ حسنا!

فالتر: من فضلك! إني أرى أن نستكمل الجلسة.

آدم: هل هذا رأيكم؟... هذا حسن أيضا، وإلا فأقسم بشرفي أني سأنهي هذه القضية بكرة الغد في تمام التاسعة نهاية ترضيكم.

فالتر: إنك تعلم تماما ما أريد يا قاضي القرية.

آدم: كما تأمر سيادتكم، أيها الكاتب، أرسل الحجاب! عليهم الآن أن يحضروا السيدة بريجتة إلى قاعة المحكمة!

فالتر: أيها الكاتب! من فضلك، أرجوك أن تهتم وتعتني بهذه المهمة بنفسك بعض الشيء، حتى توفر عليَّ الوقت الثمين ولا يضيع هباء!

(يخرج لشت من المسرح)

المشهد العاشر

(السابقون من دون لشت، وبعد فترة تدخل بعض الخادمات)

آدم: (واقفا) وحتى يحضر الكاتب لشت السيدة بريجته نستطيع، إن سمحت لنا، أن نستريح ونهوِّي أنفسنا من تلك المقاعد.

فالتر: (مهمهما) أجل، أجل، في الواقع أن ما كنت أود أن أقوله ...

آدم: هل تسمح أيضا أن ينتظر المتخاصمون في الخارج حتى تحضر السيدة بريجته؟

فالتر: ماذا؟ المتخاصمون؟

آدم: أجل، أمام الباب إن...

فالتر: (لنفسه) أيها الملعون!

(ثم بصوت عال) أقول لك شيئا أيها القاضي آدم، أعطني كأسا من النبيذ، أشربها حتى تحضر السيدة بريجته.

آدم: بكل سرور يا سيادة المستشار، يا مارجريتا! إنك لتسعدني حقا بهذا الطلب يا سيدي المبجل، مارجريتا!

(تظهر الخادمة على المسرح)

الخادمة: ها أنا ذا.

آدم: بماذا تأمر يا سيدي المستشار؟ اخرجوا أنتم الآن أيها الناس من قاعة المحكمة! هل تريد نبيذا فرنسيا؟ اخرجوا إلى القاعة الأمامية! أم تريد نبيذ وادي الراين؟

فالتر: نبيذ الراين.

آدم: حسنا يا سيدي. هيا إلى الخارج بسرعة حتى أنادي عليكم!

فالتر: إلى أين؟

آدم: من البرميل المبرشم! اذهبي يا مارجريتا! ماذا بكم؟ هيا انصرفوا الآن إلى الممر الخارجي! ها هو المفتاح يا مارجريتا.

فالتر: (مهمهما) لا تخرجوا!

آدم: أقول هيا إلى الخارج بسرعة. هيا اذهبي يامارجريتا! واحضري لنا شيئا من الزبد الطازج وجبن ليمبورج وقطعة من أوزة «پومر» السمينة المدخنة!

فالتر: قفي! لحظة واحدة! أرجوك رجاء حارا أيها القاضي، لا تحضر أشياء كثيرة وتعقد الأمور هنا!

آدم: تحركي يا مارجريتا وافعلي ما قلت! هيا تحركي عليك اللعنة!

فالتر: هل تدع الناس ينصرفون أيها القاضي؟

آدم: ماذا تقول يا سيدي؟

ڤالتر: إني أسألك إن كنت...

آدم: لو أذنت يا سيادة المستشار، سيخرجون فقط حتى تحضر السيدة بريجته إلى هنا، ما قولك؟ أو هل من المفروض أن...

ڤالتر: (مهمهما) كما تريد أيها القاضي آدم، إلا أني أود أن أتساءل إن كان الأمر يستحق كل هذا العناء، هل تعتقد أن وقتا طويلا سيمر قبل أن تحضر السيدة بريجته؟

آدم: يا سيدي المستشار، اليوم هو يوم الاحتطاب، ومعظم النساء ذهبن يجمعن الحطب من غابات الشربين، وربما...

روبرشت: إن عمتي في منزلها الآن.

ڤالتر: في منزلها؟ ليكن...

روبرشت: إنها ستحضر حالا.

ڤالتر: ستأتي إلينا حالا، من فضلك أيها القاضي أحضر النبيذ.

آدم: (لنفسه) اللعنة!

ڤالتر: أسرع! أرجوك لا تحضر شيئا يؤكل غير قطعة من الخبز الجاف وشيء من الملح فقط!

آدم: (لنفسه) آه لو تحدثت مع هذه العاهرة على انفراد! (ثم بصوت عال) يا إلهي! خبز جاف! ماذا؟ ملح! هل هذا ينفع؟

ڤالتر: بالطبع.

آدم: (مندهشا) على الأقل قطعة من جبن ليمبورج.. فالجبن يمكن اللسان من تذوق النبيذ.

ڤالتر: حسنا، إذن قطعة من الجبن، ولكن لا شيء غير ذلك!

آدم: هيا اذهبي يا مارجريتا! وغطي الأشياء بالمفرش الأبيض! صحيح هي ليست بالأشياء الثمينة، إلا أنها تؤدي الغرض. (تخرج الخادمة من المسرح) إن ميزتنا نحن معشر العُزَّاب، أصحاب السمعة السيئة، أننا نستهلك مع أصدقائنا في ساعة واحدة ما يُضطر الآخرون في عوز واحتياج أن يتقاسموه يوميا مع زوجاتهم وأطفالهم.

ڤالتر: كنت أود أن أسألك، فإنك لم تخبرني بعد، كيف جُرِحْتَ أيها القاضي آدم؟ فهذا الخُرم الذي في رأسك عميق جدا.

آدم: لقد وقعت.

ڤالتر: وقعت، هكذا! ومتى كان ذلك؟ مساء أمس؟

آدم: في الخامسة والنصف يا سيدي، عفوا، في الصباح الباكر اليوم عندما أردت أن أغادر فراشي.

ڤالتر: سقطت فوق ماذا؟

آدم: فوق.. يا سيدي مستشار القضاء المبجل، إني أقول الحقيقة حين أقول إني سقطت فوق

نفسي، لقد سقطت وارتطمت رأسي بالمدفأة، ولا أعرف حتى هذه الساعة كيف تم ذلك.

فالتر: ارتطمت رأسك من الخلف؟

آدم: ماذا؟ من الخلف.

فالتر: أو من الأمام؟ إن بك جرحين، أحدهما في مقدمة رأسك والآخر في قفاك.

آدم: في المقدمة والقفا.. أنت يا مارجريتا!

(تظهر الخادمتان حاملتين النبيذ والأشياء الأخرى، وتزيحان الغطاء عنها ثم تنصرفان خارجتين من المسرح)

فالتر: كيف حدث ذلك؟

آدم: أولا هكذا ثم بعد ذلك هكذا، أولا وقعت على حرف المدفأة فجرحت في جبهتي، ثم ارتددت من شدة الصدمة في المدفأة ساقطا على الأرض حيث ارتطم قفاي بها بشدة، (يصب النبيذ في الكؤوس) هل تود أن أشرح لك أكثر من ذلك؟

فالتر: (وهو يأخذ الكأس) لو كنت متزوجا لصدقت عنك أشياء عجيبة يا قاضي القرية.

آدم: لماذا؟

فالتر: أجل وأقسم على ذلك! فإني أرى خدوشا في كل وجهك ورأسك.

آدم: (ضاحكا) لا والحمد لله، ليس هذا من أثر

أظافر النساء.

فالتر: أصدقك، وهذه أيضا ميزة أخرى لمعشر العُزَّاب.

آدم: (يستمر في الضحك) هذه الخدوش من آثار شجرة يتغذى على أوراقها دود القز، لقد وضعها أحدهم بجانب مدفأتي لتجف، في صحتك! (يشربان).

فالتر: واليوم بالذات تفقد الباروكة بطريقة عجيبة، كانت ستغطي لك جروحك.

آدم: أجل، أجل. فالمصائب تأتي دائما مجتمعة. هل لي أن أقدم لك شيئا من هذا الجبن الدسم؟

فالتر: قطعة صغيرة!

هل هذا الجبن من ليمبورج؟

آدم: أجل يا سيدي، لقد جاء توا من ليمبورج.

فالتر: ولكنك...، ياللعنة! لم تقل لي كيف حدث ذلك.

آدم: ماذا؟

فالتر: كيف فقدت الباروكة؟

آدم: أجل، كنت مساء أمس جالسا أقرأ مسرحية، ولأني لم أعثر على النظارة، ولأن أحداث المسرحية شدتني فانحنيت برأسي بجوار الشمعة، أمسكت ألسنة اللهب المشتعلة بالباروكة، لقد ظننت أن النار تسقط من السماء على رأسي الآثم، فأمسكت بالباروكة،

وأردت أن أرميها بعيدا عني، ولكن قبل أن أفك رباط القفا كانت الباروكة قد احترقت مثل سدوم وعمورة (٢٢) واستطعت بالكاد أن أنقذ الثلاث شعرات الباقية على رأسي.

فالتر: اللعنة! والباروكة الأخرى في المدينة؟

آدم: عند صانع الشعر المستعار. دعنا نرجع إلى موضوعنا!

فالتر: أيها القاضي آدم، أرجوك، لا تكن في عجلة من أمرك هكذا!!

آدم: رباه! ماذا! إن الزمن يجري، ها هي كأس أخرى.

(يصب للمستشار كأسا أخرى)

فالتر: إنه إذن ليبرشت، إن كان روبرشت المضحك هذا قد قال الحق، فهو أيضا قد ارتكب خطأ كبيرا.

آدم: أقسم على ذلك بشرفي! (يشرب من الكأس).

فالتر: إن استمرت القضية غامضة كما أتخوف من ذلك، فسيكون في مقدوركم في مكانكم هذا أن تكتشفوا المتهم بكل سهولة عن طريق جروحه (يشرب من الكأس). هل هذا النبيذ من بلدة نيرشتاين؟

آدم: ماذا؟

فالتر: أم هو نوع جيد من أوبنهايم؟

آدم : إنه من نيرشتاين، انظر! بشرفي إنك لزواقة يا سيادة المستشار! إنه من نيرشتاين يا سيدي، كأنما أحضرته بنفسي.

ڤالتر: لقد ذقته منذ ثلاث سنوات في بلدة على نهر الكلتر.

(آدم يملأ الكأس مرة أخرى) ما ارتفاع نافذتك؟ أنت، أخاطبك أنت يا سيدة مارتا!

السيدة مارتا : نافذتي أنا؟

ڤالتر: نافذة تلك الحجرة التي تنام فيها الفتاة.

السيدة مارتا : صحيح أن الحجرة في الطابق الأول ويوجد تحتها كرار، وأن النافذة لا ترتفع عن الأرض أكثر من تسعة أقدام، إلا أن الوضع برُمَّته غير ملائم للقفز بالمرة، لأن هناك شجرة عنب تبعد قدمين عن الحائط وتمدُّ فروعها خلال التكعيبة، فتتسلق هذه الفروع على الحائط كلها، لقد التفَّت هذه الفروع حول النافذة نفسها حتى إنَّ ذكر الخنزير القوي الشرس يجد صعوبة كبيرة في اختراق هذه الفروع والنفاذ منها لو كان الصيادون يطاردونه.

آدم : ولم يعلِّق أحدٌ قط بهذه التكعيبة (يملأ لنفسه كأسا).

ڤالتر: أتعني ذلك حقا؟

آدم : دعني وشأني بالله عليك! (يشرب من الكأس)

فالتر: (قائلا لروبرشت) كيف أصبت هذا المتهم الآثم على رأسه؟

آدم: هل لك من مزيد؟

فالتر: دع هذا!

آدم: اعطني كأسك!

فالتر: إنها لا تزال مليئة حتى نصفها.

آدم: أريد أن أملأها.

فالتر: لقد سمعتني.

آدم: رباه، حتى نصل إلى العدد الطيب.

فالتر: أرجوك.

آدم: كلاًّ، كلاًّ! تبعا لقاعدة فيثاغورس[٢٣] (يصب له في كأسه ثانية).

فالتر: (يتوجه بالحديث ثانية لروبرشت) كم مرة ضربت هذا المتهم الآثم على رأسه؟

آدم: واحد هو الرب، اثنان هي الفوضى المظلمة، ثلاثة هو العالم، إني أفضل ثلاث كؤوس، ففي الكأس الثالثة يشرب المرء مع قطرات النبيذ شموسا ومع الأخريات يشرب قباب السماء.

فالتر: كم مرة ضربت المتهم الآثم على رأسه؟ إني أسألك أنت يا روبرشت!

آدم: هل سنسمع هذا منك؟ كم مرة ضربت هذا الآثم، هيا قل! رباه! أترون، هل يعرف هذا الشخص بنفسه إن كان... هل نسيت؟

روبرشت: كم مرة ضربته بسقاطة الباب؟

آدم: نعم، أو بشيء آخر لا أعرفه.

ڤالتر: حين تعلقت وراءه في النافذة.

روبرشت: ضربته مرتين أيها السادة.

آدم: أيها الوغد! إن أثرهما باق! (يشرب من كأسه).

ڤالتر: مرتين، لقد استطعت أن تضربه ضربتين قاتلتين، هل تعرف إن...؟

روبرشت: لو كنت قتلته، لكان الآن في يدي، ولكان هذا هو عيّن مرادي، لو كان راقدا أمامي الآن، ميتا، لاستطعت أن أقول: «هذا هو المتهم أيها السادة، إني لم أكذب عليكم».

آدم: أجل، ميتا، إني أعتقد ذلك ولكن هكذا... (يصب لنفسه نبيذا)

ڤالتر: ألم تستطع أن تتعرف إليه في الظلام؟

روبرشت: لم ألمحه قط يا سيدي المبجل، وكيف يتسنى لي هذا؟

آدم: ولماذا لم تفتح عينيك جيدا؟ في صحتك يا سيدي المستشار!

روبرشت: أفتح عيني! لقد فتحتها جيدا، ولكن هذا الشيطان قذفني بالرمل وامتلأت عيناي رملا.

آدم: (ممسكا بلحيته) امتلأت رملا، أجل! ولكن لماذا لم تفتح عينيك الواسعتين جيدا؟ في صحة كل من نحبهم يا سيدي المبجل!

فالتر: لنشرب نخب العدالة والطيبة والوفاء أيها القاضي آدم!

(يشربان)

آدم: والآن، للمرة الأخيرة، إن سمحتم؟

(يصب نبيذا)

فالتر: يا قاضي القرية، إنك تذهب أحيانا إلى منزل السيدة مارتا، قل لي إذن مَنْ غير روبرشت اعتاد أن يدخل ويخرج من هذا البيت؟

آدم: لا أذهب كثيرا إلى هناك يا سيدي المبجل، وعفوا فإني لا أستطيع أن أخبر سيادتكم من يدخل ويخرج من هذا البيت.

فالتر: كيف هذا؟ ألم تقل إنك كنت أحيانا تزور أرملة صديقك المرحوم.

آدم: لا، الحقيقة أن ذلك شيء نادر الحدوث.

فالتر: يا سيدة مارتا! هل أفسدت علاقتك بالقاضي آدم؟

إنه يقول إنه لم يعد يزورك.

السيدة مارتا: أنا أفسدت علاقتي به؟ لم يحدث شيء من هذا يا سيدي المبجل، وأظن أنه ما زال يعدُّ نفسه صديقا عزيزا لي، إلا أنني لا أستطيع أن أدعي أنني أرى ابن عمي القاضي كثيرا في منزلي، لقد مضت تسعة أسابيع على آخر مرة دخل فيها منزلي، وقد كانت أيضا مجرد زيارة

قصيرة.

فالتر: ما الذي تقولين؟

السيدة مارتا: ماذا؟

فالتر: تقولين تسعة أسابيع؟

السيدة مارتا: تسعة، أجل، وتكتمل عشرة يوم الخميس القادم، يومها كان يطلب مني بذور القرنفل وزهور الربيع الأذينية.

فالتر: وأيام الآحاد، حين يذهب إلى النجع؟

السيدة مارتا: أجل، في أيام الآحاد يطل علينا من النافذة وهو بالخارج ويقول: «نهاركم سعيد» لي ولابنتي، إلا أنه يتابع السير في طريقه بعد ذلك.

فالتر: (لنفسه) هل من المفروض أيضا أن... (يشرب من كأسه) لقدظننت أنك تزور الأم كثيرا حتى تشكرها، إلا أنك أحيانا تحتاج إلى مساعدة الفتاة ونصائحها فيما يختص بحظيرة طيورك.

آدم: كيف يا سيدي المبجل؟

فالتر: كيف؟ لقدقلت لي إن الفتاة ترعى لك دجاجاتك التي تمرض في الحظيرة، ألم تسد إليك اليوم بالنصح في هذا الموضوع؟

السيدة مارتا: أجل، إنها تفعل ذلك حقا يا سيدي المجبل، لقد أرسل لها أول أمس ديكا مريضا يظهر على جسمه علامات الموت، وأنقذت له قبل عام

ديكا آخر كان يعاني من التهابات في لسانه ومنقاره، وهذا الذي أرسله أول أمس سوف تعالجه بالعجين، وعلى الرغم من ذلك لم يأت حتى الآن ليشكرنا.

فالتر: (متحيرا) صب لي أيها القاضي آدم! من فضلك صب لي الآن! أريد أن أحتسي كأسا أخرى.

آدم: في خدمتك يا سيدي! إنك لتسعدني بذلك! ها هو النبيذ.

(يصب لمستشار القضاء)

فالتر: في صحتك! سوف يزورك القاضي آدم إن آجلا أو عاجلا يا سيدة مارتا.

السيدة مارتا: أهذا هو رأيك؟ إني أتشكك في ذلك، لأني لو كنت أملك نبيذا من نيرشتاين، مثل هذا الذي تشربونه، والذي كان زوجي المرحوم يشربه من وقت لآخر، لو كان عندي هذا النبيذ لأقدمه لابن عمي القاضي، لكانت الحال غير ذي الحال، ولكني يا سيدي لا أملك شيئا، أنا الأرملة الفقيرة، ليس في منزلي شيء يستهويه.

فالتر: هذا أفضل لك.

المشهد الحادي عشر

(لشْت، السيدة بريجته وفي يدها الباروكة، الخادمتان تظهران على المسرح، السابقون)

لشت : ها هي السيدة بريجته، ادخلي!

فالتر: هل هذه هي السيدة المطلوبة أيها الكاتب لشت؟

لشت : أجل، هي السيدة بريجته يا سيدي.

فالتر: إذن دعونا ننهي هذه القضية، أيتها الخادمات! ارفعن هذه الأشياء من هنا!

(تأخذ الخادمات الكؤوس والزجاجات ويخرجن من المسرح)

آدم : (في أثناء خروج الخادمات يهمس آدم لإيڤا) والآن يا عزيزتي إيڤا، اسمعي وعي كلامي جيدا! عليك أن تحكي الحكاية بشكل مقبول! وكما تقتضي أصول الأدب واللياقة فسوف آتي إليك اليوم لنتناول العشاء، لابد أن يصدق المستشار اللعين هذه الحكاية ويبتلعها، وإن لم يبلعها لسبب أو لآخر فليتذوق الموت بدلا منها.

فالتر: (يلمح الباروكة) لماذا تحضر لنا السيدة بريجته باروكة؟

لشت : سيدي المبجل؟

فالتر: إني أتساءل لماذا تحضر لنا هذه السيدة باروكة؟

لشت: (يهمهم).

فالتر: ماذا؟

لشت: عفوا يا سيدي!

فالتر: سوف أعرف بنفسي.

لشت: لو تكرمت يا سيدي المبجل، سوف نتبين من هو صاحب هذه الباروكة، وكذلك باقي الموضوع، وذلك إذا طرحت أسئلتك للسيدة بريجته عن طريق السيد القاضي، إني لا أشك في ذلك أبدا.

فالتر: لا أريد أن أعرف من هو صاحب الباروكة، ولكن كيف وقعت هذه الباروكة في يدي هذه السيدة؟ أين وجدتها؟

لشت: لقد و جدت السيدة بريجته هذه الباروكة يا سيدي المبجل على تكعيبة العنب عند منزل السيدة مارتا، كانت عالقة في التكعيبة تماما كعش العصافير العالق بين الفروع المتداخلة لشجرة العنب، على مسافة قصيرة من نافذة الحجرة التي تنام فيها الفتاة.

السيدة مارتا: ماذا؟ عندي؟ في التكعيبة؟

فالتر: (خفية) أيها القاضي آدم! إن كان عندك سِرٌّ تبوح لي به، فإني أرجوك بشرف القضاء أن

تتلطف وتبوح لي بهذا السرّ.

آدم: أنا أبوح لك بسرّ؟

ڤالتر: لا؟ أليس عندك...؟

آدم: أقسم بشرفي!

(القاضي يمسك بالباروكة)

ڤالتر: أليست هذه هي باروكتك؟

آدم: يا سيدي، إن هذه الباروكة ملكي! اللعنة! إنها هي، لقد أعطيتها للولد قبل ثمانية أيام حتى يذهب بها إلى ميل صانع الشعر المستعار في أوترشت.

ڤالتر: لمن؟ ماذا؟

لشت: أعطيتها لروبرشت؟

روبرشت: لي أنا؟

آدم: أيها الوغد!

ألم أأتَمِنْكَ على باروكتي وأعطيتك إياها قبل ثمانية أيام حتى توصلها إلى الحلاق ليمشطها؟

روبرشت: هل أنت...؟ لقد تذكرت الآن، لقد أعطيتني...

آدم: لماذا لم تسلِّم الباروكة أيها الصعلوك؟ لماذا لم تسلِّمها لميل في الورشة كما أمرتك؟

روبرشت: لماذا لم...؟ اللعنة! لقد سلمتها في الورشة، تسلمها مني ميل بنفسه.

آدم: تقول إنك سلَّمتها وهي عالقة في تكعيبة العنب عند منزل السيدة مارتا؟ آه أيها المنحط

الحقير! انتظر! لن تفلت بهذه الطريقة، إني أشعر أن وراء فعلتك هذه نوعا من التنكر والتخفي، وكذلك تمرد وعصيان ولا أعرف ماذا أيضا. هل تسمح لي يا سيدي أن أبدأ التحقيق مع السيدة بريجته الآن؟

فالتر: أيها القاضي آدم! هل الباروكة...؟

آدم: يا سيدي المبجل، عندما سافر هذا الفتى يوم الثلاثاء الماضي إلى أوترشت مع ثيران أبيه، مرَّ عليَّ في مقر المحكمة وقال: «سيدي القاضي آدم، هل لك طلب في مدينة أوترشت؟» فقلت له: «إن كنت تود أن تقدم لي صنيعا يا ولدي، فدع ميل يمشط لي الباروكة!» لم أقل له «اذهب واحتفظ بها لنفسك، وتنكر فيها من وراء ظهري، واتركها عالقة بتكعيبة العنب عند منزل السيدة مارتا!».

السيدة بريجته: رحماكم أيها السادة! لم يكن روبرشت هو ذلك الشخص المتهم، لأني عندما خرجت ليلة أمس متوجهة إلى النجع لأزور خالتي المريضة، سمعت الفتاة إيفا تنهر شخصا ما في الحديقة الخلفية بصوت منخفض، ويبدو أن الغضب والخوف قد حبسا صوتها: «خسئت! ألا تخجل من نفسك أيها الوغد الحقير، ماذا تفعل هنا؟ اذهب! اذهب وإلا سأنادي أمي!» حدث ذلك

كما لو كان الإسبان قد اقتحموا البلاد، بعد ذلك ناديت أنا عبر سور الحديقة: «إيڤا! يا إيڤا! ماذا بك؟ وما الذي يجري عندك؟» ثم ساد الصمت برهة، فقلت لها: «والآن هل ستردين عليّ؟» قالت: «ماذا تريدين يا خالتي؟» سألتها مرة أخرى: «ماذا تفعلين عندك؟» فردت قائلة: «ماذا أفعل؟» فسألتها مرة أخرى: «هل روبرشت هو الذي تنهرين؟» فقالت في دهشة: «أجل، إنه روبرشت، لا عليك من هذا، فقط تابعي سيرك!» فقلت لها: «حسنا، افعلي ما شئتِ!» فإني أظن أن المتحابين دائما يتعاركون.

السيدة مارتا: ثم ماذا؟

روبرشت: ثم ماذا؟

ڤالتر: اصمتوا! دعوا المرأة تنهي أقوالها!

السيدة بريجته: ولما كنت عائدة من النجع في منتصف الليل تقريبا وكنت سائرة في طريق شجر الزيزفون عند حديقة منزل السيدة مارتا، إذا بشخص يهرع مارا بي، كان شخصا أصلع ذا قدم مشوهة، وخلَّف وراءه رائحة كريهة، رائحة كريهة تشبه رائحة دخان الزفت والمياه الكبريتية العفنة، فصحت قائلة: «أعوذ بالله!» ثم استدرت والرعب يملأني فرأيت... يا إلهي! رأيت الصلعة أيها السادة، رأيتها وهي تهرب

مضيئة طريق شجر الزيزفون، كان هذا الشخص يهرع بطريقة تبعث على الشك.

روبرشت: ماذا؟ يا إله السماوات!

السيدة مارتا: هل أنت مجنونة يا بريجتة؟

روبرشت: اللعنة! هل تقصدين أنه...؟

لشت: الهدوء! الهدوء!

السيدة بريجته: يا إلهي! إني أعرف تماما ما الذي رأيت وشممت.

ڤالتر: (وقد نفد صبره) لا أريد أن أعرف يا امرأة إن كان من رأيت هو الشيطان، فمثله لا تقدم ضده شكوى... شكوى كيدية، إن كنت تستطيعين أن تبلغي عن شخص آخر فهذا شيء طيب، أما ذلك الشيطان الآثم فاعفينا من ذكره.

لشت: هل تريد يا سيدي أن تنهي هذه المرأة أقوالها؟

ڤالتر: يا لغباء هذا الشعب؟

السيدة بريجته: حسنا، حسنا، كما تأمرون، ولكن السيد لشت كاتب المحكمة هو شاهدي.

ڤالتر: ماذا؟ شاهدك؟

لشت: أجل يا سيدي، إلى حد ما.

ڤالتر: يا إلهي! إني لا أعرف...

لشت: أرجوك بكل تواضع يا سيادة مستشار القضاء ألا تقاطع السيدة في أثناء إدلائها بأقوالها، أنا لا أدعي أنه كان الشيطان، إلا أنه كان أصلع

وقدمه مشوهة، وإن صدق ظني فقد خلّف وراءه دخانا، كل هذا الكلام صحيح تماما .. أكملي يا امرأة!

السيدة بريجته : وحين علمت اليوم بما حدث عند السيدة مارتارل، وكنت في دهشة بسبب ذلك، أردت أن أعرف أخبار محطم الجرة هذا الذي قابلني ليلة أمس عند تكعيبة العنب، فبحثت في المكان الذي قفز فيه، ووجدت في الثلج أثرا، أثرا في الثلج أيها السادة، أي أثر وجدت في الثلج؟ آثار الأقدام، ناحية اليمين، واضحة كل الوضوح، وهي آثار قدم إنسان عادية، أما الناحية اليسرى فكان شكل الأثر مشوها، كما لو كان الأثر لقدم حصان ضخمة جدا!

فالتر : (ثائرا) ما هذا الهراء الذي يستوجب اللعنة!

فايت : ليس هذا ممكنا يا امرأة!

السيدة بريجته : أقسم بشرفي! إن كنتم غير مصدقين فيمكنكم أولا أن تروا أثر القفزة عند تكعيبة العنب، وهو عبارة عن دائرة واسعة من الثلج المسحوق، تماما كما لو كانت أنثى الخنزير قد تمرغت فيها، وبداية من هذه الدائرة نجد آثار قدم إنسان وقدم حصان، نعم قدم إنسان وقدم حصان، ويمر هذا الأثر من خلال الحديقة وإلى ما لا نهاية.

آدم: اللعنة! تُرى هل سمح هذا الجبان لنفسه أن يتخفى بطريقة شيطانية؟

روبرشت: ماذا! أنا!

لشت: اصمتوا! اصمتوا!

السيدة بريجته: إن الصياد الذي يفتش عن حيوان الغُرَيْر(*) ويكتشف أثره لا يغتبط بنجاحه أكثر مني الآن، وأقول إن كاتب المحكمة السيد لشت هو شاهدي لأني قلت له حين أرسلتموه ليستدعيني: «أيها الكاتب لشت، وفر على نفسك تعب الجلسة! فإنك لن تحاكم الذي حطم الجرة، لأنه يجلس الآن، وحاله ليست أحسن مما لو كان في جهنم، ها هي آثار الأقدام».

فالتر: وهكذا اقتنعت تماما بما تقوله المرأة؟

لشت: يا سيدي مستشار القضاء، السيدة بريجته معها كل الحق فيما يتعلق بآثار الأقدام.

فالتر: قدم حصان؟

لشت: بل هي قدم إنسان ولكنها تقريبا تماثل شكل حدوة الحصان.

آدم: يا إلهي! تبدو المسألة وكأنها جادة أيها السادة، هناك كتب كثيرة تجدّف ولا تعترف بوجود الرب، ولكن ليس هناك أحد من الملحدين

(*) حيوان ثديي قصير القوائم يحفر في الأرض ثقبا كبيرا يسكن فيه ويتعقبه الصيادون للحصول على فروه.

استطاع أن يثبت بطريقة مقنعة عدم وجود الشيطان، يبدو أن القضية التي أمامنا تستحق مناقشات ومداولات خاصة، وعلى ذلك فإني أعرض عليكم اقتراحا، علينا أن نسأل هيئة التشريع في المجلس الكنسي إن كان مصرحا للمحكمة أن تفترض أن الشيطان هو الذي حطم الجرة، وذلك قبل أن نصدر الحكم.

فالتر: إنه اقتراح توقعته منك فعلا أيها القاضي، وأنت أيها الكاتب، ما رأيك في هذا الاقتراح؟

لشت: لن نحتاج يا سيدي المجلس الكنسي حتى نصدر حكما، وأنت يا سيدة بريجته - إن أذنت لي يا سيدي المستشار - أكملي أقوالك! وأتمنى أن تتضح القضية بهذا الأسلوب وعن طريق ربط المعلومات بعضها ببعض.

السيدة بريجته: وبعد ذلك طلبت من السيد لشت أن يدعنا كي نتتبع الأثر قليلا لنرى في أي اتجاه يمكن أن يكون هذا الشيطان قد اختفى، فرد عليَّ السيد لشت قائلا: «حسنا يا سيدة بريجته، إنها فكرة طيبة، لأننا لن ندور كثيرا حول أنفسنا حين نذهب إلى قاضي القرية آدم».

فالتر: والآن؟ هل انكشف الـ...؟

السيدة بريجته: فوجدنا أولا، وخارج الحديقة في طريق شجر الزيزفون، وجدنا المكان الذي ارتطم فيه

الشيطان بالأرض وقتما كانت الأبخرة الكبريتية تنبعث منه، هي الدائرة التي تحدثت عنها قبل قليل، آه! كم من المخزي أن ينسحب الكلب عندما تقف القطة أمامه مدافعة عن نفسها!

فالتر: ثم ماذا؟

السيدة بريجته: غير بعيد عن هذا المكان يوجد تذكار من هذا الشيطان معلق على الشجرة، وإني أخاف أن أقترب منه.

فالتر: تذكار؟ كيف هذا؟

السيدة بريجته: كيف؟ أجل، إنكم سوف...

آدم: (لنفسه) اللعنة! سروالي!

لشت: هيا أكملي يا سيدة بريجته من فضلك! هيا أكملي أرجوك!

فالتر: أريد أن أعرف إلى أين يقود الأثر!

السيدة بريجته: إلى أين؟ يا إلهي! إنه أقصر طريق إليك، تماما كما قال السيد الكاتب لشت.

فالتر: الطريق إلينا؟ إلى هنا؟

السيدة بريجته: أجل، الأثر يبدأ من طريق شجر الزيزفون،ثم حقل عمدة القرية، ثم شاطئ بركة سمك الشبُّوط، ثم الجسر الصغير، ثم عبر المدافن، ثم إلى هنا، وأنا أعني ما أقول، إلى السيد آدم قاضي القرية.

فالتر: يقود الأثر إلى السيد آدم قاضي القرية؟

آدم: إلى هنا؟ إليَّ؟

السيدة بريجته: أجل إليك!

روبرشت: هل يمكن أن يكون هذا الشيطان قاطنا في دار القضاء؟

السيدة بريجته: يا إلهي! إني لا أعرف إن كان يسكن في هذه الدار، بلى هنا، إني غير صادقة تماما، لابد أن أقول إنه يسكن هذه الدار مؤقتا، لأن الأثر ينتهي خلف الدار عند عتبة الباب.

آدم: ربما يكون قد مرَّ من هنا؟

السيدة بريجته: أجل، أو يكون قد مرَّ من هنا، هذا أيضا جائز، فالأثر عند الباب الأمامي...

ڤالتر: هل كان هناك أثر عند الباب الأمامي؟

لشت: عفوا يا سيدي، عند الباب الأمامي لا يوجد أي أثر.

السيدة بريجته: أجل يا سيدي، فالطريق أمام الدار مدهوس ولا أثر البتَّة.

آدم: الطريق مدهوس، أو يكون هذا الشيطان قد مرَّ منها، انتبهوا إليَّ! أكون نذلا سافلا إن لم يكن هذا الشيطان قد ألحق الضرر بالقوانين هنا، لست في حاجة لأن أدَّعي الشرف أمامكم، إن وجدتم حجرة السجلات عفنة، أو إن وجدتم حساباتي مليئة بالفوضى، وهذا ما لا أشك فيه، أقسم بشرفي أنني لا أتحمل مسؤولية أي شيء.

فالتر: ولا أنا أيضا. (يهمهم ويقول لنفسه) لا أعرف إن كانت القدم اليسرى أم القدم اليمنى هي التي لها شكل الـ... (ثم بصوت مرتفع) أيها القاضي! عُلبتك لو تكرمت!

آدم: العُلبة؟

فالتر: أجل العُلبة، أعطني إياها!

آدم: (متوجها بالحديث للكاتب) أعط سيادة المستشار العُلبة!

فالتر: لماذا تعقد الأمور؟ إنها تحتاج خطوة واحدة فقط.

آدم: لقد وقف لشت بالفعل، أعط سيادته العُلبة!

فالتر: كنت أود أن أهمس لك بشيء في أذنك.

آدم: ربما بعد الآن تحين فرصة لذلك...

فالتر: هذا حسنٌ أيضا!

(وبعدما يجلس الكاتب لشت في مكانه)

أخبروني أيها السادة، هل هناك أحدٌ في بلدتكم هذه أقدامه بها عيوب خلقية؟

لشت: (يهمهم) بالفعل يوجد شخص هنا في هويزروم قدمه مشوهة.

فالتر: هكذا؟ ومن هو؟

لشت: لو تكرمت سيادتك وسألت القاضي!

فالتر: اسأل القاضي آدم؟

آدم: لا أعرف شيئا عن هذا، إني أعمل هنا منذ

عشر سنوات في منصب قاضي قرية هويزوم، وعلى قدر علمي فإن الجميع هنا قد نموا وكبروا بطريقة طبيعية.

فالتر: (متحدثا إلى الكاتب لشت) والآن؟ من الذي تقصد إذن؟

السيدة بريجته: عليك أن تخرج قدميك! لماذا تخبئها هكذا تحت المكتب وأنت في ذهول وشرود، لدرجة أن المرء يمكن أن يعتقد أنك أنت صاحب الأثر.

فالتر: من؟ القاضي آدم؟

آدم: أنا؟ الأثر؟ هل أنا ذلك الشيطان؟ هل هذه قدم حصان؟ (يظهر قدمه اليسرى)

فالتر: أقسم أن قدمه ليس بها شيء، (يقول للقاضي في الخفاء) لابد أن تنهي هذه القضية حالا!

آدم: إن كان للشيطان قدم كهذه فإنه يستطيع أن يذهب إلى حفلات الرقص ويرقص.

السيدة مارتا: إني أرى ذلك أيضا، أين سيذهب قاضي قريتنا لو...

آدم: هراء! أنا!

فالتر: قلت لك لابد أن تنهي هذه الجلسة حالا!

السيدة بريجته: أظن أن هذه الأُبَّهة هي التي تبعث على الشك أيها السادة!

آدم: أبهة؟ أي أبهة؟

السيدة بريجته: هذه الباروكة! من منكم أيها السادة رأى

الشيطان في مثل هذه الأبهة؟ إنها كبيرة وضخمة ومكتظة بالدهون اكتظاظا لا تدانيها باروكة الأسقف وهو على منصته.

آدم: يا سيدة بريجته! إننا هنا في بلادنا لا نعرف بالضبط ما هي آخر صيحة في أزياء جهنم، ولكن يُقال إن الشيطان يظهر بشعره الطبيعي في العادة، إلا أنني مقتنع تماما بأنه يرتدي باروكة عندما يظهر على الأرض حتى يتخفى بين كرام الناس.

ڤالتر: أيها السافل المنحط! إنك تستحق أن يرميك هؤلاء الناس من المحكمة بشكل مُزْرٍ ومهين، ولكن الشيء الوحيد الذي يحميك الآن هي كرامة وشرف القضاء، ارفع هذه الجلسة!

آدم: إنني أتمنى...

ڤالتر: ليس لك الآن أن تتمنى شيئا، عليك أن تنسحب من القضية!

آدم: هل تعتقد سيادتك أنني فقدت باروكتي في تكعيبة العنب؟ أنا؟ القاضي؟ أمس؟

ڤالتر: ليحفظنا الله من شر ذلك! لقد احترقت باروكتك أمس مثل سدوم وعمورة.

لشت: عفوا يا سيدي المبجل! بل وضعت القطة صغارها في باروكة القاضي آدم.

آدم: أيها السادة! إن كانت الظواهر كلها تلعنني

وتقذف بهذه التهمة عليَّ، فأرجوكم ألا تتعجلوا، إما أن أكون شريفا أو أن أكون غارقا في الدنس والعهر، ومادامت الفتاة صامتة ولا تتكلم، فإني لا أفهم أبدا بأي وجه حق تتهمونني بهذه الجريمة، فأنا الآن جالس على مقعد القضاء في هويزوم وها هي الباروكة أضعها على المنضدة: من يدعي منكم أنها ملكي فسوف أقاضيه أمام المحكمة العليا في أوترشت.

لشت: (يهمهم) يا إلهي! بل تناسبك تماما، كما لو كان شعرها قد نما على رأسك. (يلبسه إياها).

آدم: كذب وافتراء!

لشت: أليس كذلك؟

آدم: إنها كبيرة ولا تناسبني أبدا، إنها تتدلى على كتفي كما لو كانت معطفا وليست باروكة.
(يرى نفسه في المرآة)

روبرشت: يا لك من إنسان عجيب!

فالتر: اصمت يا فتى!

السيدة مارتا: يا لك من قاض ملعون!

فالتر: قلت لك وها أنا ذا أقولها مرة أخرى يا قاضي القرية، ألا تريد في الحال أن...؟ أيجب عليَّ أن أنهي الجلسة بنفسي؟

آدم: نعم، بماذا تأمرون سيادتكم؟

روبرشت: (متحدثا إلى إيفا) إيفا تكلمي! هل كان هو؟

فالتر: من تظن نفسك أيها الوقح؟

فايت: اصمت يا بني، أقول لك عليك أن تصمت!

آدم: انتظر، فسوف أتمكن منك أيها الوقح!

روبرشت: يا إلهي! أنت يا صاحب قدم الحصان!

فالتر: ما هذا الذي يحدث هنا! أيها الحاجب!

فايت: قلت لك اخرس يا ولد!

روبرشت: انتظر، سوف تقع في يديَّ اليوم! ولن تستطيع هذه المرة أن تقذف الرمل في عينيّ!

فالتر: أيها القاضي آدم! هل نضبت شطارتك؟

آدم: أجل، إن سمحتم سيادتكم، فإني أصدر الحكم الآن.

فالتر: حسنا، افعل ذلك! أصدر الحكم!

آدم: الآن وقد اتضحت القضية، فإن روبرشت، هذا الوغد، هو الفاعل.

فالتر: هذا المزاح أيضا جميل، ثم ماذا بعد ذلك؟

آدم: بعد ذلك أضع عنقه في الحديد، ولأنه سلك مسلكا غير مهذب تجاه قاضيه، فإني أزج به خلف قضبان السجن الحديدية، وسوف أحدد المدة بعد ذلك.

إيفا: من؟ روبرشت؟

روبرشت: أنا أدخل السجن؟

إيفا: وعنقه في الحديد؟

ڤالتر: وفِّرا الهموم على نفسيكما يا طفلتي! هل انتهيت أيها القاضي آدم؟

آدم: أما الجرة، فيجوز أن يدفع ثمنها، أو لا يفعل.

ڤالتر: حسنا، الجلسة إذن منتهية! وعلى روبرشت أن يستأنف الحكم أمام المحكمة العليا في أوترشت.

إيڤا: وهل عليه أولا أن يستأنف الحكم في أوترشت؟

روبرشت: ماذا؟ أنا...؟

ڤالتر: اللعنة! نعم، وحتى ذلك الحين...

إيڤا: وحتى ذلك الحين...

روبرشت: أنا أذهب إلى السجن؟

إيڤا: وتوضع عنقه في الحديد؟ هل أنت أيضا قاض؟ إنه هو ذلك الوغد الحقير الذي يجلس هناك، إنه هو، هو عينه الذي...

ڤالتر: هل تسمعينني، اللعنة! اصمتي! وحتى ذلك الحين لن تُمَسَّ شعرةٌ واحدة من فتاك روبرشت.

إيڤا: قم يا روبرشت!
الذي حطم الجرة هو القاضي آدم.

روبرشت: رباه! انتظرني!

السيدة مارتا: هو؟

السيدة بريجته: ذلك الذي هناك؟

إيڤا: نعم هو! انهض يا روبرشت! قم! لقد دخل على

فتاتك إيڤا حجرتها أمس! قم واقبض عليه! اضربه الآن إن شئت!

ڤالتر: (واقفا) توقفوا جميعا! الذي يسبب هرجا ومرجا هنا في المحكمة فسوف...

إيڤا: قم يا روبرشت! فالأمر سيان، وسوف توضع على أية حال في الحديد، قم وأنزله من منصة المحكمة.

آدم: عفوا أيها السادة (يجري هاربا).

إيڤا: قم! قم!

روبرشت: سأمسك به!

إيڤا: بسرعة!

آدم: ماذا؟

روبرشت: أيها الشيطان الأعرج الملعون!

إيڤا: هل أمسكت به؟

روبرشت: رباه! لقد أفلت مني وأمسكت بمعطفه فقط.

ڤالتر: هيا تحركوا! نادوا الحراس!

روبرشت: (يضرب المعطف)
طاااااااخ! هذه واحدة، طاااااااخ! طاااااااخ! وهذه أخرى، وهذه ضربة أخرى! بدلا من الجبان الحقير.

ڤالتر: كفَّ عن الهرج والمرج يا قليل الأدب! إن لم تهدأ حالا، فسوف يكون الحكم عليك بالحديد حقيقيا!

فايت: اهدأ حالا أيها الأرعن!

المشهد الثاني عشر

(السابقون عدا آدم، وقد توجه الجميع إلى مقدمة خشبة المسرح)

روبرشت: آه يا عزيزتي إيفا! أي إهانة وجهتها إليك اليوم! آه وكذلك بالأمس، رباه! آه يا فتاتي العظيمة، يا حبيبة قلبي يا عروسي ! هل ستغفرين لي ذلك طوال حياتك؟

إيفا: (ترتمي عند قدمي مستشار القضاء). سيدي! إن لم تساعدنا الآن فسوف نضيع!

فالتر: ستضيعون؟ وكيف ذلك؟

روبرشت: رباه! وماذا هناك؟

إيفا: أنقذ روبرشت من التجنيد الإجباري، لأن الحملة ستتوجه إلى شرقي الهند، لقد باح لي القاضي آدم بهذا السرِّ، ولا يرجع من هناك كما تعرفون يا سيدي إلا ثلث الرجال فقط.

فالتر: ماذا؟ إلى شرقي الهند؟ هل أنت بعقلك؟

إيفا: ستذهب الحملة إلى مدينة بانتام يا سيدي المبجل! لا تنكر هذا وتخفيه عني! ها هو الخطاب، إنه يحمل التعليمات السرية بخصوص جيش البلاد التي أصدرتها الحكومة قبل أيام قلائل، يا سيدي إنك ترى أني أعرف كل شيء.

فالتر: (يأخذ الخطاب ويقرؤه) رباه! يا لها من خديعة فظيعة! إن الخطاب مزيفٌ.

إيفا: مزيف؟

فالتر: إنه مزيفٌ، وأقسم على ذلك بحياتي، أيها الكاتب لشت، قل بنفسك، هل هذا هو الاستدعاء الذي أرسلوه لكم من أوترشت قبل أيام؟

لشت: الاستدعاء! ماذا؟! هذا الآثم الخاطئ! إن هذه إلا وريقة كتبها القاضي بيده. إن الكتائب التي جُمِّعت وظيفتها الخدمة داخل البلاد، ولم يفكر أحد في إرسالها إلى شرقي الهند.

إيفا: كلا، لن يرسلوهم إلى الهند يا سيدي؟

فالتر: أقسم بشرفي! وحتى أثبت لك أن كلامي صحيح، فإني سأدفع نقودا حتى يُعفى روبرشت من أداء الخدمة العسكرية.

إيفا: (تهب واقفة) يا للسماء! كيف كذب عليَّ هذا اللئيم! لقد عذب قلبي بهذا الهم الرهيب، جاءني بالليل وكان مصمما على إعطائي شهادة طبية لروبرشت تثبت إعفاءه من أداء الخدمة العسكرية، لقد شرح لي هذا وأكّده، وتسلل إلى حجرتي ليخدعني بهذا الكذب طالبا مني شيئا، رباه! شيئا مشينا فاضحا! أيها السادة إنه شيء لا يجرؤ لسان أية فتاة أن ينطق به.

السيدة بريجته: آه من هذا المخادع السافل!

روبرشت: دَعْك! دَعْك من صاحب قدم الحصان يا فتاتي الحبيبة! انظري، ولو كان حصان هو الذي حطم الجرة في حجرتك لغرْتُ غيرة شديدة عليك، تماما مثل الآن (يقبلان بعضهما البعض).

فايت: هذا هو رأيي أنا الآخر، قَبِّلا وأحبّا بعضكما البعض! وإن أردتما يكون زفافكما يوم عيد العنصرة.

لشت: (عند النافذة) انظروا إلى القاضي آدم، أرجوكم! انظروا إليه وهو يصعد ويهبط الجبال كما لو كان هاربا من عجلة التعذيب والمشنقة، إنه يهرب ضاربا بقدميه حقول الشتاء التي تم حرثها.

فالتر: ماذا؟ أهذا هو القاضي آدم؟

لشت: فعلا!

عديد من الحاضرين: إنه ينزل الآن إلى الشارع، انظروا! انظروا! كيف تضربه الباروكة على ظهره كالسوط!

فالتر: هيا أسرع أيها الكاتب! تحرك! أرجعه إلى هنا! حتى لا يرتكب شيئا كريها في محاولته إنقاذ نفسه هربا، هو الآن موقوف عن العمل، وأطلب منك أيها الكاتب أن تتولى منصب قاضي القرية هنا في هويزوم وذلك حتى إشعار آخر، إني لا أريد أن أدفعه للهرب، فالخزائن فعلا مرتبة ونظيفة، كما أتمنى، هيا أسرع! قدم لي هذا الصنيع وأرجعه إلى هنا!

(يخرج لشت من المسرح)

المشهد الأخير

(السابقون ما عدا لشت)

السيدة مارتا : قل لي بربك أيها السيد المبجل ! أين أجد مقر الحكومة في أوترشت؟

فالتر: ولماذا يا سيدة مارتا؟

السيدة مارتا : (تهمهم في ألم) لماذا؟ لا أدري... أليس من المفروض أن تحمي العدالة الجرة؟

فالتر: عفوا يا سيدة مارتا! فعلا، إن مقر الحكومة عند السوق الكبيرة، والجلسات تعقد يومي الثلاثاء والجمعة.

السيدة مارتا : حسنا، سأقف هناك الأسبوع القادم أمام المحكمة.

(يخرج الجميع من المسرح)

النهاية

الهوامش

١ - أوترشت هي مدينة هولندية تقع إلى الجنوب من أمستردام.

٢ - هنا إشارة واضحة لقصة خروج آدم من الجنة، وعلى ذلك فليس من قبيل المصادفة أنيكون القاضي اسمه آدم.

٣، ٤ - «هولا» و «هويزوم» و«هوزاهه» هي أسماء قرى اخترعها كلايست.

٥ - ماركوس توليوس سيسيرو (شيشرون) هو أعظم خطباء الإمبراطورية الرومانية عاش ما بين عام ١٠٦ حتى عام ٤٣ قبل الميلاد.

٦ - ديموستنيس هو أحد عظماء الخطابة الإغريق، عاش ما بين عام ٣٨٣ وحتى عام ٣٢٢ قبل الميلاد، وقد روى بلوتارك (٤٦ - ١٢٠) صاحب تراجم عظماء الإغريق والرومان أن ديموستنيس قد صمت أمام جموع الشعب مدعيا إصابته بنوبة برد شديدة، على الرغم من أن سكوته هذا على العكس تماما من قناعته واعتقاده، وذلك لأن هاربالوس حارس خزائن الإسكندر قد أعطاه رشوة كبيرة.

٧ - المقصود هنا هو فيليب الثاني ملك مقدونيا من عام ٣٥٩ - ٣٣٦ قبل الميلاد.

٨ - القيصر كارل الخامس من العائلة الإمبراطورية هابسبورج، حكم من عام ١٥٠٠ حتى عام ١٥٥٨.

٩ - هو صامويل بوفندورف، الفليسوف والسياسي ورجل القانون، عاش من عام ١٦٣٢ - ١٦٩٤.

١٠ - أغلب الظن أن المقصود هنا صندوق تجمع فيه تبرعات، حتى إن فاض نهر الراين وأحدث خسائر، فيتم تعويض تلك الخسائر عن طريق الصندوق.

١١ - نظام الأجر غير النقدي معروف أيضا في بلادنا، وخصوصا في الريف المصري، والمثال التقليدي هو شخصية «سيدنا» في الكتّاب الذي يتقاضى أجره خبزا وزبدا وغير ذلك.

١٢ - المقصود هنا هو جراح السيد المسيح عليه السلام.

١٣ - في عام ١٥٥٥ ولى القيصر كارل الخامس ابنه الأمير فيليب على المقاطعات الهولندية.

١٤ - انظر هامش رقم ٨.

١٥ - هما «إلينور» و«ماريًّا» أختا كارل الخامس.

١٦ - فيليبرت هو أحد فرسان كارل الخامس.

١٧ - هو ابن أخي كارل الخامس، لُقِّب بعد ذلك بمكسيميليان الثاني قيصر ألمانيا.

١٨ - أرَّاس هي مدينة في شمال فرنسا، رئيس الأساقفة اسمه «جرانفيلا» وسخط

عليه الهولنديون أيَّما سخط.

١٩ - هؤلاء المحاربون الهولنديون هم مجموعة كبيرة من البحارة اتحدت فيما بينها بين عامي ١٥٦٥ - ١٥٧٢ لتحرير هولندا من الاحتلال الإسباني، وقد احتل هؤلاء المحاربون بريل وهي مدينة في جنوبي هولندا تحت قيادة ڤيلهيلم فان لوماي وليس تحت قيادة ڤيلهيلم فون أورانيين كما اعتقد المؤلف هاينرش فون كلايست.

٢٠ - حريق عام ١٦٦٦.

٢١ - الموزل هو أحد روافد نهر الراين، ويقع هذا الوادي في أقصى الغرب من جمهورية ألمانيا (الاتحادية).

٢٢ - سدوم وعمورة، راجع قصة لوط والملكين، العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح التاسع عشر.

٢٣ - فيثاغورس هو فيلسوف ومتصوف إغريقي، وهو أيضا عالم رياضيات، عاش فيما بين ٥٨٢ - ٥٠٧ قبل الميلاد.

٢٤ - يعتقد النقاد أن هناك خطأ، فالقدم اليسرى هي القدم التي ينبغي لآدم أن يخفيها، لأنها هي القدم المشوهة، راجع الفصل الأول من المسرحية، صفحة ٣.